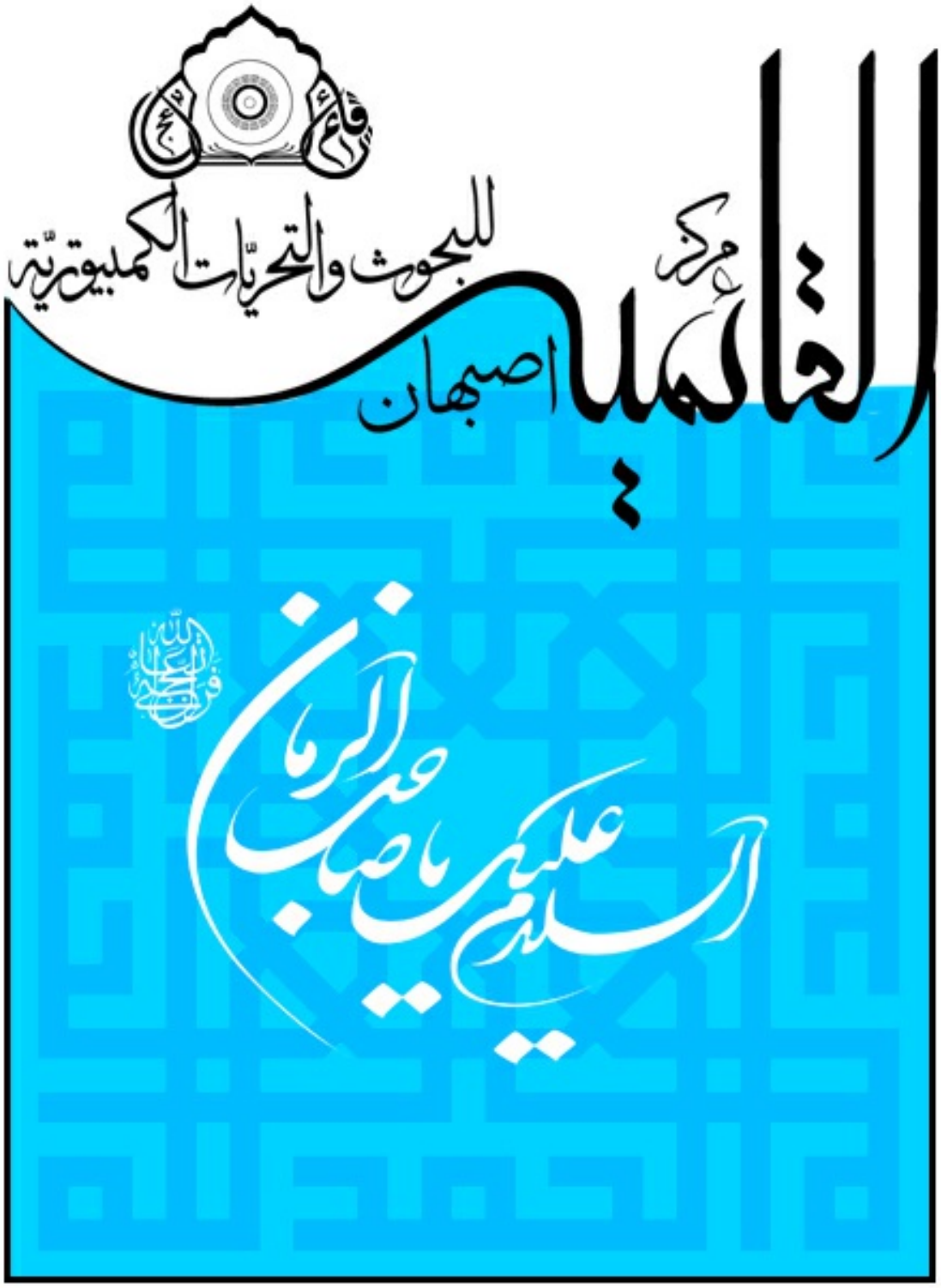

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

كمال السيد

الإمام المهدي ع

نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل

الغدير

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام المهدي (عجل الله تعالي فرجه الشريف) نظره في التاريخ و رويه للمستقبل

كاتب:

كمال السيد

نشرت في الطباعة:

راهروان قلم

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الامام المهدي (عجل الله تعالي فرجه الشريف) نظره في التاريخ و رويه للمستقبل 8

هوية الكتاب 8

اشارة 8

كلمة المركز 14

البشارة القرآن والكتب السماوية الاخري 16

اشاره 16

المهدي في بشارات العهدين 18

الامام المهدي و النداء السماوي 23

ما معني «اثني عشر رئيساً»؟ 26

الميلاد ولادة الامام المهدي و ظروف الغيبة الصغري 31

المشكلة التاريخية 31

في صميم البحث 32

قدر من التفصيل 37

القصور في سامراء.. الجوسق الخاقاني نموذجاً 40

المقطع الاخير من مسلسل البشارة 42

الموقف العام في الجبهات و العلاقات الدولية 43

نيرون العرب 44

وصول الامام الهادي الي سامراء 45

دار الامام 48

اوراق من تاريخ الرومان 52

رواية تاجر الرقيق بشر بن سليمان النخاس 52

لنسجل بعض النقاط المفيدة باختصار 55

سامرا.. مشهد ما قبل الولادة 58
ولادة الامام المهدي لماذا 15 شعبان 256ه؟ 65
مشهد الولادة كما تصوره السيدة حكيمة 66
حياة الامام الحسن.. أشعة الغروب 77
عشية الرحيل 82
مشاهد أخري حتي عام 263 ه 95
المعتضد السفاح الثاني 100
كلمة أخيرة 117
ظاهرة الانتظار 119
الاشعاع الاخلاقي 119
الانتظار السلبي 120
المخزون الايجابي للانتظار 122
عالم الغد 131
المستقبل.. تأملات في حشد من المؤشرات 146
الدائرة الاسلامية 152
العصر الجديد 154
الحرب والسلام 161
الصراع الاسلامي الاسرائيلي، المسألة اليهودية 161
الشخصية الصهيونية 162
العدوان 168
جذور الارهاب 169
آفاق الحل 172
المسيح الدجال... نبؤة أخري 177
العالم الاخضر 181
المحتويات 193

الامام المهدي (عجل الله تعالي فرجه الشريف) نظره في التاريخ و رويه للمستقبل

هوية الكتاب

بطاقة تعريف: السيد، كمال، - 1336

عنوان واسم المؤلف: الامام المهدي عج نظره في التاريخ و رويه للمستقبل/ كمال السيد

تفاصيل المنشور: اروميه : راهروان قلم ، 1385.

خصائص المظهر: ص 186

ISBN : 964-8740-57-715000 ريال :

حالة الفهرسة: الفهرسة السابقة

ملاحظة: العربية

ملاحظة: الفهرسة على أساس المعلومات فيپا

ملاحظة: الببليوغرافيا مترجمة

عنوان : محمدبن حسن (عجل الله تعالي فرجه الشريف)، الإمام الثاني عشر، 255ق.-

عنوان : مهدويت

عنوان : آخرالزمان

ترتيب الكونجرس: BP51/س 86 الف 8

تصنيف ديوي: 297/959

رقم الببليوغرافيا الوطنية: م 85-14767

الأعمال الخيرية الرقمية: جمعية الإمام زمان (عج) إصفهان المساعدة

ص: 1

اشارة

سرشناسه : سيد، كمال، - 1336

عنوان و نام پديدآور : الامام المهدي عج نظره في التاريخ و رويه للمستقبل/ كمال السيد

مشخصات نشر : اروميه : راهروان قلم ، 1385.

مشخصات ظاهري : ص 186

شابك : 964-8740-57-715000 ريال :

وضعيت فهرست نويسي : فهرست نويسي قبلي

يادداشت : عربي

يادداشت : فهرست نويسي براساس اطلاعات فيپا

يادداشت : كتابنامه به صورت زيرنويس

موضوع : محمدبن حسن (عجل الله تعالي فرجه الشريف)، امام دوازدهم، 255ق.-

موضوع : مهدويت

موضوع : آخرالزمان

رده بندي كنگره : BP51/س 86 الف 8

رده بندي ديويي : 297/959

شماره كتابشناسي ملي : م 85-14767

الامام المهدى (عجل الله تعالي فرجه الشريف)

نظره في التاريخ و رويه للمستقبل

ص: 3

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: 4

كلمة المركز

بين يـديك – قارئي العزيز – كتاب الامام المهـدي نظرة في التاريخ ورؤية للمسـتقبل وهو – كما بيدو من عنوانه – محاوله لدراسة موضوعة المهـدي الموعود والاشارة اليموقعه علي خريطة الوجود الانساني.. وقد سـعي الكاتب خلال فصول الكتاب، ونجحفي ذلك الي لفت نظر القاريء ألي أهميـة المصـلح الموعود الـذي تنتظره البشـرية، ليملاالارض قسـطاً وعـدلاً بعـدما ملئت ظلماً وجوراً مرجعاً في ذلك جذور التفكير المهدويالي عمق التاريخ البشـري من خلال البشارات الاولي بظهور المصلح في الكتب السماويةالسابقة حيث عقد الكاتب فصلاً كاملاً للحـديث عن هـذا الموضوع وتطرق بالتفصـيل لمـاورد في التوراة والانجيـل من الاشـارات والرموز المتعلقـة بأهل البيت: وظهور الامامالمهـدي. ويعتبر هـذا التناول امتيازاً يسـجل للكاتب أذ أبرز اهتماماً خاصاً بالنصوصالعبرية التي اعتبرها تتحدث عن شـخص الامام محمد بن الحسن العسكري بوصفهالمهدي الموعود الذي سيظهر آخر الزمان وقرن بين العديد من هذه النصوص وما وردمن الاشارات في القرآن الكريم التي رأي فيها الكاتب أيضاً اشارة الي ظهور المهـدي وقـداقتطع للتـدليل علي وجهة نظره نصوصاً كثيرة من الكتب السـماوية السابقة بلغتهاالاصلية مع ترجماتها العربية.

كما سـلط الكاتب الضوء علي الظروف السياسـية والاجتماعيـة والعقائدية التيرافقت ولادة الامام المهدي في زمن الدولة العباسـية وكذلك التطورات التي حصلت فيالدولة الرومانية وعلاقاتها مع الدولة العباسية تلك الفترة وقد رمي الكاتب من خلال ذلك الي الربط بين الاوضاع المضـطربة الـتي عاشـتها الدولـة العباسـية بسـبب النزاعاتـالتي أثارهـا القـادة الاـتراك المتنفـذون وبيـن الظروف الصـعبة الـتي أحـاطت بالولادةالمباركة للامام المهدي (عج) واضطراره عليه السلام الي الاختفأ والغيبة عن الانظار. كما أنهقصد من الحديث عن الدولة الرومانية وما عاشته من الاحداث الداخلية ابان تلك الفترة

الي تقرير حقيقـة تاريخيـة اشارت أليها الروايات والاخبار وهي ان السـيدة نرجس والدةالامام المهدي كانت تنحدر في نسـبها من الاسـرة العموريـة النبيلة الحاكمة في الدولةالرومانية انذاك. وقد وفق الكاتب الي حد بعيد في رسم صورة دقيقة وأمينة عن الظروف المحيطة بعصـر الولادة والغيبـة وما تخلل ذلك من ارهاصات وتداعيات جعلتمن ولادة الامام الحجة وتسـنمه قيادة الامة الروحية ومن ثم غيبته امراً طبيعياً محتماًلا يمكن تجنبه أو انكاره.

ولا يملك القاريء وهو يتابع أحداث التاريخ الاسـلامي وتحليل المؤلف لوقائع هذا التاريخ ومفرداته ألاّ أن يبدي اعجابه البالغ بالاسـلوب الاـدبي المتـدفق والحس الانسانيالرفيع الـذي تنطق به عبارات الكتاب وكلماته ولا غرو فالكاتب روائي اسـلامي معروفطالما رسم بريشـته الصادقـة احـداث هذا التاريخ وصور بقلمه الامين سـيرة شخصياتناالاسـلامية الرائدة وما جري عليها من الاحداث ونهضت به من الادوار. ويلاحظ أن المؤلف حاول طيلـة فصول الكتاب مخاطبة الحس الوجداني والفني لدي القاريءلاستيعاب الحقيقة المهدوية ولم يقصـر كتابه علي المناقشات العقلية وحدها لتقريرهذه الحقيقة.

لقـد مزج الكـاتب بين المنهجين بنجـاح يـدعو للاعجـاب في الفصل الاخير من الكتاب والمعنون ب- «عالم الغـد» حيث عرض تحليله للظروف الاسـتثنائية التي تعيشها البشريةاليوم مشيراً الي الظلم الذي تمارسه القوي المهيمنة علي مقدرات الانسانية والدورالقذر الذي تقوم به الصهيونية لتكريس السيادة اليهودية علي العالم والتحكم بمصيرالانسان في الارض.

ليخلص بعـد هـذا كله الي النتيجـة التي قصـدها من بحوث الكتاب وهي انه لابد للعالم من مصـلح يطفيء ظمأ البشـرية المحرق للعدالة ويجسد كلمة الله سبحانه(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ).

مركز الغدير للدراسات الاسلامية

البشارة القرآن والكتب السماوية الاخري

اشاره

يتضـمن القرآن الكريم والروايات المعتبرة المتواترة والكتب السماوية بشكل عام بل وحتي كتابات بعض من مدّعي النبوّات بشائر بمستقبل مشرق ينتظر البشرية.

فهناك في صميم البشائر يوم موعود تستحيل فيه الارض الخراب الي جنة وارفة الظلال يغمرها السلام.

وفي ذلك المنتظر تتطهر الارض من الظلم والقهر والاضـطهاد، وتنعم الانسانيـة بالعدالـة، حيث يظهر انسان الهي يرفع رايـة الحق والعدالة وينشـر الخير في ربوعالعـالم، وهو لـدي طائفـة كبري من العـالم يتمثل في شـخص الامام المهـدي قائم آل محمـدونجل الامام الحسـن العسكري عليه السلام.

ويتضمن القرآن اشارات الي اليوم الموعود نشير الي بعض الايات:

- (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ امَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الاَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْأَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).(1)

وتتضمن هذه الاية الكريمة نقاطاً هامّة هي مسألة الاستخلاف وتحكيم الدين في الحياة وانتشار الطمأنينة والامن والسلام.

وقد ورد في الاثر ان الامام علياً زين العابدين قرأ هذه الاية وقال: «هم والله

1- النور : 55

شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم علي يد رجل منا وهو مهدي هذه الامة وهوالذي قال رسول الله صلي الله عليه و آله و سلم: لو لم يبق من الدنيا ألاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتييلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملاء الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».(1)

- (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَي وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الدِّينِ كُلِّهِ) (2) وقد ورد في الاثر عن الامام علي عليه السلام أنه فسر هذه الاية بظهور المهدي عليه السلام وانتشار كلمة لا أله ألاّ الله في ربوع العالم (3) كما فسرها الامام الباقر بذلك أيضاً. (4)

- (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَي الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الاَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الاَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوايَحْذَرُونَ).(5)

يقول الامام علي عليه السلام في مناسبة وهو يشير الي تنكّر الدنيا له وغدر الزمان:«لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس علي ولدها» ثم تلا قوله تعالي:(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَي الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الاَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ.وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الاَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) ويقول ابن أبي الحديد في شرحه: «ان اصحابنا يقولون: انه وعد بأمام يملك الارض و يستولي علي الممالك».

- (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الاَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ). (6)

روي عن الامام الباقر في تفسير الاية قوله: «أن ذلك وعد الله للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الارض». (7)

1- طبرسى مجمع البيان 152/7.

2- التوبة :33 الفتح : 28 الصف : 9.

3- المهدى الثورة الكبرى : 124 ناصر مكارم الشيرازى.

4- على الكورانى عصر الظهور : 357

5- القصص : الايتان 5 ، 6.

6- الانبياء : 106.

7- تفسير البيان : 252/7.

علي أن الايـة الكريمـة التي ذكرت آنفا وهي قوله تعالي: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَي وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَي الـدِّينِ كُلِّهِ) تعدّ من أقوي الاشارات لان انتصارالاسـلام علي جميع الاديان لـم يتحقق بشـكل كامل منذ صدوع سـيدنا محمد صـلي الله عليه و آله و سـلم بالرسالة وحتي يومنا هذا، ولذا فان امكانية تحقق هذا الوعد الالهي ستتم بظهورالامام المهدي وانتصار حركته العالمية.

عن الامام الكاظم عليه السلام قال: «يظهره علي جميع الاديان عند قيام القائم». (1)

ويقول الامام الصادق عليه السـلام: «والله ما أنزل تأويلها بعد... حتي يقوم القائم انشاء الله، فأذا خرج القائم لم يبق مشرك ألاّ كره خروجه، ولا يبقي كافر ألاّ قتل». (2)

وهناك مجموعة آيات أخري يشير المفسرون فيها الي ظهور الامام المهدي في آخر الزمان وتشكيله الدولة العالمية كقوله تعالي: (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ). (3)

المهدي في بشارات العهدين

«ستخرج من القدس بقية من جبل صهيون

غيرة رب الجنود ستصنع هذا». (4)

«ابتهجي كثيراً يابنت صهيون

هو ذا ملكها سيأتي اليك

عادل ومنصور». (5)

ونورد هنا مقطعاً هامّاً من كتاب أهل البيت في الكتاب المقدس وتحت عنوان

1- تفسير البرهان : 330/4

2- بحار الانوار : 60/51.

3- هود : 86.

4- سفر اشعيا 32 : 37 الاصل العبرى العهد القديم ص 612.

5- سفر زكريا : 9 : 9 الاصل العبرى العهد القديم ص 134.

أشعيا يبشر بالقائم:

2 – قي ناحا علاف روح يهْقا

قي روح حُخْما أو قينا

روح عيتسا قي گقورا

رُوح دَعَت في يرْأت يهقا

3 – قي هَر يحو بيرْأت يِهْقا.

قي لا لمرئيه عيناف

قي لا لمشمع أو زناف يشْفوط

4 – قي هو خيّح بميشور لِعنقي آرتس.

قي هِكّا آرِتس بشيفط بيف

قي بروّح سافاتاف يا ميت راشاع.

6 – قي گار زئيف عم كيقس

قي نامار عِم گدي يرباتس

ص: 12

قي عيگل في كفير قي مري ياحدو

قي نَعَر قِاطان نوهيك بام

8 – قِي شِعْشَع يونيق عَل حرباتن

قِي عَل مِئورَت تِسْقعوني گامول يادوهادا

9 – لو يار يعوا في لو يشحيتوا

بخُل هار قُدْشي

كِي ما لاي هآرتسديعا أت يِهْقا گميمِ لِيَم مِخِسَيم

10. – قي هايا بيوم هَهُو

يَسيّ أشير عوميد لنيسس عميم

أيلاف گوييم يَدْرشوا

في هايتا مِنوحا توكا فود. (1)

وهذا النص الذي أخبر به «أشعيا النبي» يعني:

2 – ويحلُّ عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم

وروح المشورة والقوة، روح المعرفة

ومخافة الرب.

3 – ولذته في مخافة الربّ، ولا يقضي بحسب مرأي

عينيه، ولا بحسب مسمع أذنيه

4 – ويحكم بالاءنصاف لبائسي الارض

ويضرب الارض بقضيب فمه، ويميت

المنافق بنفخة شفتية.

6 – ويسكن الذئب والخروف، ويربض النمر مع الجدي

1- سفر اشعیا 11 : 2 ، 3 ، 4 ، 6 ، 8 ، 9 ، 10 الاصل العبری العهد القائم ص 625.

والعجل والشبل معا، وصبي صغير يسوقها.

8 – ويلعب الرضيع علي سَرَب الصلّ

ويمد الفطيم يده علي جُحرْ الافعوان.

9 – لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسيّ.

لان الارض تمتليء من معرفة الربّ

كما تغطيّ المياه البحر.

وأما في الفقرة (10) فقد جات الاشارة الي الامام بأحد القابه وهو «القائم»:

10 – وفي ذلك اليوم سيرفع «القائم» رايةً للشعوب

والامم التي تطلبه وتنتظره ويكون محله مجدا.

وتجدر الاشارة في هذه الفقرة الي أمرين:

الاول: ان لفظة «يسّسي» في الفقرة (10) من النص العبري.

تعني: سيرفع، وقد جاءت بصيغة الاستقبال لدخول حرف (الياء) عليها، (1) والماضي منه (ناسا) بمعني: (رفع)، (2) ومترجم (العهد القديم) في النسخة العربية (3) لم يترجم لفظة (يسّي) العبرية والتي تعني: (سيرفع)، بل أبقاها بدون ترجمة الي العربيةمحاولة منه لبس المعني واءثارة الغموض حول مفهوم «القائم» عليه السلام.

وأما الامر الثاني: أنّ لفظة «عوميد» جاءت (كأسم فاعل). (4)

وتعني: (القائم) (عاقد) و(هِعْميد) بمعني (قام وأقام). (5)

لذا فاءن هذه «البشارة» تنطبق علي محمد صلي الله عليه و آله و سلم وآل محمد: لانه لم يكن في

1– د زين العابدين محمود قواعد اللغة العبرية ص 98.

2– د ريحى كمال المعجم الحديث عبرى – عربى ص 315.

3– سفر اشعيا 10 : 11 ص 1005.

4– د زين العابدين محمود قواعد اللغة العبرية ص 38.

5– المعجم الحديث ص 349.

«بني اسـرائيل» ولا في ولـد اسـماعيل عليه السـلام رؤساء بهذا العدد، وان البركة والخير الكثيرلا يناسب اءلاّ الشـجرة المحمدية المباركة، ويؤيد ذلك قوله تعالي: (اءِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) أي: الخير الكثير وكثرة النسل من الصديقة الطاهرة (فاطمة الزهراء) سلاماالله عليها.(1)

الامام المهدي و النداء السماوي

يمكن أن نلحظ من خلال بشارة «يوحنا» الاشارة الي الامام المهدي عليه السلام حيث جاء في «سفر يوحنا».(2)

قا اءِيريه مَلاخ

معوفيف بحتسي هشاميم

أو بفيف بسوْرَت عولام

لِبّسَير اءِت يوشقيه هآرتس

قي لا شون قاعم

1- العلامة المحقق السيد عبدالله شير تفسير القران الكريم ص 567.

2- سفر يوحنا 14: 6-7 الاصل العبرى ص 474.

قِيَقْرا بقول گدول:

يرْؤا اءت ها اءيلوهيم

قا هابوا لو كابود

كي باءي عيت مشفاطو

قي هشتحفوا الا عوسيه شامايم

قا آرتس اءت هيّام أو قعينوت همايم

ويعني هذا النص:

ثم رأيت مَلاكا طائرا في وسط السماء.

معه بشارة أبدية ليبشّر الساكنين علي الارض

وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب

منادياً بصوتٍ عظيم: خافوا الله وأعطوه مجداً

لانه قد جاءت ساعة حكمه

واسجدوا لصانع السماء والارض والبحر وينابيع المياه

نجد في هذا النص الذي أخبر عنه «يوحنا» اءشارة الي (الصيحة الحق)، قال تعالي: (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ. يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُالْخُرُوجِ).(1)

فالقائم عليه السلام ينادي باسمه واسم أبيه حسب ما جاء في أية (41) وما جاء في آية(42) (الصيحة بالحق) هي صيحة القائم من السماء وذلك يوم الخروج، (2) ونلاحظبعد تحليل (النص العبري) من الناحية اللغويّة أنّ المنادي الذي ينادي في السماء حيثعُبِّر عنه (بالملاك الطائر) يحمل بشارة أبدية للعالم: (بسوْرَت عْولام)، ولفظه

1- سوره ق 41 : 42.

2- تفسير القمى ص 344 ج 2.

(بسورت) اسم مضافة الي (عولام): أي العالم وهي مشتقة من الفعل (بِسيَر): أي:(بَشَر، نبّأ)(1).

وهذه البشارة الابدية لجميع سكان الارض: (يوشقيه هارتس) ولفظة يوشقيه:سكان مشتقه من الفعل (ياشف): (سكن وأقام) وأما (هآرتس) فتعني:(الارض)(2). ثمَّ هناك تفصيل آخر بأن هذه «البشارة الابدية» حسب النص العبريتشمل: (كل گوي): كل أمة، و (كل مشبحا): كل قبيلة، و (كل لاشون): كل لغة،و(كل عام): كل شعب(3).

ثمّ نجد تأكيداً علي مسألة مهمة أخري وهي الاءخبار بقرب ساعة حكم الرب.

بواسطة دولة الامام (عج): (باءي عيت مشفاطو) أي: (قَرُب وقت حكمه)،(فباءي) مشتقة من الفعل (با) أي: (قَرُب، جاء)، وعيت: تعني: (وقت، مدة) وأمّا(مشفاطو) فجاء هنا كاسم بمعني (حكم، قضاء) والفعل منه (شافَطْ): (حَكمَ،قضي)(4)[(5)

وهناک اشارة لها مغزاها في هذا الموضوع و هي ما وعد الله سبحانه ابراهيم الخليل:

[واما اسماعيل فقد سمعت قولک فيه وها أنذاک اباركه و انميّه و اكثره جداً جداً ويلد اثني عشر رئيساً واجعله أمةَ عظيمة](6).

يقول الاستاذ عودة مهاوش في شرح هذا النصوص و نصوص أخرى:

1- المعجم الحديث ، ص87.

2- المعجم الحديث ، ص 208، 59.

3- المعجم الحديث ، ص84، 288، 240، 349.

4- المعجم الحديث ، ص62، ص 361، 289، ص 489.

5- أحمد الواسطي أهل البيت في الكتاب المقدس :124.

6- سفر التكوين 17 :20.

ما معني «اثني عشر رئيساً»؟

لقد أوضحنا فيما سبق أنّ النبيّ المعزّي الذي وعد به الانبياء هو اسماعيليّ وهومحمّد صلي الله عليه و آله و سلم وبيّنا أيضاً أن الله تعالي سيبارك أُمم الارض بذرية ابراهيم عليه السلام من خلالابنه اسماعيل عليه السلام.

والملاحظ من النصّ الذي اوردنا حسب «أعمال الرسل» ان ثمة صلة موجودة بين الاثني عشر رئيسا وذاك النبي المبشر به، فاننا نجد أن صاحب السفر يذكر أوّلاًأن جميع الانبياء بشّروا به، ثم انه يربط بين أيام ذاك الرسول، وبين الايفاء بعهد اللهلابراهيم بمباركة جميع عشائر الارض بنسله.

وبما أنّ النبي المعزي اءسماعيلي، وبما أن عهد الله لابراهيم كان هو أن يبارك جميع عشائر الارض بنسل ابنه اسماعيل بتكثيره جداً ويجعل 12 رئيساً من ذريّته، ولانالايفاء بعهده تعالي لابراهيم يبدأ في أيّام ذاك النبي الاسماعيلي المعزي، لذلك فالاثناعشر رئيسا لابد وان يكون زمان مجيئهم بعد مجيء ذاك النبي المعزي.

هذا من ناحية.

ومن ناحية أُخري فاننا نجد أن المسيح عليه السلام قد وعد الحواريين أصحابه بانه سيدعو الله تعالي ليرسل لهم المعزّي ليبقي معهم اءلي الابد.

(يوحنا 14: 16).

فالابدية هذه لابّد لها من أن تتبلور في وجهين:

أولاً: بخلود رسالته، ودعوته، ثانياً بخلود ذريّة النبي المعزي، فنحن نجد أن اليهود يعتبرون خلودهم وبقاءهم الابدّي من خلال وجود أولادهم وذرياتهم منبعدهم.

فالبقاء الابديّ هنا لابدّ وأن يكون له نفس المعني الذي تبنّاه الكتاب المقدّس في أغلب أسفاره، وعلي هذا فبقاء هذا النبي المعزي بين بني البشر اعلي الابد يكون لامحالة من خلال بقاء نسله وذريته.

وبما أن عهد الله تعالي لابراهيم عليه السلام كان بأن يلد ابنه اسماعيل اثني عشر رئيس ابعد مجيء النبي المعزي – كما أوضحنا – فان هؤلاء الرؤساء في أزمنة تمتد من بعد مجيءذاك النبي اعلي يوم القيامة حتي يصدّق الانجيل بقوله: انه سيبقي معهم (أي المعزي) اعليالابد. وعند التفحص والتطبيق نجد أن المقصود من هؤلاء الرؤساء الاثني عشر همالائمة الاطهار من آل الرسول محمد صلي الله عليه و آله و سلم.

وبهذا يكون قد تبيّن لك عزيزي القاريء أن التوراة والانجيل قد بشرا – بدون شك – بمجيء النبي محمد صلي الله عليه و آله و سلم، وبقيام اثني عشر رئيسا، واءماما من بعده من آلهوذريّته، يباركون جميع عشائر الارض لما يجلبونه عليهم من هداية وقيادة اعلي طريقالرحمن جل ذكره(1).

ونختتم هذا الفصل بما أورده الاستاذ سعيد أيوب في دراسته القيمة عن المسيح الدجال: اءن المعسكر الذي سيواجه المسيح الدجّال وأتباعه ورجال الكنيسة المرتدةهو الاءسلام واءن القائد الذي سيكون علي رأس هذا العسكر هو:[المهدي المنتظر](2).

1- عودة مهاوش- الكتاب المقدس تحت المجهر :153 – 154

2- قال الشوكانى فى التوضيح: إن الاحاديث الواردة في المهدي متواترة . و قال الكتاني في النظم المتناثر :والحاصل أن الاحاديث الواردة في المهدي متواترة . وقال الشافعي كما في النظم المتناثر أيضاً : تواترت الاخبار أن المهدي من هذه الامة و أن عيسى يصلي خلفه و جمع السيوطى أحاديث المهدي في الحاوي للفتاوي وقال: هذا جزء جمعت فيه الاحاديث و الخبار الواردة في المهدي .وقال ابن القيم :المهدي رجل من أهل بيت النبي من أولاد الحسن يخرج آخر الزمان وقد امتلات الارض جوراً و ظلماً فيملاها قسطاً و عدلاً. فهذه أقول بعض أئمة الاسلام في مجي المهدي آخر الزمان (النظم المتناثرص64، 282)(المناهل لابن القيم ص23).ولقد نصحت الاحاديث على أن ناسم مالمهدي يوافق اسم النبى صلى الله عليه وآله .وهذه الاحاديث رواها أحمد (الفتح الرباني 24/49)وقال عن عبد الله بن مسعود :أن النبى صلى الله عليه وآله قال:«لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من اهل بيتى يواطى ء اسمه اسمى »وفي رواية بلفظ آخر «لا تنقضي الايام و لا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطى ء اسمي »وروى أبو داود عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وآله «لو لم يبق من الدنيا الا يوم» قال راويه في حديث «يطول الله ذلك اليوم » ثم اتفقوا«حتى يبعث فيه رجلاً منى » او « من االهل بيتى يواطى ء اسمه اسمي زاد في حديث يملا الارض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جورا» (أبو داود 4/107). وروى الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى يواطى ء اسمه اسمي » وقال : حديث حسن صحيح . الجامع 4/505.

يقول النبي صلي الله عليه و آله و سلم:[المهدي يواطيء اسمه اسمي...](1).

فهل يقابل هـذا الاءسم في الاءنجيل المتـداول معالم له؟ لقـد جاء في سـفرالرؤيا أن القائد الذي سـيخوض معارك آخر الزمان اسـمه:[... الامين الصادق...(2)]!!!؟(3)

وجاء في مصادر الاءسلام أن منهج المهدي:

[... يملا الارض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً...].(4)

1- رواه ابن عساكر و آخرون (كنز 14/268).

2- قال ابن القيم عن أسـماوه المائتين ، كالصادق و المصدوق ، و الرووف الرحيم ، و الامين و الصادق الى امثال ذلک (زاد المعاد 1/88) و الامين الصادق هي تخليص موجز لسـيرة النبي صـلى الله عليه وآله فهو الامين قبل البعثة و الصادق بعد البعثة فهو لا ينطق عن الهوى ،و اجتاز الحياة بالامانة و الصدق و هاتان الصـفتان اسـتخدمهما برونوفسكي و هيلر عند الاشارة الاولى الى النبي صلى الله عليه وآله في كتابه «ارتقاء الانسان »و الثاني في كتابه «مجمل تاريخ العالم »

3- سفر الرويا 11/19 كتاب الحياة ط 82.

4- ابو داود و آخرون اشرنا اليه عند الحديث عن المهدى.

ويقابل هذه الصفات في سفر الرؤيا أنه هو:

[... الذي يقضي ويحارب بالعدل...](1).

وجاء في مصادر الاءسلام عن نسل المهدي:

[... المهدي من عترتي. من ولد فاطمة...](2).

ويقابل هذه الصفات في سفر الرؤيا:

[امرأة متسربلة بالشمس والقمر، تحت رجليها وعلي رأسها اءكليل من اثني عشر كوكباً... ولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعي جميع الامم بعصا من حديد...](3).

قالوا في التفسير:[اءنها امرأة فاضلة.. وقور... ويأتي النسل من هذه المرأة!!(4)].

واءن نسل هذه المرأة سيواجه المخاطر، والتنين سيقاتل باقي نسلها الذين يعملون بوصايا الله (5)والاءكليل الذي علي رأس المرأة اءشارة للقيادة، والاثني عشر كوكباً،هم أسماء الرسل(6).

قلت: اءذا كان المهدي من ولد فاطمة، والمهدي هو آخر القادة، فمن الطبيعي أن يكون جميع أخوته هم المذكورين عند أهل الكتاب(7)، أي أصحاب الشجرة

1- سفر الرويا 12/19 كتاب الحياة ط .82.

2- ابو داود (4/117)ابن ماجه (1268/2)الحاكم (557/4).

3- سفر الرويا 1/12 ، 5 الكتاب المقدس ط 83.

4- يوم الدين / ستيفنسن ص 87 ،109 تفسير الرويا / حنا ص 272 جين داكسون .مجلة آخر ساعة العدد الصادر في 1984/9/26.

5- الرويا 12/16.

6- كشف المستقبل / هملتون ص 34 ،51 ط دار النفير بيروت.

7- الاحاديث الواردة في اولاد فاطمة لا حصر لها و منها «أن الحسن و الحسين هما ريحانتاي من الدنيا » رواه البخارى و الترمذى (التاج الجامع للاصول 1/356)«ان النبى ابصر حسنا و حسينا قال اللهم انى احبهما فاحبهما »رواه الترمذى (التاج 3/358) والجدير بالذكر بالذكر ان اولاد الحسن و الحسين اشتغلوا بالعلم في عصر الفتن و كانوا شجعانا عند الباس .

الواحدة، التي خرجت من المرأة المتسربلة بالشمس والقمر. فاءذا كانت بعضالتفاسير قد أشارت اءلي الشمس بأنها تمثل والد المرأة وهذا الوالد كالشمس لانه يملاالارض نوراً، فيكفي أن نقول اءن والد المرأة هو محمد صلي الله عليه و آله و سلم. واءذا كانوا قد قالوا اءنالقمر يرمز اءلي زوجها لانه يضيء الليل فيكفي أن نقول اءن زوجها هو علي بن أبيطالب. ولقد كان بحق قمراً ينير في ليل فتنة هي في الحقيقة أحزنتنا كثيراً. وهذه الفتنأدت اءلي اضطهاد نسل المرأة وبنظرة واحدة لعلماء أهل الكتاب في كتاب «مقاتلالطالبيين» لابي الفرج الاصفهاني، ستجعلهم يعلمون أن نبوءة سفر الرؤيا التي قالتبأن هذا النسل سيضطهد صحيحة(1)!.

1- سعيد أيوب - عقيدة المسيح الدجال :98 - 101.

الميلاد ولادة الامام المهدي و ظروف الغيبة الصغري

المشكلة التاريخية

تبرز المشـكلة التاريخية في دراسة كثير من الافكار والتيارات التي كان لها دورفي الحضارة الاسـلامية واسهاماً في بنائها، غير أن مشكلات التاريـخ تكاد تكون معضـلات فيما يخص دراسة ولادة الامام المهدي التي تؤكدها بعض المدونات التاريخيةالمحدودة في مقابل صـمت للمـدوّنات الكبري في تاريـخ الاسـلام.وهذه المسألة تعود الي طبيعة الدور الذي اضـطلع به ائمة أهل البيت وموقف الحكومات المتعاقبة ازاءهم.

وليس هناك من جـدل حول أهميـة كونهم أئمـة وأن طرحهم أنفسـهم بهـذا العنوان جعلهم يمثلون خط المقاومة المسـتمرة للخلفاء الذين تسنموا مناصبهم واعتبارهم خلفاء للرسول صلي الله عليه و آله و سلم وفي هذا تكمن حالة من التهديد الدائم والمستمر فاءذا اضفنا اليذلك أن اضـطلاع الائمة وباساليب مختلفة ومسـتويات متعددة بمهام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد جعلهم في حال لا يحسدون عليها من الحصار والتضييق والاعتقال في بعض الاحيان.

ولان رسالـة الائمـة: كانت هي قيادة عمليـة التغيير الحقيقيـة وهي تغيير الـذات والاعماق ايماناً منهم بقوله تعالي: (اءِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّي يُغَيِّرُوا مَا بِاَنفُسِ هِمْ) فقـد دفعهم ذلك الي الاهتمام بمنطقـة التغيير الحقيقية، وهي صـياغة الاعماق ولذا نجدهم:لا ينفعلون بما يطفو علي سطح الحياة من زبد الحوادث وكان همهم الدائم الاعماق

الهادئة في بحر الحياة، أما سطح البحر الذي يزخر بالامواج المتلاطمة، فقد كان يحرّك السياسيين وذوي الطموح من الذين ينفعلون بوقائع الاحداث غافلين عن الحقائق الكامنة في الاعماق.

فيما الائمة ينظرون الي المديات البعيدة في نظرة شمولية لحركة التاريخ والتجربة الانسانية، انهم يمثلون مركز الاعصار الذي ينعم بالسكينة مع ان موقعه في القلب.وهناك نقطة جديرة بالاهتمام منذ تسنم المأمون الخلافة بعد حرب أهلية مدمّرة، فقد عمد الي خطوة مثيرة اكتسبت ظاهرياً مشروع المصالحة بين البيتين العباسيوالعلوي، لكنها انطوت علي فكرة احتواء الائمة من خلال سياسة التقريب اليالبلاط والتي تنطوي علي عملية اقصائية عن قواعدهم الشعبية من الامّة.

بل أن هذه السياسة تدخل مرحلة جديدة وحساسة بعد صعود الطاغية العباسي «أبي جعفر المتوكل» وخطوته في استدعاء الامام الهادي جدّ الامام المهديالي سامراء والتي لم تكن مدينة كبغداد وانما كانت ثكنة عسكرية كبري بناها المعتصملاسكان فرقه العسكرية وقوّاته حيث يشكل العنصر التركي المستقدم عمادهاالكبير.

كما أن اهتمام المؤرخين وفي طليعتهم الطبري كان محصوراً بالوقائع التسجيلية وتاريخ الخلفاء مما جعلهم لا يلتفتون الي غيرهم فالوقائع تعد ثروة التأريخ الوحيدة.

وما عقد المشكلة ان الشيعة بشكل عام لم يكونوا ميالين الي تدوين تاريخ الائمة بسبب حساسية الوضع وكونهم جميعاً في قائمة المعارضين.

في صميم البحث

ان من شروط دراسة مثل هذا الموضوع الذي ينطوي علي أبعاد متعددة تتصلب التاريخ والحاضر والمستقبل أن يأخذ الباحث بنظر الاعتبار ثلاث نقاط تنسجم معمنطق الانصاف وبدونها سيكون الباحث تعسفياً في منهجه:

الاولي: بحث الموضوع في ظروفه التاريخية والجغرافية والظروف الاخري.

الثانية: المسلسل الطويل والمتناسق في البشارة.

الثالثة: حساسية الاسم ومسألة الغيبة.

وفيما يخص النقطة الاولي يستلزم بحث ودراسة الحقبة السامرائية والظروف التيأدت الي تأسيس مدينة سامراء ومسار الاحداث فيها أي دراسة تستوعب حوالينصف قرن من الزمن من سنة 220ه الي سنة 275ه.

اما النقطة الثانية فاننا سنجد بشارة واضحة بظهور الامام المهدي تنتقل منذ عهد الرسالة عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم وفي اطار متوحد يشير ويؤكد هويته:

من ولد فاطمة

التاسع من ولد الحسين

الامام الثاني عشر

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر حول الاثني عشرية في أحاديث النبي صلي الله عليه و آله و سلم:

ونصل الان اءلي السؤال الرابع وهو يقول: هَبْ أنّ فرضية القائد المنتظر ممكنة بكلّ ما تستبطنه من عمر طويل، واءمامة مبكرة، وغيبة صامتة، فاءنّ الاءمكان لايكفي للاقتناع بوجوده فعلاً.

فكيف نؤمن فعلاً بوجود المهدي؟ وهل تكفي بضع روايات تُنقل في بطون الكتب عن الرسول الاعظم صلي الله عليه و آله و سلم للاقتناع الكامل بالاءمام الثاني عشر علي الرغم ممافي هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المألوف؟ بل كيف يمكن أن نثبت انّللمهدي وجوداً تاريخياً حقّاً وليس مجرد افتراض توفرت ظروف نفسية لتثبيته فينفوس عدد كبير من الناس؟

والجواب: اءنّ فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم اءلي الافضل قد جاءت في احاديث الرسول الاعظم عموماً، وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً،

وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقي اءليها الشك. وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم من طرق اءخواننا أهل السّنّة، كما أُحصي مجموع الاخبارالواردة في الاءمام المهدي من طرق الشيعة والسّنّة(1) فكان أكثر من ستة آلاف رواية(2)،وهذا رقم اءحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الاءسلام البديهية التي لايشك فيها مسلم عادة.

وأما تجسيد هذه الفكرة في الاءمام الثاني عشر عليه الصلاة والسلام فهذا ماتوجد مبررات كافية وواضحة للاقتناع به.

ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين:

أحدهما اءسلامي.

والاخر علمي

.فبالدليل الاءسلامي نثبت وجود القائد المنتظر.

وبالدليل العلمي نبرهن علي انّ المهدي ليس مجرد أُسطورة وافتراض، بل هوحقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية.

أما الدليل الاءسلامي:

فيتمثل في مئات الروايات الواردة عن رسول الله صلي الله عليه و آله و سلم والائمة من أهل البيت:

والتي تدلُّ علي تعيين المهدي وكونه من أهل البيت..

ومن ولد فاطمة..

ومن ذرية الحسين..

وانه التاسع من ولد الحسين..

وانّ الخلفاء اثنا عشر. فاءنّ هذه الروايات تحدد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الاءمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من

1- يلاحظ كتاب(المهدي) للسيد «العلم» الصدر قدس الله روحه الزكية.(الشهيد الصدر).

2- يلاحظ كتاب منتخب الاثر في الامام الثاني عشر للشيخ لطف الله الصافي (الشهيد الصدر).

الكثرة والانتشـار علي الرغم من تحفّظ الائمـة: واحتيـاطهم في طرح ذلـك علي المسـتوي العـام، وقايـةً للخلف الصالـح من الاغتيـال أو الاءجهاز السـريع علي حياته.وليست الكثرة العدديـة للروايات هي الاساس الوحيـد لقبولها، بل هناك اءضافـة اءليـذلك مزايا وقرائن تبرهن علي صـحتها، فالحـديث النبوي الشـريف عن الائمـة أوالخلفـاء أو الاـمراء بعـده وانهم اثنـا عشـر اءماماً أو خليفـةً أو أميراً – علي اختلاف متنالحديث في طرقه المختلفة – قد أحصي بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مائتينوسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشـيعة والسّـنّة بما في ذلكالبخاري ومسـلم والترمذي وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم عليالصحيحين، ويلاحظ هنا أنّ البخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصـراً للاءمامالجواد والاءمامين الهادي والعسـكري، وفي ذلك مغزيً كبير؛ لانه يبرهن علي انّ هذاالحديث قـد سُـجّل عن النبي صـلي الله عليه و آله و سـلم قبل أن يتحقق مضـمونه وتكتمل فكرة الائمة الاثنيعشـر فعلاً، وهذا يعني انه لا يوجد أي مجـال للشك في أن يكون نقل الحـديث متأثراًبالواقع الاءمامي الاثني عشـري وانعكاساً له؛ لانّ الاحاديث المزيفـة التي تنسب اءلي النبي صلي الله عليه و آله و سلم وهي انعكاسات أوتبريرات لواقع متأخر زمنياً لا تسبق في ظهورهاوتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي تشـكل انعكاساً له، فما دمنا قد ملكناالدليل المادي علي انّ الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للائمة الاثني عشر،وضُبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الاءمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكدمن أنّ هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع واءنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها منلا ينطق عن هوي، فقال: «اءنّ الخلفاء بعدي اثنا عشر».

وجـاء الواقع الاءمـامي الاـثني عشـري ابتـداءً من الاءمام عليٍّ وانتهاءً بالمهـدي؛ ليكون التطبيق الوحيـد المعقول لـذلك الحـديث النبوي الشريف(1).

1- بحث حول المهدي / 103 - 107.

وأقل عمر لمسلسل البشارة يمكن أن يكون في حدود قرنين ونصف، واستعراض نصوص البشارة يؤكد توحدها في هوية واحدة.

فيما نجد في النقطة الثالثة ارثاً ثقيلاً يضع اسم الامام المهدي ضمن الممنوعات المؤكدة والمحرّمات الاكيدة فيما يخص التصريح باسمه «لانهم لو وقفوا علي الاسماذاعوه» فمعلومات مثل الاسم والعنوان تعدّ أمانة كبري في عنق المؤمن هي المحكالحقيقي لايمانه وصدقه.

وهذه النقاط الثلاث هي التي ستنقل البحث من أجواء المختبر حيث درجةالحرارة الثابتة والسكون فلا رياح ولا مطر ولا صواعق وكل شيء هاديء تماماًكالاجواء في سطح القمر!! اءنّ أية محاولة لتقييم ومحاكمة موضوع بالغ الحساسيةكهذا الموضوع وبأدوات وظروف مختبرية تعد ذروة في التعسّف والظلم.

ذلك أن محاكمة موضوع بهذه الطريقة السطحية وبأدوات تشكيكية قاصرة هومصادره لتاريخ طويل ومرير مليء بالعذابات والدموع زاخر بالطموحات والامال بغدأفضل كما انها طعنة نجلاء في قلوب الذين ينتظرون ذلك الامل، مع التأكيد علي انالانتظار السلبي لا يشكل اءلاّ مقطعاً عابراً ومحدوداً في طريق مليء بشموع الكفاحوالجهاد الذي يستمد زيته من شجرة الامل(1).

1- يمكن ان نوشر هنا ثلاثة ملاحم حركية في طليعتها ثورة الامام الخميني و نهضته و خطوة الشهيد محمد باقر الصدر و حركة الشهيد محمد صادق الصدر. ولا ينكر احد عقيدة الامام الخمينى في المهدى عليه السلام و قد ساد شعار ثورى و ما يزال حول ادامة الثورة حتى ظهور الامام الغائب عليه السلام. وللشهيد الصدر بحث هام و رائد في مسالة المهدي «بحث حول المهدي» كما ان للشهيدد صادق الصدر موسوعة كبرى حول الامام المهدى: تشتمل على بحوث تاريخية هامّة، فالايمان بالامام المهدى ليس اسطورة تبعث على الخدر بل انه الزيت الذى يمد القلوب بالثورة و الامل و الدف .

قدر من التفصيل

سامراء ظروف التأسيس والنسيج العام:

تكاد المصادر التاريخية تجمع علي أن تاريخ بناء سامراء يعود الي سنة 220هوهي فكرة افرزتها هواجس سياسية دفعت بالمعتصم الي انتخاب هذا المكان عليضفاف دجلة شمالي بغداد وعلي مسافة 60 ميلاً عربياً عنها(1).

وبالرغم من أن الموضوع سوف يدفعنا الي بحث شخصية المعتصم الذي يعد نهاية لعصر وبداية لعصر ثان في الخلافة العباسية، لكننا سوف نكتفي بمعلوماتسريعة قد تفسر وتوضح قرارات وسياسات ومواقف في مسار الحكم العباسيواتجاهاته السياسية والادارية.

فالمعتصم هو أبو اسحاق محمد بن الرشيد وأخو المأمون. أمه تركية تدعي«ماردة» ولعل الوراثة قد لعبت دوراً كبيراً في تكوين شخصيته فقد عزف منذ طفولتهعن الدراسة واتجه الي فنون الفروسية والحرب جعلته أقرب في الشبه لسكانالصحاري القاسية في بردها وجفافها.

كما أن اعتبار أخواله من الاتراك قد أثر في اختيار عنصر جديد يعتمد عليه في ادارة دولته الكبيرة، خاصة في ظل استمرار التحديات التي ورثها مع مملكته، فثورةبابك الخرّمي ما تزال تقلق أمن الدولة اضافة الي الوضع المتوتر علي امتداد الحدودمع دولة الروم واستمرار الاشتباكات المحدودة، وأحيانا الغارات الوحشية التي يشنها

1- اختلف الباحثون في تعليل البواعث التى دفعت بالمعتصم الى تاسيس مدينة سامراء فقد راى فريق ان السبب يعود الى الاتراك الذين كانوا يوذون الناس فخلق وجودهم في بغداد مشكلات كثيرة (كتاب البلدان لليعقوبي / 23) فيما يرى فريق آخر ان وراء ذلک اسبابا عديدة منهاسياسته العنصرية الخاطئة في اعتماد العنصر التركي دون العرب ودعمه المعتزلة و اضطهاد خصومهم والمصاعب التي واجهته في فتنه الهنود الذين عرفوا في التاريخ بالزط و موقفه المعادي للعلويين . تاريخ الاسلام السياسي د.حسن ابراهيم ط القاهرة ص 71.

الروم كلما سنحت فرصة.

وسنري وفي غضون فترة قياسية ظهور عناصر جديدة غير عربية ولا فارسية عناصر تنتمي الي سكان مناطق وأقاليم قاسية في مناخها وظروفها، فضلها المعتصملاسباب كثيرة في مطلعها بعدها عن الترف والمدنية التي تسلب المرء في رأيه امتيازاتالمحارب الشجاع، اضافة الي جهلها بالاسلام فهي مهيأة الي أن تكون قوّات مرتزقةلا تعرف غير الطاعة وتنفيذ الاوامر وحراسة الحكم العباسي.

سوف نري ظهور «المغاربة»(1)الذين سيؤلفون قوّات الحرس الخاص و«الفراغنة» لمهمات أمنية أخري اضافة الي الجيش الجرّار المؤلف من 250/000جندي تركي. وقد سنّت قوانين تحظر علي الجنود الاتراك التزوج من غير التركياتومنعت أيضاً الطلاق. وقد شهدت بغداد تدفق آلاف الفتيات التركيات الي أسواقالرقيق.

ومن هنا انبعثت هواجس المعتصم في الحفاظ علي هذه العناصر التي عوّل عليها في حكمه فجاءت فكرة تأسيس عاصمة بعيدة عن بغداد مصدر الترف والقلقالسياسي والامني.

فمدينة سامراء في الاصل ثكنة عسكرية كبري تم بنائها باسلوب الاوامرالعسكرية.

ولذا فان اسم سامراء الذي شاع منذ البداية هو «العسكر» والذي اضحي لقباً للامامين علي ونجله الحسن فالعسكر ليس محلّة في سامراء نسب اليها الامامان انماهو اسم المدينة، فالنسيج العام الذي طبعها هو نسيج العسكر، يكفي أن نتصوّروجود اكثر من 250/000 جندي ووجود اكثر من 160/000 حصان في اسطبلاتكبيرة لنتصور طابعها العام.

1- كان استقداهم في البداية للعمل في بناء «سامراء»

وبالرغم من تدفق آلاف العمال وظهور الاسواق واسكان الجنود الاتراك فيأحياء سكنية خاصّة مع أسرهم وعوائلهم ألاّ أن كل ذلك لم يغير من صورة سامراءالعسكرية فظل اسم «العسكر» متداولاً الي جانب الاسم الرسمي «سر من رأي».

وعلي مدي شهور كانت حمّي البناء مستعرة فقد وزع المعتصم مسؤوليات التنفيذ علي أركان دولته، اءذ اسند تنفيذ الجوسق الخاقاني قصر الخليفة العام الي «أبو الفتحخاقان».

كما اسند تنفيذ بناء القصر «العمري» الي عمر بن فرج، والي «ابن الوزير» بناء«القصر الوزيري»، كما وزع المعتصم أسناد الاراضي الشمالية علي القادة الاتراك لبناءأحياء مستقلة تمنعهم من الاختلاط ببقية الاجناس الاخري، وكان اهتمامه بالعنصرالتركي واضحاً في سياسته فالاـتراك في تلك الفترة لا يعرفون سوي السيوف والخيولولا يتحدثون اءلاّ عن القلاع والحروب..وظهرت شخصيات تركية في المؤسسة العسكرية كانت تمارس وظائف خدمية باعتبارهم غلماناً ورقيقاً.

ف «أشناس» الضابط الكبير ظهر فجأة وظهر «وصيف» الذي كان يعمل زرّاداً فاصبح هو الاخر قائداً عسكرياً يقود آلاف الجنود وظهرت شخصية هامة هيشخصية «الافشين» الذي اعتنق الاسلام وهو الوحيد الذي ينحدر من أسرة كانتتحكم اقليم اشروسنة.

ويتمتع هذا الرجل بموهبة عسكرية فذّة وهو الذي هزم تمرّد بابك الخرمي الذي استمر عشرين سنة، ويعدّ الفاتح الحقيقي لعمورية وما تزال قصّة محاكمته في تهم لمتثبت ومن ثم اعدامه تثير أسئلة عديدة!

وقراءة في هذه الحقبة تعرّفنا علي شخصية أخري هي «دليل بن يعقوب النصراني» الذي أشرف علي مشاريع هندسية كبري في طليعتها شق القنوات الجوفيةوامداد القصور الكبري بها ومشروع شق النهر الذي اخفق وهو مشروع جبار عمل

فيه 12/000 عامل ليل نهار(1).

وتهمنا هـذه المعلومـة فيما بعد عندما نتطرق الي الدار التي اشتراها الامام الهادي سـنة (232 – 234)ه وهي سـنة وصوله الي سامراء في ظروف أقرب الي الاستدعاء القسري منه الي دعوة قابلة للاعتذار.

ولا ننسـي الاشارة في هـذه العجالة الي شخصـية أخري هي «ايتاخ» الطباخ والذي تدرج في مسؤوليات أخري فانتقل من ذبح الغنم والبقر الي ذبح الانسان فقدنفذ عمليات اغتيال دموية وكان يقوم بها ببرود قاتل.

أما «بغا» وهو قائد تركي فما يزال في غضون هذه السنوات مشتبكاً مع قوّات التمرّد بقيادة بابك وقد مني بهزيمة مريرة.

وسيكون دور ايتاخ في تلك الفترة دور «مسرور» خادم الرشيد وهو دور اتسمب الغموض والبوليسية في ادارة شؤون الحكم والدولة.

القصور في سامراء.. الجوسق الخاقاني نموذجاً

كشفت التنقيبات في سنة 1907 وما بعدها عن اطلال قصـر عظيم، ويكفي أن نشـير الي المدرّج الذي يرتفع من الحوض الواسع وعرضـه الذي يبلغ ستين متراًلنعرف فخامة هذا القصر.

وهذا المدرج يؤدي الي اكبر واضخم أبواب القصر وهو «باب العامّة» الذييرتفع الي اثني عشر متراً في الفضاء.

1- الطبري حوادث سنة 245ه«..وامر بحفر نهر ياخـذ راسه خمسـة فراسخ فوق الماحوزة (شـمال سامراء) من موضع يقال له كرمى يكون شربـاً لما حولها من فوهـة النهر اليها ،وأمر باخـذ جبلتا و الخصاصـة العليا و السـفلى و كرمى و حمل أهلها على بيع منازلهم و اراضـيهم فاجبروا على ذلک ..وقـدر للنهر من النفقـة مائتى الف دينار فصـير النفقة عليه الى «دليل بن يعقوب النصـرانى كاتب «بغا» والقى في النهر اثنى عشر الف رجل يعملون فيه فلم يزل دليل يعتمل فيه..حتى قتل المتوكل فبطل النهر..»>

ونحـاول هنـا اسـتعراض بعض مـا أشارت اليه التنقيبات بما يوضـح صورة عن القصور في سامراء وهي تشترك جميعاً في كثير من المرافق، ونـذكر باعتمادها في الغالبخرائط روميـة وسـنتابع بعض التفاصـيل ابتـداءً من باب العامة المؤلفة من جبهة ثلاثيةالعقود يبلغ ارتفاعها 12م وتمتد من ورائها ثلاث غرف مسقفة بعقادات متوازية تطلعلي نهر دجلة.

ويقع في الجبهة الجنوبية جناح الحريم الذي يمتد منه ملحق جنوبي، فيما يمتد البهومن باب العامة في طريق مسـتقيم الي قاعة الشـرف أو البلاط المؤلف من ثلاثة اجنحةتشـبه الحرف «T» وهو طراز روماني في البناء..ومساحة البهو الشـرقي وحده 38 – 40/ 10م تنفتح شرفاته علي ساحة واسعة350 – 180م تتوسطها نافورتان تستمدان مياههما من دجلة عبر كهريز (قناةجوفية).

«واذا سار المرء متجهاً الي شـرقي الشـرفة الكبيرة يأتي السـرداب الصـغير الكائن علي محور القصر الاصلي. ويؤلف مدخل السرداب غرفة مربعة الشكل يوجد عليجدرانها أفريز مزين بجمال ماشية من ذوات السنامين منحوتة بالجص الملوّن معنافورة دائرية الشكل.

ويقع سـلّم السـرداب في الجانب الغربي من البناء الفوقاني. أما السـرداب نفسه فهو عبارة عن مغارة في داخل القصر بعمق 8م وطول 21م، ويوجد في كل جدارمن جدران المغارة ثلاثة كهوف تصلها ببعض ممرات خاصة كما يوجد في قاعهاحوض ماء..

وقـد ثبتنا هـذا النص من موسوعـة العتبات المقدسـة كتاب سامراء ومعلوماته من مراجع اجنبيـة اشـرفت بنفسـها علي التنقيبات وسـجلت مشاهداتها بدّقة متناهية.

ان مفردات مثل حوض المياه والسرداب ونوافير الماء والقنوات الجوفية سيكون تذكّرها مفيداً عندما يصل الحديث عن بيت الامام الهادي.

ص: 33

المقطع الاخير من مسلسل البشارة

نحـاول هنا أن نثبت ولو اشارة الي بشارة ثلاثـة ائمـة عاصـروا الحقبـة السامرائيـةوهم الجواد الـذي توفي في ظروف غامضـة وهو شاب في الخامسة والعشرين وهناكمرويّات وقرائن تؤكد اغتياله.

فمن يقرأ مطلع خلافة المعتصم ومسـلسل التصـفيات وامّية الخليفة واسـتجابته السريعة لاي هاجس سيميل الي أن المعتصم قد دبّر عملية الاغتيال باقناع جعفر بنالمأمون والاخير أغري أخته (زوجة الامام الجواد) بتنفيذ المؤامرة.

فذلك الشاب كان يشكل تهديداً لسلطة المعتصم فالتاريخ ذكر صراحة أميّة الخليفة وأشار الي شخصية الامام الجواد العلمية.

هناك روايتان عن عبدالعظيم الحسني تشير الاولي الي أنّه الثالث من ولده هوالمهدي الموعود وتؤكدان معاً غيبته ووجوب انتظاره فيما تؤكد الثانية نقطة سنأخذأهميتها بعد ذلك بنظر الاعتبار وهي حرمة تسميته(1).

أما الامام الهادي فقـد مارس اضافـة الي تأكيـده البشارة شـكلاً من اشـكال الغيبـةواعطاء دور هام للوكلاء وهي خطوة عمليـة علي صـعيد التمهيد ومحاولة اقناع العقل الاسلامي والضمير بهذا اللون من الارتباط الذي تمليه ظروف سياسية قاهرة.

والرواية التي ينقلها أبو دلف تقول عن الامام الهادي: «الامام بعدي الحسنابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراًوظلماً».

1- كثيرة هي الكتب التي بحثت مسالـة الامـام مالمهـدى و اهتمت بدارسـة فلسـفة الغيبـة العمر الطويل جـدوى الامام الغائب و غيرها و سنجد موضوعاً آخر اهتم ببحث حكم تسـمية الامام المهدى و هناک سـبع رسائل اثبتها كتاب الذريعة. ويبدو ان هذه المسالة كانت محل جـدل شديـد في عصـر الشـيخ البهائي / شـرعة النسـمية حول حرمـة تسـمية صاحب الامر/ الفيلسوف و العارف الامير السـيد محمد باقر المعروف بالداماد - مقدمة الاعداد / 3 - 4.

ومسلسل البشارات يؤكد بشكل مركز علي غيبة المهدي الموعود وعلي خفاء ولادته علي الناس ولهذا دلالات كثيرة جداً علي الصعيد النفسي في ترشيد الوجودالشيعي كقاعدة شعبية تؤمن بقيادة أهل البيت وتدين بولائهم.

الموقف العام في الجبهات و العلاقات الدولية

سنحاول باختصار استعراض الموقف العام علي الحدود الدولية ليس لاضاءة خلفيات المسرح السياسي في سامراء فحسب بل اننا سنجد بحث ذلك مجدياً عندمانجد في المدّونات الامامية تأكيداً عي أن أم المهدي هي فتاة من القسطنطينية وأنهااحدي أميرات القصر وهي رواية بشر بن سليمان النخاس تاجر الرقيق الذي تولّيمهمة شرائها من بغداد، فالي أي مدي يمكن الركون الي هذه الرواية الوحيدة والتيتضمنت تفاصيل مثيرة؟!

شهدت خلافة المعتصم انتصارات هامّة جداً وأول انتصار اقترن ببدء خلافته هو القضاء التام علي تمرّد بابك الخرّمي وبالرغم من الغارات التي شنّها الروم والتياكتسبت طابع الهجوم العام بجيوش جرّارة لتخفيف الضغط عن قلاع بابك في ارمينياواذربيجان اءلاّ أن «الافشين» نجح في احراز نصر ساحق ونهائي علي بابك الذي اقتيدأسيراً مع أخيه ليعدم في مكان عرف فيما بعد ب «خشبة بابك».

أما الانتصار الثاني فهو توغل الجيوش الاسلامية في الجبهة الشمالية وتحرير المدن المحتلة والزحف علي مدينة عمورية مسقط رأس الاباطرة الروم الحاكمين.

وهذا الانتصار الذي تكلّل في فتح المدينة يوازي سقوط العاصمة الي حدّماويستنتج من يقرأ تفاصيل المعارك الضارية أن هذا الفتح يعود الي القائد العسكريالموهوب الافشين، وما يهمنا هنا هو أن الهزيمة التي مني بها الروم سيكون لها آثارعلي مستقبل الاسرة العمورية الحاكمة.

ولا ننسي هنا أيضاً اكتشاف المعتصم لخطة انقلابية خطيرة تزعمها العباس بن

المأمون وبتأييد وحماس الضباط العرب والتي عالجها المعتصم بدموية وقسوةبالغة.

وفي تلك الفترة تفاقم النفوذ التركي، وقراءة في تفاصيل كيفية الانسحاب اليسامراء ومسلسل التصفيات تكشف عن الجانب الدموي في شخصية المعتصم وأمّيتهالي حدٍّ كبير.

كما ان الاشارة الي محاكمة الافشين وتنفيذ حكم الاعدام بحقه واشراف قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد تشير الي تطور سيء في تجربة المعتزلة في ادارة دفّة الحكممنذ محنة خلق القرآن.

وقد شهد حكم الواثق محاكمات ظالمة ابرزها محاكمة نصر بن أحمد الخزاعي الزعيم الشعبي البغدادي والتي كشفت عن سوءات الحكم وعرّت أخلاقيته التيوصلت حدّ النذالة خاصّة في مفاوضات تبادل الاسري مع الروم حيث تم افتداءالاسري المسلمين الذين يقولون بفكرة خلق القرآن(1) أما الذين رفضوا ذلك فقدتركوا يواجهون مصيرهم المأساوي تحت رحمة تيودورا زوجة الامبراطور وعضوةمجلس الوصاية علي العرش بعد وفاة زوجها تيوفيل وجلوس ابنها القاصر ميخائيلالثالث (6 سنوات) علي العرش، وذكر هذه المعلومة ليس من قبيل الاسترسال بلانها اضاءة لبحث مصير الاسرة العمورية بعد عقدين من الزمن.

نيرون العرب

ستكون دراسة فترة «المتوكل» (232 - 247)م مفيدة في فهم كثير من الملابسات لان الطريقة التي وصل فيها الي الحكم تحتاج الي دراسة نفوذ الضباط الاتراك وموقف الرأي العام من تجربة المعتزلة في الحكم خاصة في ظل تنامي نفوذ

1- راجع الطبري في تاريخ الملوك حوادث سنة 845 م 231 ه وقد تم افتداء الاسرى على ضفاف نهر اللامس .

رئيس السلطة القضائية القاضي أحمد بن أبي دؤاد واستغلاله لمنصبه وأحكامه التعسفية التي ذهب فيها الي مديات لا تطاق.

بل اءن دراسة شخصية جعفر المتوكل ووقوعه تحت تأثير محظيته اليونانية الحسناء وطلاقه لزوجته «ريطة» التي رفضت طلبه في السفور وارتداء زي الغلمانستكشف هي الاخري نقاطاً معتمة وتلقي الضوء علي حوادث تاريخية.فقد سجل المؤرخون للمتوكل اهتماماً استثنائياً بالاخبار أي أخبار جواسيسه المنتشرين في كل مكان وقد شهدت فترة حكمه تشكيل شبكة رهيبة ومخيفة للجاسوسية وقد أثري الجواسيس من خلال ادراكهم لتوجهات وتوجسات المتوكلخاصّة عدائه الشديد لاهل البيت:.

يكفي أن نشير الي أوامره بهدم مرقد سيدنا الحسين عليه السلام وهدم الدور المحيطة بهوحرث المنطقة بأسرها وفتح مياه الفرات واغراقها، وهي مهمة امتنع المسلمونوالنصاري عن تنفيذها ونفذها اليهود بتعهد «ابراهيم الديزج» اليهودي الذي سنراهيتولي منصباً حساساً في الدولة فيما بعد.ومن الافضل أن نواكب وبشكل سريع بعض الحوادث التي أدّت في النهاية اليصعود المتوكل واطاحته بمؤسسات العهد البائد بل واقصائه المذهب المعتزلي وابعادشخصياته عن مؤسسة الدولة وفسح المجال أمام مذهب جديد ساعد اءلي حدّ ما عليتثبيت أركان حكمه.

وصول الامام الهادي الي سامراء

لعل من الافضل مواكبة بعض الاحداث التي قد تلقي ضوءً كشّافاً يفيد في تفسيرحوادث أخري في صميم البحث.

قد يعجز الباحث عن اماطة اللثام عن الظروف التي مهدت الطريق الي صعودالمتوكل فقد كان قبل ليالي موضعاً لتأنيب أخيه الواثق واحتقار رئيس الوزراء

الزيـات بسـبب شـعره الطويل وظهوره في هيئـة أقرب الي المخنثين منه الي الامراء، ولـذاقام رئيس الوزراء بقصّ شـعره وضـرب بها وجهه وطرده.

ان من يطّلع علي تفاصيل تلك الفترة خاصّة فترة احتضار الواثق وانعقاد مجلس ضم شخصيات الدولة سيكتشف نفوذ الضباط الاتراك.

لقـد حـاول الزيـات المسـتحيل في ترشـيح ابن الخليفـة الطفـل ولكن دون جدويفقـد فرض ايتاخ وبغا ووصـيف رأيهم في انتخاب جعفر (المتوكل).

ومن الملفت للنظر ان جعفر كان حين تداول مسألة مصير الخلافة جالساً في الجناح الخاص بالحرس مع بعض الشبان الاتراك.

وقـد حمل القائـد بغا حلّـة الخلافة اليه، وفي لحظات رأي نفسه الحاكم المطلق لبلاد تمتد من غرب افريقيا الي تخوم أرمينيا والي شواطيء المحيط الهندي.

وأول شـيء نطالعه هو التقارير التي رفعت الي المتوكل مباشـرة في خطورة الامام علي الهادي. يقول المسـعودي: «وكتب بريحـة العباسـي صاحب الصلاة بالحرمين اليالمتوكل: اءن كان لك في الحرمين حاجة فاخرج علي بن محمد منها، فانه قد دعا الينفسه واتبعه خلق كثير».

ونجـد أن زوجـة المتوكل تؤكـد علي زوجها ذلك، وكما ذكرنا أنها كانت جارية ثماصـبحت زوجته الاولي عرفت بحسـنها الباهر ولم يذكر التاريـخ سوي انها من أصـليوناني وانها اسـتحوذت علي قلب المتوكل واسـمها غير معروف لكنها اشـتهرت باسم«قبيحـة» من باب تسـمية الشيء بضده.

وقـد اسـتدعي ذلك أن يكـذّب الامام التقارير في رسالـة الي سامراء لكن ذلك لميبـدد هواجس المتوكل فصـدرت عن القصـر أخيراً رسالة موجهة للامام تدعوه اليالحضور وقد سطر الرسالة الكاتب العربي البليغ ابراهيم الصولي فجاءت مهذبة اليحدٍّ كبير.

ويذكر الطبري وصول الامام الهادي الي سامراء في سنة 234ه فيما تشير

مدونات الامامية ان رسالة الصولي موقعة بتاريخ 243ه ولعل في كتابة التاريخ الاخيرخطأ في تقديم وتأخير عدد الاحاد والعشرات.

وكجملة اعتراضية نسجل ظهور تيارات فكرية تبتعد وبنسبة ما عن جوهرالتوحيد الذي جاء به النبي صلي الله عليه و آله و سلم.

فهناك داخل الكيان الشيعي تفكير انحرافي يحاول طرح الائمة كأرباب أو عليالاقل ان الله سبحانه فوضهم قدرة الخلق والرزق وهو تيار حاربه الامام علي الهاديبكل ما أوتي من قوّة.

كما تصدّي لتيار المجسمة الذي يصوّر الله بصورة البشر له جسم وأطراف.

والتيار الاخير سيكون تحت مظلّة الاتجاه الفكري الذي تدعمه الدولة الجديدة بعد اقصاء المذهب المعتزلي.

ان طريقة استقبال المتوكل للامام الهادي تكشف حقيقة ونوايا السلطات ازاءه فقد تعمد المتوكل عدم استقباله بالرغم من اطلاعه علي وصوله واضطرّ الامام ليمضيليلة وربّما اكثر في خان الصعاليك، بل ان الرواية التاريخية التي سجلت ذلك تشيربقوّة الي أن نزول الامام في خان الصعاليك كان بأمر من المتوكل، فالامام لا يعدموجود شيعي يستقبله في منزله، وربّما يمكنه العودة الي بغداد فهي ليست بعيدة ولكنالامام في جميع الاحوال لم تكن لديه خيارات.

ونحن نذكر ذلك لنثبّت من الان سياسة رهيبة سوف تتطور من سيء الي أسوأوأن حياة الامام الهادي لم تكن عادية علي الاطلاق بل تحكمها قوانين الاقامة الجبريةوالحصار والجو الجاسوسي والتآمر ومحاولات دنيئة للانتهازيين من الذين يهمهمالارتقاء والاثراء ولو علي جماجم الاحرار والابرياء.

وعلي أية حال حصل اللقاء المرتقب ودار فيه هذا الحوار:

قال المتوكل:

– ما يقول أبناء علي في العباس؟

أجاب الامام:

– ماذا تريدهم يقولون في رجل أمر الله الناس باطاعة أولاده وينتظر من أولاده أن يطيعوا الله!

دار الامام

ونعبر هذا الحوار الي أول معلومة هامّة وردت في التاريخ حول الدار التي قطنهاالامام في سامراء.

فقـد أورد الخطيب البغدادي في تاريخه وفي ترجمته لحياة الامام الهادي «أنهاشتراها من دليل بن يعقوب النصـراني» ولـم ينتقل منها وتوفي فيها ودفن.

ويورد التاريـخ معلومـة أخري هي أنه دفن في وسط الـدار ودفن الي جانبه فيما بعـدنجله الحسن ثم نرجس وحكيمة وزوجته التي هي جدّة الامام المهدي.

ومن المفيد أن نورد نصاً من كتاب رحلات السـيد محسن الامين العاملي ما يعيننافي تصوّر عام لدار الامام:«.. وسميت في أول الامر (سر من رأي) ثم خففت فقيل سامراء وتسـمي أيضاً«العسـكر» لاقامة عسكر المعتصم فيها، وفيها قبر الامام علي بن محمد الهادي وابنهالحسن بن علي العسكري.

كـان اسـتدعاهما ملـوك بني العبـاس اليهـا واجبراهمـا عليالاقامـة فيهـا خوفـاً منهمـا أن ينازعـاهم في الخلافـة لاعتقـاد جمع من النـاس بامامتهماوميل جميع الناس اليهما فماتا بها ودفنا في دارهما.

وفيها قبرا حليمة أخت علي الهاديونرجس زوجة الحسن العسكري وأم المهدي وعلي الجميع قبة عظيمة كسيتبالذهب الاءيريز كأنها الجبل الشاهق. وفيها السـرداب المسـمي بسـرداب الغيبة وهوسـرداب الدار التي سـكنها العسكريان عليهماالسلام وذلك ان اتخاذ السراديب أمر متعارف فيالعراق، يتقي به الائمة الحرّ في وقت الظهيرة ويقيمون فيه ذلك الوقت.

وكان له طريق تحت الارض من دار الاءمامين التي هي محل دفنهما وبقي هذا

الطريق بعد دفنهما فيها فكان الزوار يخرجون من الحفرة الشريفة في ذلك الطريق حتييصلوا الي باب السرداب فيدخلوه، كما تدلّ علي ذلك بعض كتب المزارات، سدّ ذلكالطريق وفتح للسرداب باب ملاصق له، وصار يمشي اليه من الحضرة الشريفة علي وجه الارض.

والسرداب اظنه لفظ مركب من «سرد» وهي بالفارسية بمعني بارد و «آب»بمعني ماء أي مبرد الماء».(1)

فالمصادر التاريخة والجغرافية تؤكد أن قبور أهل الدار كانت في حجرة في الداروأن السرداب جزء من مرافق الدار.

وأنه بـدأ الاهتمام بالدار كأثر مقدس بعد وفاة المعتضد (279 – 289) بل أنالاخير ورد اسـمه في مدونات الامامية باعتباره الخليفة الوحيد الذي نظم حملتينللقبض علي الامام المهدي أو اغتياله.

وما يهمنا أن نعرف أن المسافة بين السرداب وضريح الامامين تقدّر (80 –90)م والمسافة يمكن قياسها بدقة.

وبناء علي فرضية أن السرداب أيضاً لا يوجد في الطرف القصي بل أن خرائطالقصور السامرائية تجعله في مكان علي محور وسط الدار.

وهنـا نـذكّر بالمعلومـة التي وردت في كتب التاريـخ حول «دليل بن يعقوب» الذياسـند اليه المتوكل مشـروعه الجبار في شق نهر من دجلة لمدينة المتوكلية شمال سامراءعلي مسافة أربعة أميال عربية (8 كم) تقريباً.

كما أن شق القنوات الجوفية (الكهاريز) من دجلة لتغذية القصور والمساجدبالمياه أمر يتفق عليه الجميع.

ونتصوّر من خلال دراسة بعض الروايات التي تصوّر الحفلات الصيفية التي تقام

1- رحلات السيد محسن الامين العاملى : 124 – 126 ط. دار الغدير بيروت.

في القصر السامرائي بهذه الهيئة.

ان الباب الرئيسة تفضي الي رواق وبهو واسع والي ستائر وحجرات فيمنعطفات موزعة بعدها يأتي مدرج يهبط الي باحة الدار حيث الحديقة وربما بركةمياه ومصطبة صخرية يجلس عليها أهل الدار.

وتكون الحديقة بمستوي أرضية السرداب تقريباً والسرداب يجهز في الغالب ب«كهريز» (خاص بالقصور الكبيرة) ولان صاحب دار الامام الاصلي هو دليل ابنيعقوب فمن المنطقي جداً وجود كهريز يدخل السرداب من خلال سدّاد متحكّم ثميفضي الماء بعد ذلك الي الحديقة.

ونحن نجد في ترجمة الامام الهادي أنه عنّف غلاماً لانه دفأ له ماء الوضوءوالرواية تورد في طياتها صعوبة في احضار الماء(1).

كما نجد في ترجمة معز الدولة البويهي انه استكمل بناء الحمداني ناصر الدولة فيعمارة القبة والسرداب وملا البئر التي كان العسكري يتوضأ بها أحياناً.ومن المحتمل أن يكون البئر حوضاً صغيراً داخل السرداب يستمد مياهه منالقناة الجوفية.

فتقديرات أولية لمساحة الدار قد تصل به الي أكثر من 000/ 15م2.(2)

ومع أن هذه الدار تعدّ من القصور ولكن السيرة الذاتية للامام والتي تؤكد زهده وتسجل أحياناً خلو الحجرات حتي من البُسط والسجّاد تكاد تصرّح بأن الامام انمااشتري هذه الدار الفخمة(3) جداً لاهداف تختلف تماماً عن غايات سكان القصور فماهي أهداف الامام؟

1- البحار:126/50.

2- عن اسحاق الجلاب قال: اشتريت لابى الحسن غنماً كثيرة فدعانى اليه فادخلنى من اصطبل داره الى موضع واسع لاا اعرفه فجعلت افرق الغنم فيمن امرنى به ...»البحار : 32/50.

3- فلما ان دنوا من قصرة اذا بلال ينتظرون و كان بلال غلام ابي الحسن / البحار 131/50.

ولنسجل في هذه المناسبة ثلاث علامات تعزز الفكرة هي:

أولاً: أن الامام لم يتحول عنها برغبة منه أو استجابة لضغوط أخري، وما تزالكما هي الان باسم الامام بعد أن استحالت الي قباب ومنائر وآثار خالدة.ثانياً:

ان الامام قاوم بشكل يلفت النظر ضغوط المتوكل وتهديداته باخلاء الداروالانتقال الي المتوكلية، بل أن الامام لم يشرع ببناء داره الجديدة في المتوكلية بالرغممن تهديدات المتوكل التي توعدته بالقتل ومن المحتمل أن يكون تاريخ ذلك بين 245 -247ه أي منذ انتقال المتوكل الي قصره الجديد «الجعفري» والي مصرعه في الخامسمن شوال 247ه.ثالثاً:

أن الامام قاوم وبشدّة أيضاً ضغوط أحمد بن الخصيب رئيس الوزراء فيحكومة المستعين.وقد قام الاتراك بطرده من رئاسة الوزراء ونفيه الي جزيرة كريت في البحرالابيض المتوسط واسناد المنصب الي ضابط تركي هو «أوتامش» وذلك في سنة248ه وقبل أيام فقط من اقدام الخصيب علي تنفيذ تهديداته بشأن الدار واجبارالامام علي بيعها.ونشير هنا الي أن مثل هكذا دار كبيرة ستكون جاهزة لاستحداث ممرات تحتالارض وانفاق.

وسنري الطبري عندما يؤرخ سنة 255ه وهي السنة التي شهدت الانقلابالعسكري علي الخليفة المعتز وهو ابن المتوكل من زوجته اليونانية «قبيحة» وعندماحوصرت قصور الخلافة وبالتحديد القصر التي تقطنه هذه المرأة الغامضة بغية القاءالقبض عليها ومصادرة كنوزها الاسطورية أنها افلتت من قبضة الجنود الاتراك عبرنفق تحت الارض يبدأ من غرفة نومها الي مكان خارج اسوار القصر بعيد عنالعيون.وسوف نتوقف أيضاً لدي هذه النقطة عندما نستعرض بعض النقاط في حياةالامام الحسن العسكري.

ص: 43

اوراق من تاريخ الرومان

هناك أكثر من علاقة تربط بين مسألة المهدي والمسيح والمسيحية والرومية.ونحن نسجل باختصار ما يتعلق بصميم البحث:

رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم: «... لو لم يبق من الدنياءلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتي يخرج ولدي المهدي فينزل روح الله عيسيبن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الارض بنور ربّها»(1).

عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم: «المهدي من ولدي وجهه يتلالا كالقمر الدري اللون لونعربي والجسم جسم اسرائيلي»(2).

وفي هذا اشارة ضمنية الي أن المهدي يرث عن والدته صفات بني اسرائيل فيالقامة.

ومدوّنات الامامية تؤكد ان والدة الامام المهدي هي السيدة «مليكا» التي اخفتاسمها الحقيقي وعرفت باسم «نرجس» وأنها اءحدي أميرات الرومان في القصرالامبراطوري في القسطنطينية.

رواية تاجر الرقيق بشر بن سليمان النخاس

الرواية وردت في كتب الامامية المعتبرة في اكمال الدين للشيخ الصدوق وكتابالغيبة للشيخ، الطوسي، وسنشير الي أهم المعلومات فيها:

بشر بن سليمان النخاس من أصول أنصارية يقطن سامراء وهو جار للاامامالهادي تعلم علي يديه فقه الرقيق والتجارة المشروعة فيه.

الامام يرسل كافوراً في المساء لاستدعاء تاجر الرقيق ويحضر الرجل في الوقتالمناسب.

1- فرائد المسلطين / الجويني ج2.

2- البيان للكنجى :118.

الامام يكلّفه شـراء جاريـة بمواصـفات محددة، ان جوّ الروايات التي أشارت اليهذا الموضوع توحي بأن الامام الهادي قام بذلك بُعيد انتهاء الحرب الاهليـة (251 -252)ه ومن المحتمـل أن يكون ذلـك بين عـامي 253 - 254ه.أي في الوقت الـذي اسـتأنفت فيه بغداد حياتها العاديـة من جديـد بعـد حربأهليـة مـدمّرة.وتم الشـراء في مكان قرب معبر الصـراة وهو نهر يتفرع من دجلـة في بغداد وهناتأتي رواية الفتاة للنخاس في قصتها المثيرة.

- اسـمها الحقيقي «مليكة» بنت يشوعا ابن قيصـر الروم وأمها من نسل الحواريينوبالتحديد من نسل شـمعون وصـي السـيد المسيح.- أراد جدّها تزويجها الي أمير من أمراء القصر وحدث ما الغي الزواج.

- تري الفتاة رؤيا عجيبة اءذ يخطبها النبي العربي محمد صـلي الله عليه و آله و سـلم لاحد أبنائه منالسيد المسيح.- تصاب بالحمّي بسبب تلك الرؤيا المثيرة وبسبب حبها للفتي الاسمر الذيخُطبت له.

- انها فتاة عاقلة ومثقفة تعرف العربية وتتعاطف الي حدّما مع الاسريالمسلمين.

- تخطط الفتاة للسـفر الي بغـداد عن طريق الاشتراك في الحرب ووقوعها ضمنأسـري الحرب وهـذا ما حصل وعنـدما سُئلت عن اسـمها قالت.. «نرجس» وهو اسمالجواري وهكذا أخذت طريقها الي سوق الجواري وهي سوق رائجة آنذاك.

ونورد هنا بعض التفاصيل علي الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية حيث تتبادلالجيوش الاسلامية والرومية الغارات والهجمات.

ويمكن متابعـة مسـلسل الغارات والاشـتباكات منـذ فتـح عمورية لتأخذ شـكلاًعنيفاً في عهد الامبراطورة تيودورا الوصـية علي عرش ابنها القاصر ميخائيل الثالث

ونحن نركز علي اشتباكات السنوات 249 – 253 وهي مثبتة في التاريخين الاسلاميوالرومي.

وفي سنة 253ه 867م وقع حادث هام له أكثر من دلالة وهو قيام «باسيل»بمحاولة انقلابية خطيرة انهي فيها حكم الاسرة العمورية ومؤسساً لحكم اسـرةجديدة هي «الاسرة المقدونية» فلنقرأ هذه الصفحات من تاريخ الرومان:«وهكذا نمرّ بنقفور الاول (802 – 811) وحروبه مع هارون الرشيد،وميخائيل الاول (811 – 813) وقد ثل عرشه وجز شـعره لان البلغار هزموه، ولي والخامس الارمني (813 – 820) الذي حرّم مرة أخري عبادة الصور التماثيل والذياغتيل وهو ينشد ترنيمة للكنيسة، وميخائيل الثاني (820 – 829) الامي«المتلجلج» الذي عشق راهبـة وحمل مجلس الشوخ علي أن يتوسل اءليه أن يتزوجها،وثيوفليس (829 – 842) المشرع المصلح، والملك البناء، والاءداري الحي الضـميرالذي أحيا سـنّة اضـطهاد محطمي التماثيل وقضـي عليه الزحار، وأرملته ثيودورا التيحكمت البلاد نيابـة عنه حكما قـديراً (842 – 856) وأنهت عهد الاضـطهاد،وميخائيل الثالث «السكّير» (842 – 867) الـذي أسـلم الاءمبراطورية بعجزه اللطيفاءلي أمه أولا ثم اءلي قيصر بارداس Caesar Bardas عمه المثقف القدير بعد وفاتها(1).

ثم تظهر علي المسـرح علي حين غفلـة شخصـية فـذة لم تكن منتظرة تخرج علي كل سابقةعـدا سابقة العنف، وتؤسـس الاسـرة المقدونية القوية.

فقـد ول–د باس–يل المق–دوني بالق–رب م–ن ه–دريا نوبل Hadriaople من أس–رةأرمنية من الزراع. وأسـره البلغار وهو صغير وقضي شبابه بينهم وراء الدانوب في

1– ورد في تاريخ الطبرى حوادث سنة 246 ه ما يلى« وذكر عن نصر بن الازهر الشيعى – و كان رسول المتوكل الى الروم في امر افداء– انه قال:لما صـرت الى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملک بسوادي و سيفى و خنجري و قلنسوتي فجرت بينى و بين خال الملک بطرناس المناظرة – وهو القيم بشان الملک ...»

البلاد التي كانت وقتئذ معروفة باسم مقدونية. ثم فر منهم وهو في الخامسةوالعشرين من عمره، واتّخذ سبيله اءلي القسطنطينية، واستأجره أحد رجال السياسةليكون سائسا لخيوله لانه أعجب بقوة جسمه وضخامة رأسه. وصحب سيده فيبعثة اءلي بلاد اليونان، وهناك استلفت نظر الارملة دنيليس Danielis وحصل عليبعض ثروتها. ولما رجع اءلي العاصمة روض جوادا جموحا يملكه ميخائيل الثالث،فأدخله الاءمبراطور في خدمته، وظل يرتقي فيها حتي صار رئيس التشريفات واءن لميكن يعرف القراءة والكتابة. وكان باسيل علي الدوام قديرا فيما يوكل اءليه منالاعمال، سريع الاستجابة لها؛ فلما أن طلب ميخائيل زوجا لعشيقته، طلق باسيلزوجته القروية، وأرسلها اءلي تراقيه مع بائنة طيبة، وتزوج يودوسيا Eudocia التيظلت في خدمة الاءمبراطور. وهكذا حبا ميخائيل باسيل بعشيقته، ولكن المقدونيظن أنه يستحق العرش جزاء له علي فعلته، فأقنع ميخائيل بأن بارداس يأتمر بهليخلعه، ثم قتل بارداس بيديه الضخمتين (866)، وكان ميخائيل قد اعتاد من زمنطويل أن يملك دون أن يحكم فجعل باسيل اءمبراطوراً وترك له جميع شئون الحكم.ولما هدده ميخائيل بعزله، دبر باسيل اغتياله وأشرف علي هذا الاغتيال بنفسه،وانفرد هو بالاءمبراطورية (867)(1).

لنسجل بعض النقاط المفيدة باختصار

- وفاة تيوفئيل سنة 227ه - 841م وهي سنة وفاة المعتصم أيضاً وتيوفئيل ولدفي عمورية التي سقطت في قبضة الجيش الاسلامي 223ه - 837م.

- يتربع علي العرش ابنه القاصر ميخائيل الثالث (6 سنوات) فيتألف مجلسللوصاية برئاسة أمه تيودورا وخاله قيصر باراداس (Caesar Bardas).

1- ول ديورانت قصة الحضارة :ج3مجلد 162/4 - 164.

وتنفرد الام بالحكم مدّة 14 سنة تشن خلالها حروباً عنيفة ضد الدولةالاسلامية وتقدم علي ارتكاب مذبحة مروعة بحق الاسري المسلمين راح ضحيتها12 /000 مسلم(1).

في عام 856م قام أخوها قيصـر بارادس باعتقالها واجبرها علي دخول الدير..ويسـجل التاريخ وفاتها في سـنة 867م أي في سـنة الانقلاب العسكري بقيادةباسيل الذي ذكر التاريخ الروماني جانباً من أخلاقه فهل كانت الوفاة طبيعية وحدثتتصادفاً في نفس العام؟!

– ان بارداس بعد اعتقاله اخته وزجها في الدير أصـبح هو الحاكم الفعليللامبراطورية يعني اصـبح هو القيصر ولا ننسي ان التاريخ ذكره بهذا الاسم أيضاً.

يمكن اجراء تطبيق بين هذه المعلومات ومفادات رواية السيدة نرجس(2).

– وجود شخصية أسمها قيصر باراداس وهو الامبراطور الفعلي للبلاد وهو ماتذكره رواية السيّدة صراحة.

– في عام 867م 253ه يقوم باسيل المقدوني بقتل قيصر باراداس ثم اغتيالميخائيل الثالث واعلان نفسه امبراطورا جديداً منهياً بذلك حكم الاسرة العمورية؛وباسيل كما سجل التاريخ شخصية أمية، عنيفة ودموية.

1– ولعل هـذه الحادثة المروعة هي التي دفعت ب«قيصـرباراداس» الى اعتقها بعد اشـهر و حادثه قتل الاسـرى ذكرها الطبرى فى حوادث سنة 241ه

2– يسـتبعد المستشرق دونا لدسون ان تكون زوجة الامام الحسن احدى اميرات الروم وانها ابته يشوع ابن امبراطور الروم وان هذه القصة قد وضـعت لتوكـد على نبل الامام (المهدى)من جميع الجهات لكنه لم يسـتبعد انها كانت من بين اسـيرات الحرب في جبهات الامراطورية البيزنطية اللواتى جى ء بهن الى اسواق النخاسة جاريات في بيوت عليه القوم من المسلمين / موسوعة العتبات المفدسة– سامراء :276...ان مدونات الامامية التى اوردت تراجم امهات الائمة و اغلبهن من الجوارى لم تذكر ذلک الا لام السـجاد زين العابدين على بن الحسين عليه السـلام (امه شـهربانو ابنته يزد جرد آخر اكاسـرة ايران و ام الامام المهـدى و هى من اميرات الروم)ولم تعتمـد ذلک قانوناً لتشـريف الائمة بانساب مخترعه .

إنّ تشتت الاسرة العمورية يعزز من تشرّد وفرار أميرات القصر.. كما ان ظهورالسيدة نرجس في نفس عام الانقلاب العسكري وفي نفس الفترة التي شهدتاشتباكات ضارية وفي نفس الفترة التي تشير اليها رواية «بشر بن سليمان النخاس»وتعرف الامام الحسن علي الفتاة في منزل عمته يعزز من مفاد رواية السيدة نرجسباعتبارها اءحدي سيدات القصر وأميراته وانها وصلت بغداد علي قدر.

وقصّة الامام المهدي ليست عادية بل أنها وحسب ادبيات هذه المسألة خلاصةلقصص الانبياء بكل ما تتضمنه من معجزات واثارات وقد اشارت كثير منالاحاديث الي أوجه الشبه بين الامام المهدي وعدّة من الانبياء.

ونستطيع أن نناقش رؤيا السيدة نرجس في ضوء ما ورد في القرآن الكريم منقصص مثيرة جداً تشكل الرؤيا فيها ركناً مهمّا وليس هناك ما هو أجلي من سورةيوسف التي تشكل الرؤيا فيها الخيط المحوري علي أمتداد القصة والسورة، فالقصّةتبدأ برؤيا الكواكب وتنتهي بتفسير هذه الرؤيا وخلالها ترد رؤيا الملك التي وضعتالاحداث في مسار أكثر اءثارة.فرؤيا السيدة نرجس اذا ما وضعت في الجوّ العام الذي يؤطر حركة الرسالاتالالهية ستبدو اكثر انسجاماً، والقرآن الكريم يزخر بالشواهد المتألقة في هذا المضمار،فموسي عليه السلام ولد وعاش وترعرع في أجواء مثيرة لا تحتاج الي شرح والسيدة مريمجاءت الي الدنيا بلطف الهي.

وعيسي ابنها ولد عند جذع النخلة معجزة في الخلق..وسيدنا محمد صلي الله عليه و آله و سلم هو ابن الذبيحين فلم يكن بين اسماعيل والذبح اءلاّ لحظاتانفتحت فيها السماء، وكاد أبوه عبدالله أن يذبح، وكاد هو أن يقتل في هجرته ولم يكنبينه وبين سيوف قريش سوي خيوط العنكبوت.

ومن قبل هوي ابراهيم وهو أبو الانبياء في قلب النار فجعلها الله برداًوسلاماً.

ص: 49

وشاء الله أن تكون السيدة مليكة أو نرجس أماً للمصلح العالمي.. دفع الله عنهازواجاً لم تكن راغبة فيه وقدّر لها زواجاً آخر بعد حين، وشاء الله لها النجاة من القتلفي حوادث الانقلاب العسكري الذي راحت ضحيته الاسرة العموريـة الحاكمـة،وشاء الله لها أن تصل بغداد ثم سامراء في رحلة مثيرة لا نعرف تفاصيلها.

فالامام الهادي انتخب لابنه فتاة نبيلة من سلالة الحواريين ومع ذلك فيجب ألاّيكون للصبي الموعود أخوال يسألون عنه، ولذا ستعيش الفتاة في الظل كأية جاريةأجنبية مع انها سيّدة الاماء كما ورد في الروايات.

سامرا.. مشهد ما قبل الولادة

البلاط في مطلع عام 253ه تقوده قدره غامضة مؤلفة من أم الخليفة المعتز«قبيحة» وهي زوجة الخليفة الذي لقي مصرعه في انقلاب سنة 247ه، يعاونهاالوزير النصراني الاصل ابن اسرائيل وأبو نوح وهو غلام نصراني كانت له علاقةقوية بالمتوكل واستطاع الفرار عشية مصرع المتوكل.كانت سياسة المعتز تنهض علي أساس تصفية أعداء والده وخصومه أيا كانتاتجاهاتهم، ولذا قام بترقية الضباط المغاربة الذين اصبحوا عماد حرسه الخاص.

فيما عمّت موجة من الاعتقالات بغداد وسامراء طالت عشرات العلويين أو ممّنتُشمّ فيهم رائحة الولاء لاهل البيت: وكان في طليعة من اعتقل أبو هاشمالجعفري بأوامر شخصية من المعتز بذريعة أن البلاط يفكرّ في ارساله الي«طبرستان» للتفاوض مع الثائر العلوي «الحسن بن زيد» وتهدئة القلاقل هناك،فنقل مخفوراً الي سامراء وزجّ به في سجن خاص (1)في تلك الفترة كما قلنا وصلتالسيدة نرجس سامراء واستقبلت من قبل الامام الذي ارسل وراء اخته حكيمة

1- الطبرى :511/7 - 512 حوادث سنة 252 - 253.

واطلعها علي وصول الفتاة وطلب منها أن تأخذها الي منزلها لتعلّمها شريعةالاسلام.

ومكثت الفتاة في منزل السيدة حكيمة شهوراً ويراها الامام الحسن في أخرياتعام 253ه أو مطلع عام 254ه وتورد الروايات تفاصيل عن لقاء غير عادي بينسيدنا الحسن عليه السلام والسيدة نرجس.

وتستأذن السيدة حكيمة أخاها في اجراء مراسم الزواج في منزلها وبعد أياميصطحب الامام الحسن زوجته الرومية الي منزل والده الكبير.ونستطيع أن نحدس موقف البلاط من العلويين من خلال تعيين ابن أبيالشوارب رئيساً لسلطة القضاء وهو رجل معروف بموقفه العدائي التقليدي للعلويين(1).

في 25 جمادي الاخرة توفي الامام علي الهادي وحضر مراسم العزاء نائباً عنالخليفة طلحة بن المتوكل الذي عرف بالموفق منذ سقوط بغداد بعد حصارها سنة251ه وطلحة سيكون هو الحاكم العسكري العام منذ مصرع المهتدي في سنة 256هوسيتولّي ابنه الخلافة وسيعرف فيما بعد ب «المعتضد» سنة 279 والاخير هو الذيذكرته مدوّنات الامامية بتنظيمه حملتين لاعتقال أو اغتيال من يوجد في بيت الامام الهادي.

افرزت الحرب الاهلية وضعاً قلقاً متوتراً في سامراء اتسم بالقلاقل التي عادة مايثيرها الضباط الاتراك الذين شهدت جبهتهم انشقاقات خطيرة وتناحر من أجلأسلاب الحكم والمزيد من النفوذ.

وفي سنة 255 شهدت ميزانية الدولة عجزاً في صرف مرتبات الجيش ويعودهذا في الاصل الي اختلاسات الطغمة الحاكمة بقيادة زوجة المتوكل التي تعد الحاكم

1- المصدر السابق

الفعلي للبلاد يعاونها كما ذكرنا مجموعة من الاداريين الغامضين مثل ابن اسرائيل وأبينوح عيسي بن ابراهيم الذي ظل مصرّاً علي نصرانيته.

في جمادي الاخرة سنة 255ه قام صالح بن وصيف بعملية انقلابية وسيطرتقواته علي قصر الخليفة المعتز الذي نقل الي مكان مجهول فيما فرض الحصار الشديدعلي قصر والدته الثرية جدّاً(1).

وعقد صالح بن وصيف تحالفاً مع ضابط تركي قوي هو «بايكباك» وفي تلكالفترة انتشرت في أوساط الشيعة شائعات قوية عن نيّة السلطات في اصطحابالامام الحسن الي الكوفة واغتياله في الطريق.

سنحاول متابعة تفاصيل هامّة منذ يوم 26 رجب 255ه، فقد انفجرت أزمةخطيرة هددت حكومة المعتز بسبب العجز والتسويف في دفع مرتبات قطعات منالجيش واستنجد المعتز بوالدته التي امتنعت من دفع مبلغ 000/ 50 دينار وتذرّعتبأنها لا تملك هذا المبلغ، وتعللت بأن أموال الدولة لم تصل بعد من الاقاليم، لكنها فيالحقيقة كانت قد ارسلت رسالة مستعجلة الي موسي بن بغا في وقف العملياتالحربية في ايران والعودة بأقصي سرعة لمعالجة الوضع الخطير المتفجّر في سامراء(2).

وقبل أن يصل موسي بن بغا كان الوضع قد تدهور والقي القبض علي المعتزوتعرّض للتعذيب والاهانة ثم وقع وثيقة التنازل عن الخلافة باكياً.

وتم تنظيم المحضر باشراف رئيس سلطة القضاء ابن أبي الشوارب..

وتضمنت الوثيقة تعهداً من الضباط الاتراك بالحفاظ علي حياته وحياة والدتهوشقيقته.

1- بالرغم مما اورده التاريخ من بررات و لكن السبب الرئيس يعود الى هواجس الضباط الا تراک من اجراءت انتقامية قد تقوم بها زوجة المتوكل من الذين اشتركوا في عملية اغتيال زوجهاا و لعل اعتراف ابن مخلد بوجود خطة لاغتيال «صالح بن وصيف» يعزز ذلک

2- الطبرى : 526/7 حوادث سنة 255ه

وضرب الحصار علي قصر «قبيحة» ورابطت قوة من الجنود الاتراك عليبوابات القصر.

واعلن في الثاني من شعبان عن وفاة الخليفة المخلوع وقبل الاعلان كان قد تمتسمية محمد بن الواثق خليفة.

وعندما صدرت الاوامر باقتحام قصر قبيحة لمصادرة ممتلكاتها فوجيء الجميعباختفائها وفرارها عبر نفق.

وهكـذا اختفت عن الانظار، فانتشـر رجال الشـرطة للبحث عنها كما رصـدتجوائز مغرية لمن يدلّ عليها أو يقدّم معلومات تفيد في القبض عليها، وأُنذر الذينيساعدونها في الاختباء بأقسي العقوبات.

علي أن الشـبهات كـانت تحوم حول منزل تقطنه احـدي زوجـات القائـد العسكريموسـي بن بغا فوضع المنزل تحت المراقبـة، ولكن القائد وصيف كان يتهيب اقتحامالمنزل خوفاً من خطوة انتقامية يقوم بها القائد موسي بن بغا الذي قد يصل سامراءبين لحظة وأخري.

وانفجرت أزمة الجيش مرّة أخري بسـبب عجز صالح بن وصـيف عن دفعمرتبات الجنود، ولذا أقدم القائد العسكري الذي يحكم البلاد بقوّة بتعريض ابناسـرائيل وأبي نوح وابن مخلد للتعذيب فانهار الاخير واعترف بوجود خطة لاغتيالصالح بن وصـيف باشـراف قبيحة وابن اسرائيل وأبي نوح (عيسـي بن ابراهيم) وشاءالقـدر أن يتقدم أحدهم ليدلي بمعلومات حول وجود كنوز سـرّية تعود لقبيحة فعثرعليها ووجدت أموال أسطورية دفعت صالح بن وصيف للتصريح قائلاً:

– قبّح الله قبيحة عرّضت ابنها للقتل في خمسين الف دينار وعندها هذه الاموالفي خزانة واحدة من خزائنها![(1)]

1– الطبرى :529/7.

وتم تنفيذ حكم الاعدام بحق ابن اسرائيل وأبي نوح فيما قرّرت قبيحة الظهوروارسلت من مخبئها وسيطاً للتفاوض مع صالح بن وصيف.

ونسجّل هنا عدّة حوادث منها اندلاع ثورة الزنج في أهوار العراق واقتحاممدينة البصرة، وتقدّم قوّات الصفّار باتجاه العراق، واستمرار الاشباكات مع قواتالحسن بن زيد العلوي الذي أسس دولة طبرستان في الشمال الايراني.

وقام الخليفة المهتدي (محمد بن الواثق) باجراءات لكسب التأييد الشعبي منهاترحيل المطربين والمطربات الي بغداد واعدام بعضهن. وطرد الكلاب وتعطيلالملاهي، كما ترأس بنفسه محكمة الاستئناف وقد برّر كل ذلك بانه غيرة عليالعباسيين لانه لا يوجد بينهم من يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز(1).

ولا ننسي أيضاً انه باشرافه وبمباركته صودرت كل ممتلكات قبيحة وابنائهاوالمقرّبين منها وتم ترحيلها الي مكّة وقد سجل الطبري صرخاتها الهستيرية وهيتودّع سامراء دون رجعة:

- اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك ستري وقتل ولدي وبدّد شملي وغرّبنيعن بلدي، وركب الفاحشة مني.(2)والي جانب هذه الاجراءات قام المهتدي بخطوات احترازية لتثبيت حكمه منهاابعاد بعض الشخصيات العباسية في طليعتها طلحة بن المتوكل الذي اكتسب لقب«الموفق» منذ احتلال بغداد في الحرب الاهلية سنة 252ه.

كما قام باعتقال الامام الحسن وزجّه في سجن خاص مع تأكيدات بمعاملتهمعاملة قاسية، وقد سلّم صالح بن وصيف الامام الي علي بن أوتامش المعروفبفظاظته وقسوته وعدائه للعلويين.

1- تاريخ العباسيين لا بن وادران : 643.

2- الطبرى : 529/7.

وقد تعرّض صالح بن وصيف الي الانتقاد بعد أن وصلت القصر تقارير حولمعاملة طيبة للامام فقال القائد التركي:

- وماذا تريدوني أفعل لقد سلّمته الي رجل ليست في قلبه رحمة، ولكن ابناوتامش لا يرفع الان رأسه اجلالاً له(1).

في ذي القعدة ساد التوتر سامراء بعد انباء عن اجتياز موسي بن بغا وقواتهمرتفعات همدان في طريقه الي سامراء.

وتزامن ذلك مع توقيف ابن أبي الشوارب رئيس سلطة القضاء بتهمة الفساد(2).

ومع ان مدونات الامامية تذكر تاريخ 15 شعبان 255 هجرية كاحدي التواريخالتي ولد فيها المهدي عليه السلام لكن الدارس لتلك الحقبة العاصفة يستبعد ذلك لان الامامكان معتقلاً وقد نقل عنه حديثه مع أحد السجناء.فقد سأل الامام السجين:

- هل رزقت ولداً؟

- لا

- اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد.

ثم تمثّل بقول الشاعر:من كان ذا ولد يدرك ظلامتهان الذليل الذي ليست له عضدويسأل السجين الامام:

- ألك ولد- اي والله سيكون لي ولد يملا الارض قسطاً، فأما الان فلا.

ويبدو أن الامام قد اعتقل سنتين ولم توجه له اتهامات واضحة كما وجهت

1- اصول الكافى :508/1.

2- الطبرى :567/7.

لوالده الراحل.

ومن المؤكد ان اخبار المهديالذي سيولد قد انتشرت وافرزت هواجسللمؤسسة الحاكمة.

ونري أن المهتدي يطلق تهديدات تتوعد الشيعة بالفناء(1).

وقد تعرّضت مدينة قم وهي مركز شيعي ناشط لحملة اضطهاد دفعت بأهلهاالي ارسال صيحات استغاثة للامام(2).

ومن الاضاءات المفيـدة أيضاً أن نـذكر وصول قوات موسـي بن بغا سامراءوتقـدمها لاحتلال قصور الخلافـة قـد زاد من ارباك الاوضاع، ولا ننسي ان قواتالصفار ما تزال تواصل تقدّمها وأن ثورة الزنوج باتت تشكل تهديداً خطيراً بسببسرعة انتشار لهيب الثورة سيّما وأن قائدها أراد أن يضـفي علي نفسه المزيد من البريقبادّعائه الانتساب الي أهل البيت، اضافة الي الهزائم التي لحقت بالدولة في صراعهامع الروم، وسنري أن مؤسسة الحكم تحرص علي استصدار تصريح من الامام لتكذيب هذا الادّعاء.

وفي يوم عاشوراء من سـنة 256ه كانت سامراء اشـبه بمدينـة محتلّة في قبضةقوات موسـي بن بغا فيما فضل صالح بن وصـيف الاختفاء عن الانظار.

وليس من باب الاعتباط أن يؤثر عن الامام الحسن عليه السـلام حرز تعكس كلماتهخطورة الاوضاع التي عاشـها الامام ونجد فيه ما يدفعنا الي التوقف مثلقوله:

- «احتجبت بحجاب الله النور الذي احتجب به عن العيون...

واحتطت علي نفسي وأهلي وولدي..»(3).

1- حياة الامام الحسن العسكرى دراسة و تحليل باقر شريف القرشي :252.

2- حياة الامام الحسن العسكرى دراسة و تحليل باقر شريف القرشي :252.

3- مهج الدعوات :44.

ولادة الامام المهدي لماذا 15 شعبان 256ه؟

روايات كثيرة ذكرت سنة 255ه باعتبارها العام الـذي ولـد فيه الامام المهـديلكن الذي يتأمل تلك الفترة كما قلنا سوف يركن الي تاريخ 15 شعبان سنة 256ه،واضافة الي ما ذكرنا من أن الامام كان في سـنة 255ه معتقلاً وقد ورد عنه قوله أنسـيكون له ولد فيما بعد فأننا نري الامام سوف يفرج عنه بعد مصرع المهتدي وبقاءالبلاد دون تسمية خليفة جديد.

وهناك رواية تشير الي أن الامام قد تنبأ بمصير المهتدي الاسود بعد اطلاقهالتهديدات بشأن الشيعة.(1)

ومسـلسل الاحـداث التي أدت الي مصـرع المهتـدي يبـدأ بمحاولـة الخليفـة التصديللاتراك وضـربهم معتمداً عل مساندة قوات مؤلفة من قطعات من الاتراك والمغاربةومعوّلاً علي الاسـناد الشعبي ولكن مع انفجار الوضع انحاز الاتراك الذين في جبهتهالي اخوانهم وفرّ المهتدي وتخلّي عنه الجميع.

وقـد سـجّل الطبري صـيحاته وهو يـدور في شوارع سـامراء وأزقتها:- يا معشـر الناس! أنا أمير المؤمنين.. قاتلوا عن خليفتكم ولم يكترث له أحـد.واتجه الي السـجن وأمر باطلاق السـجناء متوقعاً عونهم ولكنهم فضـلوا الفراروا ختفوا في الازقة القريبة وقد حصل ذلك في 13 رجب 256ه، والقي القبض علي الخليفة الهارب في نفس اليوم.

وفي يوم 16 رجب أعلن عن تنصيب الخليفة الجديد الذي اطلق سراحه منالسجن ومنح لقب «المعتمد».

وفي 18 رجب اعلن عن وفاة الخليفة المهتدي وأن الوفاة كانت طبيعية!!

ويبدو أن الضباط الاتراك كانوا ميالين الي تنصيب طلحة بن المتوكل «الموفق»

1- المصدر السابق :274.

ولكنه كان في منفاه في مكّة فاستعاضوا عنه باخيه المعتمد رغبة في حسم الوضعالقلق واعادة الامن الي البلاد التي ما تزال تعصف بها انباء الهزائم في الجبهة الشماليةمع الروم وزحف جيوش الصفار وانباء ثورة الزنج المقلقة.

وسوفنريأنالمعتمد سيكون الي حدّ ما خليفة بالاسم وأن الخليفة الفعليالحاكم للبلاد أخوه «الموفق» القائد العام للجيوش العباسية والحاكم العسكري.وفي 2 شعبان 256ه تم تنصيب «عبيدالله بن يحيي بن خاقان» رئيساً للوزراء(1)وهو شخصية ادارية استطاع أن يعيد الي سامراء قدراً من الهدوء.

وعبيد الله بن يحيي سياسي قديم كان وزيراً متنفذاً في بلاط المتوكل وقد شهدمصرع الاخير ولم ينس بطبيعة الحال تلك الفترة العاصفة في سقوط الطاغية ونبوءةالامام الهادي المشهورة، ولذا رتّب علاقة طيبة مع نجله الامام الحسن الذي سجل لهالتاريخ نبوءة مشابهة بشأن المهتدي.

ولذا اكتفي القصر بمراقبة الامام والزامه بالحضور الي القصر مرّتين في الاسبوعفي يومي الاثنين والخميس.(2)

وفي مثل هذه الظروف ستكون ولادة الامام المهدي في منتصف شعبان 256هتموز عام 870م وقتاً مثالياً جداً.

مشهد الولادة كما تصوره السيدة حكيمة

شمس غروب تموز (3)تقرض المنازل بغلالة ذهبية وكانت نسائم نديّة تهبّ منناحية دجلة، وقد بدت المئذنة الملوّية تستعد لرفع الاذان.

انفتح باب منزل الامام ليخرج خادم أسود تفوح منه رائحة المسك آخذاً سمته

1- الطبرى :597/7.

2- تاريخ الغيبة :223.

3- وقعت حوادث هذا الفصل في تموز سنة 870 م شعبان سنة 256ه

الي منزل قريب هو منزل المرأة الصالحة حكيمة بنت الجواد عمّة الامام الحسن التيما انفكّت تتفقّد ابن اخيها وتزور زوجته الطيبة «نرجس» تلك الفتاة التي امضتشهوراً طويلة في منزلها قبل ان تنتقل الي منزل أخيها.طرق كافور الخادم الباب علي عمة الامام قائلاً:

– ان سيدي يقول: اجعلي افطارك الليلة عندنا!خفق قلب السيّدة لهذه الدعوة، وشعرت أن أمراً مهمّاً يكمن وراء ذلك.

عندما غطست الشمس في بحيرة المغيب كانت السيدة حكيمة تلج منزل ابنأخيها...

المنزل تفوح فيه روائح ورود ربيعية..استغرفتها حالة فرح عندما استذكرت انها ليلة جمعة حيث تحلو أحاديث السمرفي سماء صيفية تزخر بالنجوم.منذ أيام وهي لم تسعد برؤية فتاتها الطاهرة نرجس.

استقبل الامام عمّته بابتسامة أضاءت وجهه الاسمر، وهي ايضاً فرحت بلقاءابن أخيها.. ولكنها سرعان ما شعرت بالالم لمنظر الشيب في ذقنه رغم أنه لم يبلغالخامسة والعشرين من ربيع العمر!

نظرت في عينيه وقد تألق فيهما نور سماوي كانت تريد استكشاف ما وراء هذهالدعوة في هذا الوقت!قال الذي عنده علم الكتاب:

– اءنها ليلة النصف من شعبان..وأردف وهو ينظر الي السماء.

– وان الله تبارك وتعالي سيظهر في هذه الليلة حجّته في الارض..والتفت اليها قائلاً بصوت فيه أصداء النبوءات البعيدة:

– سيولد في هذه الليلة المولود الكريم علي الله عز وجل.. الذي يحيي الله بهالارض بعد موتها.

ص: 59

كانت حكيمة تتوقع ذلك منذ أمد ولكن التوقيت أدهشها لانها كانت تتفقدجواريه فلعل «نسيم» أو «ماريا» قد حملت منه.. وعهدها بنرجس قبل ايام قالتبلهجة فيها تساؤل مشوب بدهشة:- ومن أمّه؟!

- نرجس- نرجس؟! فداك يا بن أخي ما بها من أثر.

قال الذي مسّته السماء بالطهر:

- هو ما أقول لك!وجاءت نرجس تستقبل المرأة التي علمتها كلمة الاسلام:

- يا سيدتي وسيّدة أهلي كيف أمسيت؟

عندما وقعت عينا حكيمة علي «نرجس» خفّت اليها وعانقتها قائلة!

- بل أنتِ سيدتي وسيّدة أهلي!غمرت الدهشة وجه نرجس البري:

- ما هذا يا عمّة؟!

وانحنت لتخلع خفّي المرأة الصالحة التي تشعر قربها بالسكينة:

- ناوليني خفّك يا سيدتي؟!

قالت السيدة حكيمة وقد أشرقت الفرحة في عينيها:

- بل أنت سيدتي ومولاتي.. والله لا أدفع خفّي لتخلعيه، ولا لتخدميني.. بلأنا أخدمك علي بصري!

ارتسمت في عيني نرجس النجلاوين علامات سؤال كبري، ورمقت باجلالزوجها العظيم الذي ابتسم قائلاً:

- جزاك الله ياعمّة خيراً!

وقادت السيّدة حكيمة نرجس الي الحصير وقد غادر ابن اخيها المكان.. قالتوهي تقبل علي الفتاة بفرح:

– يا بنيّة انّ الله سيهبُ لك في هذه الليلة غلاماً سيّداً في الدنيا والاخرة.

وأطرقت نرجس وقد تورّدت وجناتها بوهج الحياء.

القمر يتألق في سماء بهية مغمورة بنور شفيف، وكانت السيدة حكيمة قدتناولت افطارها بعد أداء فريضة العشاء وأخذت مضجعها تسبح الله وتحمده..وبقربها رقدت السيدة نرجس.. أمّا الامام فقد أخذ مضجعه فوق صفّة في فناءالبيت..

عيناه تسافران عبر المديات البعيدة حيث تومض النجوم في سامراء غارقة فيهدأة الليل والمنارة الملوّية تبعث ضوءاً خابياً يرشد القوافل المسافرة..

البدر ما يزال بهياً في الهزيع الاخير من الليل، وقد كفّت الذئاب البعيدة عنالعواء.

استقيظت السيدة حكيمة كعادتها في مثل هذا الوقت لاداء صلاة الليل..ونهضت تسبغ وضوءها.. ألقت نظرة علي نرجس كانت تغفو بسلام.. أنفاسهامنتظمة ووجهها الملائكي يعكس ما تزخر به أعماقها من طهر ونقاء..

كان الامام قد استيقظ وأسبغ وضوءه لرحلة الليل يرافق القمر والنجوم.. قلبهيطوف السماوات البعيدة.. لم يكن الامام ذاق من النوم سوي لحظات.. وكيف له أنينام وهو يترقب ميلاد البشارة.. بشارة الرسالات القديمة..

في هذه الليلة المباركة سيولد شبيه موسي بن عمران وعيسي بن مريم..

أدّت السيدة حكيمة وردها في غمره الليل.. وعندما جلست تسبّح لله.. هبّتنرجس من رقادها تغمرها حالة من ذعر وترقب..

غادرت الحجرة تسبغ الوضوء لصلاة الليل..

كانت السيدة حكيمة تراقبها طوال الوقت ولم يكن يبدو عليها أي من آثارالحمل..

الفتاة الطاهرة مستغرقة في العبادة وشلاّل من الصلاة يتدفق في جنبات المكان..

وقد غمرت الفضاء أنفاس السحر النديّة..

لحظات السحر الاخيرة.. لحظات لا تنتمي لليل ولا للنهار..

الفجر الاول علي وشك الانفلاق.. وقـد نفد صبر العمّة المؤمنة.. خرجتلتنظر الي السـماء وقد تداخلها شك في وعد الاءمام.. هتف الامام من مصلاّه في فناءالبيت وقد اشتد سطوع النجوم:

– لا تعجلي يا عمّة.. فانّ الامر قد قَرُب!!

وفيما هي تهمّ بالعودة ناداها الامام:

– لا تشكّي..

شعرت المرأة بالخجل من طبيعة مشاعرها وهي المرأة التي نشأت في دفء أهلالبيت..

وفي باب الحجرة وقعت عيناها علي نرجس مذعورة خاطبتها العمّة بلهفة:

– هل تحسّين شيئاً يا ابنتي؟

– نعم يا عمّة!

اني أجد أمراً شديداً.قالت حكيمة وهي تهدّي من روعها:

– اسم الله عليك.. اجمعي نفسك... واجمعي قلبك.. فهو ما قلت لك..

– أنا خائفة يا عمّة!!

– لا خوف عليك يا ابنتي.وقادت السيدة حكيمة الفتاة الطاهرة سليلة مريم البتول الي وسط الحجرة.

والقت لها وسادة واجلستها برفق استعداداً للحظة الميلاد الموعودة..

كانت السيدة حكيمة في حال يرثي لها، وعرق جبينها بسبب ما تبذله من جهدللسيطرة علي مشاعرها التي راحت تضطرم في أعماقها..

ان لحظات الميلاد تقترب سوف يأتي الي الدنيا الصبي الذي بشّرت به الانبياء..

أمسكت نرجس بيد العمّة الطيبة وراحت تعصرها عصراً شديداً.. اءنهالحظات المخاض الكبير..

انطلقت أنّة تجسّد كل آلام الميلاد... الفضاء يغمره جوّ غريب لم تألفه من قبلأنها تكاد تحس خفق أجنحة الملائكة..

وخيّل اليها أنها تسمع همهمة تشبه تلاوة لايات القرآن..

السيدة حكيمة تكاد تفقد توازنها.. وسمعت الامام يناديها من وراء الحجرة:

– اقرأي عليها سورة الدخانوراحت السيدة حكيمة تتلو آيات الدخان:

– بسم الله الرحمن الرحيم

حاء، ميم... والكتاب المبين.. انا انزلناه في ليلة مباركة.. اءنّا كنا منزلين..فيها يفرق كل أمر حكيم...

غمر فضاء الغرفة جوّ عجيب.. وكانت نرجس تطلق أنّات الميلاد وتعصربشدّة كفّ السيدة الطيبة... فجأة انبثق نور بهر عيني السيّدة ولم تَعُد تري ماحولها.. فكأن نرجس نفسها قد اختفت..دقّ قلبها خوفاً.. وهبّت صوب باب الحجرة تستنجد بابن اخيها..كان الامام علي مقربة من الباب فنادي عمّته:

– ارجعي يا عمّة.. انك ستجدينها في مكانها..كان وجه نرجس يسطع نوراً سماوياً..

وبدت وكأنها مريم ابنة عمران وقدجاءها المخاض عند جذع النخلة..

ورأت الصبي متلقياً الارض بهيئة السجود..

كان نظيفاً.. طاهراً ليست فيه آثار الميلاد..

كلؤلؤة تشعّ علي شاطيء بحر.. أو كقطرة ندي تتألق فوق زهرة في أولالفجر...

وكان الاب ينظر الي السماوات وقد بدت النجوم قلوباً تنبض بالامل..

الصبي القادم من رحم البشارات يحمل ملامح النبوات الغابرة.. يحمل من موسيبن عمران قلق الفرعون، وكان يبحث عنه جنيناً.. ويحمل من المسيح عيسي بنمريم كلماته في المهد صبياً... ويحمل من نوح عمره الطويل ومن ابراهيم فأسه التيهشم بها وجوه الالهة المزيّفة ومن محمد الامين اسمه وكنيته ورسالته...

اخذت حكيمة الصبي الطاهر بكتفيه وضمته الي صدرها وأجلسته فيحضنها.. وناداها الاب بلهفة من يريد رؤية الوليد المبارك:

– هلمّي اليّ بابني ياعمّة.

وحملته السيدة حكيمة وقد غمرتها حالة من الخشوع لكلمة الله ووعدهالصادق.

أخذ الاب ابنه وأجلسه علي راحته اليسري وجعل راحته اليمني علي ظهرهوراح يشمّ ابنه الطاهر في عينيه وأذنيه وفمه وهمس بصوت فيه ترجيعة لاصوات الرسل:– تكلم يا بني! انطق بقدرة الله!

تكلم يا حجة الله!

وبقية الانبياء.. وخاتم الاوصياء!!

تكلّم يا خليفة الاتقياء!

وحدثت المعجزة: وتدفق صوت ملائكي من الصبي الذي تلا آية تجسد أهدافالسماء وطريق الانبياء.

– بسم الله الله الرحمن الرحيم.. «ونريد أن نمنّ علي الذين استضعفوا فيالارض، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين..

ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوايحذرون».

وغمرت الدموع عين الاب لقد تحقق وعد الله.. ان الله لا يخلف الميعاد..

ص: 64

وانفلق الفجر.. وارتفع الاذان من مآذن سامراء، وقال الاب لعمّته التي طفحعلي وجهها الفرح الاكبر.

- يا عمّة ردّيه الي امّه كي تقرّ عينها، ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق، ولكنأكثر الناس لا يعلمون(1).

كلمات الاذان ما تزال تنساب في لحظات الفجر النديّة..

وضعت السيدة حكيمة الصبي الطاهر في احضان والدتة التقية وغادرت المكان.

كانت الفرحة تتألق في عينيها بالرغم من مسحة الحزن.. فهذا الصبي يجب أنيبقي ميلاده سرّاً!!

وغمرت الام ابنها بنظرات تزخر بالرحمة والحنان.. يا ولدي الحبيب.. كيفتعيش بين أناس يبحثون عنك ليقتلوك؟!

الصبي نائم تتألق فوق وجهه هالـة من أنوار النبوّات الغابرة وبشائر الرسالاتالقديمـة...أنفاسه الهادئـة فيها أنغام الزبور.. تراتيل التوراة.. بشارة الاءنجيل وآياتالقرآن العظيم..

لقد سمعت من زوجها النبيل أنها ستنجب صبياً يملا الارض بالعدالة والحقيقة..

وتوهّجت في أعماقها كلمات مقدسة كانت قد حفظتها وهي تتردد علي الكنيسة:

- «وأما اسماعيل فقد سمعتُ قولك فيه، وها أنذا أباركه وانمّيه وأكثّر عدده جداًجداً ويلد اثني عشر رئيساً واجعله امّة عظيمة»(2)

.هاهي تنجب الامام الثاني عشر.. خاتم الاوصياء.. والانسان الذي يحققاحلام الانبياء.

1- الغيبة الصغرى :261 - 268.

2- سفرة التكوين :20/17 بالاستناد الى «الكتاب المقدس تحت امهجر »عودة مهاوش الاردنى :152.

قبل ان تغيب نجمة الصبح كان الامام قد طلب من عمّته ومن زوجته أن يبقيميلاد الصبي سرّاً مكتوماً عن الجميع.

روايـة السـيدة حكيمـة صورة أخري تؤكد عظمة هذا الطفل الموعود فقد تضـمنتأبعاداً تذكر بالنبي موسـي بن عمران عليه السـلام وبالسـيد المسـيح عليه السـلام.ولدي متابعة بعض التفاصـيل في حياة الامام الحسن العسكري نجده قد انتهجاسلوباً في غاية الحذر في الاعلان عن ولادة الطفل الموعود والامام الاخير الذي يملاالارض بالعدالة والدفء.

ومن المفارقات في الدراسات الحديثة أن نجد بعض دارسـي التاريخ ينطلقون فيالتشـكيك من خلال حادثة أو حادثتين يمكن تفسيرهما في الظروف التي اكتنفتهاتفسـيراً ينسـجم مع الخط العام والاعتقاد السائـد لا في مصادرة تاريـخ مضـطهد كتب فيظروف حرجـة جداً فيما نري المستشرقين يدركون ذلك ويتعاملون مع تراث الامامية‌التاريخي في حالة من الاحترام الكامل.(1)

وهـذا تـذكير بما ورد في مقدمـة البحث في أن بحث هـذه المسألـة بأدوات وظروفمختبرية لن يكتسب صـفته العلمية والموضوعية أبداً وأن مسألة حساسة يجب أنتدرس في ظروفها بل أن مسألة دراسة الظروف العامّة اصبحت من شروط الدراسةالتاريخية لاية فكرة.

وسنري كم هو سطحي من يريد التشكيك بولادة الامام المهدي من خلال ماسجّله التاريخ من حيرة الشيعة عقب وفاة الامام الحسن وتهنئة البعض لجعفر الكذاببالامامة.

ولاـ نريـد أن نسـتبق ذلـك وسـنتابع بعض الاجراءات التي قام بها الامام الحسن فيالكشف الحـذر عن وجود ابنه المنتظر وولادته، واختبار احدي طرق اختبائه.

1- راجع «سامراء في المراجع الغربية/موسوعة الععتاب المقدسة كتاب سامراء.

هناك ظاهرة في حياة الامام الهادي وهي انحسار لقاءاته المباشرة بالناس ونجدما برر ذلك في أن قدوم الامام الهادي لم يكن باءرادته وقد عرف عن الائمة جميعاًعشقهم العميق لمدينة جدّهم صلي الله عليه و آله و سلم، وسنجد ان هذه الظاهرة ستشتد في حياة الامامالحسن العسكري بسبب بعض الظروف، منها تفاقم خطر دولة طبرستان العلويةوتعاظم خطر ثورة الزنج التي ادّعي زعيمها نسباً علوياً أيضاً، نضيف الي ذلك أيضاًانتشار أحاديث حول ظهور المهدي وهذه مسألة استثمرها بعض المعارضين للنظامالعباسي بل أنها أدّت الي نشوء دولة المهدية في المغرب فيما بعد.

اننا نفتتح الاشارة الي حساسية الوضع من خلال رواية تذكر خروج موكبالامام مع موكب الخليفة في مراسم توديع «الموفق» قائد الجيوش العباسية التي تقررزحفها باتجاه جنوب العراق لاخماد ثورة الزنج.

وقد انتابت أحد الشيعة رغبة عارمة في أن يهتف:- «أيها الناس! هذا حجة الله فاعرفوه».

ولكن الامام الحسن يشير اليه أن يسكت وهمس وقد مرّ قريباً منه:

- أما أنك لو أذعت لهلكت.. انما هو الكتمان أو القتل فأبقوا علي أنفسكم.(1)

ولعل ما يدعو الي التأمل أن الامام الحسن يأمر ذات يوم رجلاً يعمل في الداروهو ظريف الخادم أن يدخل حجرة فيري ظريف لدي دخوله صبياً مستغرقاً فيالصلاة، ويخبر الامام بما رأي ثم يأمره الامام مرّة أخري أن يعود لينظر الصبي،وفوجيء ظريف بالحجرة خالية!

أليس في هذا الاءجراء اختبار لطريقة من طرقاختفاء الصبي؟

ألا يحتمل وجود نفق أو ممر سرّي في الحجرة يؤدي الي مخبأ ما كالسردابوغيره وربما يؤدي الي خارج الدار؟

1- اثبات الوصية :251.

ونحن ما نزال نتـذكر الطريقـة التي فرّت فيها زوجـة المتوكل واختفت عن الانظارمنذ شـهر رجب وحتي منتصف رمضان عندما قررت هي الظهور والتفاوض معالضابط التركي صالح بن وصيف.

فكيف بالامام الهادي الذي اشتري قصـراً فخماً من قصور سامراء واصبح ملكاًللامام ونجله منذ سنة 234ه وبين هذا العام وحتي عام 256 اكثر من عشـرين سـنةكافية لاسـتحداث ممرّات وأنفاق سرّية داخل القصر الكبير بل اننا لا نجد مبرّراًللامام الهادي في شراء مثل هذا القصر وقد عرف عنه زهده في حطام الدنيا.

ونحن لا ندّعي ان فخامة المنزل ووجود قناة جوفية وسرداب أدلّة كافية ولكنهاقرائن تعزز من أخبار ولادة الامام المهدي في مقابل غياب أدلّة النقض باسـتثناء اثارةغبار الشـكوك في ما سـجله التاريخ من حيرة الشـيعة وهي مدوّنات اشارت ضمناً اليبروز تيار يوقن بولادته وأن خفيت بسبب الظروف الخطيرة.

وتـذكر المدونات الشـيعية أن الامام الحسن كشف لبعض اصـحابه ممن يثق بهمهويّة الطفل الموعود وعرّفهم به ونوّه بظاهرة الغيبة الطويلة التي قد تربك تفكيرالكثيرين من الشـيعة، وقد بحث الشهيد صادق الصدر في موسوعته عن الامامالمهدي ذلك مفصلاً ولا نريد الاسترسال في هذا الموضوع.

ونسـجل هنـا خبراً ورد في اثبـات الوصـية حول ارسـال الطفـل مع جـدّته اليالحجـاز في موسم الحـج اءذ طلب الامام الحسن من والـدته اصطحاب الصبي وكان ذلكفي سنة 258ه وسنجد أن الامام الحسن سوف يعتقل خلال تلك الفترة مع أخيهجعفر ويزجان في سجن خاص فيه شخصـيات في طليعتها أبو هاشم الجعفري وهوشخصـية لها وزنها وكان معتقلاً بأوامر شخصـية من المعتز وقد مرّ عليه في الاعتقالسبع سنوات.

والطبري ذكر ظروف اعتقاله وارساله مخفوراً من بغداد الي سامراء.

ويورد المسعودي وصول القافلة منطقة هي اءحدي محطات القوافل الرئيسية

ص: 68

ذكرهـا الطبري باسم «القرعاء» وهناك يسـمع قادة القوافل بأنباء الجفاف واحتمالاتالظمأ وتعرّض القوافل الي غارات قطاع الطرق واللصوص وأن معظم القوافلعادت.

أما المسعودي فيذكر اصرار الجدّة وحفيدها والوكيل المرافق لها علي الحجومعهم بعض الحجيج ووصول القافلة بسلام.

والتطابق بين الرواية التي يوردها المسـعودي وأخبار الطبري تجعلنا نزن الاموربمكيال واحد فالرواية الرسـمية التي ذكرت عودة قوافل الحج بسبب الاخطار المحتملةالتي ذكرها المسعودي مضيفاً اليها وجود والدة الامام الحسن ومعها الصبي.

كما أن اعتقال الامام الحسن حدث بعد ذلك بفترة وجيزة يجعلنا نتفهم طلبه منوالدته اصطحاب الصبي الي الحجاز.

ومسألة الاعتقال لا يمكن تفهمها اءلاّ في ضوء انتشار أخبار ظهور المهدي سـيماوأن أحد القاب الامام الحسن العسـكري هو «الصامت»، فلم يعهد عن الامام أيشـكل من أشـكال التحرك السياسـي الذي يثير مخاوف السـلطة، فاءذا اضفنا الي ذلكتصريحات الخليفة حول جعفر: «أني قد حبسته بجنايته علي نفسه وعليك وما يتكلّمبه» فقد تتكون لدينا صورة واضحة الملامح حول مخاوف السلطات.

حياة الامام الحسن.. أشعة الغروب

من المفيد أيضاً أن نرسم مشهد الليلة الاخيرة من حياة الامام الحسن عليه السلام فيضوء ما أوردته المدوّنات الشيعية:

لا أحـد يـدري ما الـذي حصل فجأة!! وفيما كانت شـمس الخريف تقرض منازل سامراء بأنوارها الباهتـة.. شـعر الامام بحالة من الضـعف الشديد والنحول اضطرتهالي ملازمة الفراش..

وبطريقة تدعو الي التساؤل والدهشة وصل النبأ الي مسامع رئيس الوزراءعبيدالله بن يحيي بن خاقان!!

هل كانت هناك محاولة لاغتيال الامام؟!

ولماذا يبادر ابن خاقان للاجتماع بالخليفة شخصياً ويطلب منه ارسال مجموعةمن رجال القصر لملازمة منزل الامام؟ واذا كان الهدف من ذلك تقديم الرعاية للامامفما هو المسوّغ في ارسال «حرير الخادم» سجّان الامام الذي سمعت تهديداته للامامذات يوم وهو يقول: «والله لارمينّه للسباع»(1)!

هل هناك أسرار وراء ما يجري؟ هل وصلت البلاط تقارير حول وجود صبيأُحيطت ولادته بالكتمان؟

وهل ولد المهدي حقّا؟ماهي بالضبط مهمّة موظفي القصر؟! لقد أصبح منزل الامام مشحوناًبالخطر.. ولماذا تتخذ الحكومة مثل هذا الاجراء تراقب وفاة الامام ومن أين لها علمباءنَّ الامام علي حافّة الموت وهو ما يزال في ريعان الشباب ولم يبلغ الثلاثين بعد؟!..

مرّت ثلاثة أيام من ربيع الاول وقد انتكست حالة الامام الصحية، فأصدررئيس الوزراء أمراً باحضار فريق من الاطّباء لاجراء فحوصات وتقييم حالة الاءمامالصحية..

أجري الاطباء فحوصاتهم وتبادلوا نظرات ذات معني!(2) لقد دُسّ اليه السم مافي ذلك من شك! وليس هناك من وسيلة للعلاج.

واستقرّ رأيهم علي أن حالة الامام ميأوس منها.. وأنه يموت ومع ذلك فقدأصرّ رئيس الوزراء علي بقائهم في منزل الامام!!

1- اعلام الورى : 360 الارشاد: 324،الغيبة الصغرى : 290.

2- الارشاد :383.

كما استدعي ابن خاقان رئيس سلطة القضاء وطلب منه انتخاب عشرة رجاليعملون في سلك القضاء، ومن ثم ارسالهم الي منزل الامام!

وأصبح عدد موظفي الدولة خمسة عشر غير الاطباء!! تري ماذا يجري؟!ماهو الهدف من وراء كل هذه الاجراءات العجيبة؟!

هل هناك محاولات للكشف عن وجود وريث للامام؟.. وهل هي محاولةللتنصل من مسؤولية اغتيال الامام؟ أو مواجهة الشائعات التي قد تنتشر حولاسباب وفاة ابن الرضا وهو ما يزال شاباً؟! لا أحد يدري!!

مشاعر خليطة من الحزن والقلق والتوتر تخيم علي أجواء المنزل، الذي بداوكأنه قلعة يحاصرها الاعداء..

وبالرغم من تردّي حالة الامام الصحية اءلاّ أنه كان في كامل وعيه وكانت شؤونالمنزل تمضي حسب برنامج دقيق باءستثناء جعفر الذي بدأ يتصرّف وكأنه ربّ البيتوالسيّد المطاع.

الزمن يمرّ متوتراً.. الاءمام في حجرته راقد في فراش المرض زوجته السيدةنرجس في حجرة أخري.. ماريا ونسيم في حجرة مستقلة.. كافور وعقيد يعملانبصمت وحزن تري أين الصبي؟! هل كان مختبئاً في مكان ما من السرداب؟!هل كان في منزل السيدة حكيمة؟!

رجال القصر وموظفوه محشورون في الرواق المؤديالي غرفة الاءمام وفي قبالذلك حجرة السيدة نرجس، أما السرداب فيوجد اسفل الغرفتين حيث يوجد بابصغير يؤدي الي سلّم ومنه الي السرداب..

اليوم هو 7 ربيع الاول 260ه 31 كانون الاول 873م وسامراء مقبلة علي ليلشتائي طويل(1).

1- يصادف 8 ربيع الاول 260 ه الاول من كانون الثاني 874م / احداث التاريخ الاسلامي :169/2.

تسـرّبت أنباء مرض الامام الي أوساط الناس وأصـبح ذلك محوراً في أحاديثالشيعة.. وظهرت تساؤلات حول مستقبل الامامة وهوّية الامام الجديد!

وفي تلك الليلة الطويلة تمكن الامام من كتابة مجموعة من الرسائل الهامّة كجزءمن خططه لابلاغ الامّة وجود الامام الغائب الذي اضطرته الظروف الي عدم الاعلانعن ولادته واخفائه عن أعين الجواسيس..

كانت ظلمات الليل تشتد حلكة وقد خامر الموظفين في الرواق التعبوالنعاس.. الليل البهيم يتجه الي الفجر والنجوم تشتد سطوعاً في سماء اكتنفتها غيوممتناثرة.. وكان عقيد الخادم ينظر بأسي الي الشباب كيف يذوي كشمعة تخبو فيقلب ليالي الزمهرير.

طلب الامام بصوت خافت من عقيد أن يحضـر اناءً فيه ماء مغلي بالمستكي..كان الامام يشعر ببرودة الموت تزحف الي خلايا جسده التي فتك بها السم..

جـاءت السـيّدة نرجس تحمـل الانـاء، وقـد غمرتهـا حالـة من الفجيعـة.. انزوجها الطاهر علي وشك الرحيل.. سوف ينهـدّ عمود خيمتها وستعوي من حولهاآلاف الذئاب..

مدّ الشاب يداً ترتجف من برودة الموت الزاحف كليل الشتاء.. الليل في لحظاتالرحيل والفجر علي وشك الانفلاق..

أراد أن يرتشف من الاناء ولكن ارتطم باسنانه وازداد ارتجاف يده.. قالبصوت واهن مخاطباً عقيداً:

– سوف تجده يصلّي في الحجرة.. ليأت اليّ.

وفي هـذه اللحظة هبّت السـيدة نرجس الي الحجرة.. ان ابنها يصـلّي فمكثت غيربعيد وجاءت به.. وفي غمرة لحظات السـحر الاخير مرق الصبي الي حجرة أبيه العظيم..

جلس عنده وقد غمره حزن واحساس بالفجيعة يلوح في وجهه كسماء تكتنفهاغيوم رمادية..

دمعت عينا الاب من أجل ابنه.. من أجل كل المحن التي سيواجهها خلالالزمان المرير... همس بحبّ:

– يا سيد أهل بيته أعطني شربة!

أخذ الصبي الطاهر الاءناء وأدناه من فيه وارتشف الامام شربة منحته قليلاً منالدفء..

قال الاب:

جهزني للصلاة!

أخذ الصبي منديلاً ونشره علي صدر أبيه وراح يساعد والده علي اسباغالوضوء واستغرق الامام في الصلاة بعد أن يمم وجهه تلقاء المسجد الحرام والبيت العتيق..

والتفت الي ابنه وقد انفلق عمود الفجر الصادق.

– بني الحبيب! أنت صاحب الزمان.. أنت المهدي الذي بشّر بك الرسول..وأخبر بك اسمك اسمه وكنيتك كنيته.. وهذا هو عهد آبائي قد جاء..

وفي تلك اللحظات النديّة بالدموع شعر الصبي بأنّ قلبه يضيء بنور قادم منقلب السماوات..

سوف تواجهك المحن يابشارة الانبياء.. وسوف تطاردك رياح الزمهريركفراشة جاءت تبشر بالدفء وبالربيع... آه أيها الامل القادم من رحم النبوّات الغابرة!!

كانت السيدة نرجس تبكي بصمت كسماء تمطر علي هون.. زوجها يودّعالحياة، وابنها الوحيد تبحث عنه ذئاب مجنونة.. وأصغت الي كلمات زوجها يوصيابنه وآخر الائمة الاطهار:

– يا بني: اءنّ الله جلّ ثناؤه لم يكن ليخلي أرضه، وأهل الجدّ من طاعته وعبادتهبلا حجة يستعلي بها واءمام يؤتمّ به، ويقتدي بسبيل سنّته ومنهاج قصده..

وأرجو يا بني ان تكون أحد من أعدّه الله لنشر الحق وطيّ الباطل، واءعلاءالدين، واطفاء الضلال.

وسكت لحظات ليقدّم الي ولده الحبيب آخر نصائحه:

– فعليك يا بني بلزوم خوافي الارض وتتبّع أقاصيها، فاءن لكل وليّ من أولياءالله عدوّاً مقارعاً، وضدّا منازعاً.. فلا يوحشنّك ذلك(1)..

اسكن يا بنيّ في البراري البعيدة.. وفي الجبال الوعرة ليحرسك الله يا بني!ودمعت عينا الاب.. كان يستنشق أنفاسه الاخيرة في هذه الحياة.. وكانتكلمات الصلاة تنساب من بين شفتيه قبل أن يغمض عينيه ويغفو اغفاءة الرحيل..

وفي تلك اللحظات وقد هيمن صمت ثقيل سمع صوت عواء قادم من بعيد..

نهضت السيدة نرجس وهي تشعر بالبرد وأخذت بيد ولدها وانسحبت منالمكان.. لقد بدأ فصل مثير في حياة ابنها الوحيد.

عشية الرحيل

لم تشرق شمس اليوم الثامن من ربيع الاول وظلّت غائبة وراء السحب الكابيةالتي تراكمت علي امتداد الليل الشتائي الطويل.

اليوم هو الاـول من كانون الثاني من العام الميلادي الجديـد «874» حـدثت فيالرواق حركـة غير عادية عندما أعلن عقيد الخادم عن رحيل زعيم البيت العلويالامام الحسن واستحال المنزل الواقع في «درب الحصا» الي خيمة تعصف بها الريحمن كل مكان..

برقت عينا جعفر بالغدر وقد ضجّت في أعماقه المظلمة أصوات تشبه عواءذئاب مجنونة...

1– الغيبة للشيخ الطوسى :161 ،البحار : 12/52 الزام الناصب :108.

ها هو يستيقظ علي صيحات المأتم فهبّ كمن لسعته عقرب وراح يتصرفكالسيّد المطاع وربّ المنزل.. وحاول جاهداً أن يضفي علي نفسه مسحة من الوقاركاءمام جديد للشيعة!

ان جميع الظروف قد باتت مواتية، فأخوه قد رحل عن الدنيا دون وصيةظاهرة، وأذن فقد أصبح كل شيء له... اءنه الوريث الذي لن ينازعه أحد.. ولكنماذا لو ظهر ابن أخيه؟!

خامره أحساس بالقلق وسرعان ما تبدّد.. ان صبياً تبحث الجواسيس عنه لنيجرؤ علي ذلك..

اتخذ جعفر مكانه في باب المنزل لاستقبال الوافدين من المعزّين.. سوف يصلزعماء كبار من البلاط وشخصيات بارزة في صفوف الشيعة وها هو يشعر بالانتشاءلاول تهنئة يتلقاها من الشيعة مصحوبة بكلمات عزاء رقيقة..ها هو يهنأ لاول مرّةبالاءمامة.. لقد أصبح اءماما لطبقات واسعة من الناس!

وصل «أبو الاديان»(1)درب الحصا وسمع من بعيد أصوات المناحة واذ ألفيجعفراً واقفاً في الباب يتلقي التعازي والتهاني همس في نفسه بأسي:

- ان يكن هذا هو الاءمام فقد بطلت الامامة اءذن..

كيف يصبح اماماً وهو يكرع كؤوس النبيذ ويقامر في قصر الجوسق ويلعببالطنبور؟!

واضطر أبو الاديان الي مصافحته وتقديم التعازي والتهاني.. وعندما ولج المنزلرأي حشداً من المعزّين، وقد برز فيهم عثمان بن سعيد وكيل الامام الراحل.. وكانواجماً غارقاً في حزن مرير..

1- كان يعمل في منزل الامام الحسن الذى حمله مجموعة رسائل هامّة الى المدائن و ان ياتى با جوبتها الى من سيطالبه بها .كمال الدين :475/2 ط طهران 1395.

وتوهّجت في ذاكرة أبي الاديـان البصـري كلمات الامام الراحل في حقه فيحضور وفـد قادم من اليمن: «امض يا عثمان فاءنّك الوكيل والثقة المأمون علي مال الله»(1)فقال أحد أعضاء الوفد مخاطباً الامام: «يا سيدنا ان عثمان لمن خيار شيعتكولقد زدتنا علماً بموقعه من خدمتك، وانه وكيلك وثقتك علي مال الله؟

فقال الامام عندها: نعم.. واشهدوا علي ان عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وانابنه وكيل ابني.. مهديكم»(2).

كان عثمان بن سـعيد قـد انتهي توّاً من مراسم تجهيز جثمان الراحل العظيم للصـلاةعليه، وانتبه أبو الاديان الي صوت عقيد الخادم يخاطب جعفراً:

- يا سيّدي قد كُفّن أخوك.. فقم للصلاة..

مرّت اللحظات حساسة.. كان جعفر يخطو باتجاه نعش أخيه.. سوفيكتسب جعفر باقامة الصلاة علي الامامه امتيازاً كبيراً.. فهناك قناعة لدي عموم الشيعة في أن الامام لا يصلّي عليه اءلاّ اءمام!

وقف جعفر قبـال النعش اسـتعداداً للصـلاة.. وانتظمت خلفه صـفوف المصـلّين..كان أبو الاديـان واقفاً جنب عثمان بن سـعيد في الصـف الاول.. وكان جعفر علي وشـكالتكبير.. عنـدما ظهر صبي بوجهه سـمرة متموج الشـعر.. تقدّم الصبي بخطي واثقةنحو جعفر وجذب رداءه قائلاً بصوت فيه حزم:

- تأخّر يا عمّ، فأنا أحق بالصلاة علي أبي.

اصفرّ وجه جعفر واربدّ وهو يتأخر واقفاً خلف الصبي الذي بدأ مراسم الصلاةعلي والده الراحل..

ودمعت العيون للصوت الحزين يصلّي علي الراحل كان ذهن أبي الاديان متوتراًللمفاجأة..

1- الغيبة للطوسى .

2- المصدر السابق : 216.

انه يشهد أولي علامات الامام الحق.. لقد أخبره الراحل: ان الذي سيصلّيعليّ هو الامام.. بقيت علامتان..

الاولي أن يطالبه الصبي بالرسائل الجوابية التي يحملها من المدائن..

تمّت مراسم الصلاة والتفت الصبي الي أبي الاديان قائلاً:

– يا بصـري هات جوابات الكتب التي معك!لم يكن هناك مجال للشك، و سـلّم أبو الاديان مجموعة من الرسائل الي الصبيالذي اتجه نحو ستائر اءحدي الحجرات ليتواراي وراءها.. تقدّم رجل نحو جعفرالذي ما يزال حانقاً.. أراد أن يحرجه أكثر فقال له متسائلاً:

– يا سيّدي من الصبي؟!

أجاب جعفر بحنق:

– والله ما رأيته قطّ ولا أعرفه!!

وارتسمت علي وجه الرجل(1) ابتسامة ساخرة من هذا الذي يدّعي ما ليسله.. وها هو يتراجع أمام صبي يبدو عليه أنه في التاسعة من عمره.. اءنها قوّة الحقالتي لن يصمد أمامها جعفر وامثال جعفر حتي لو كان من ذرّية الامام!

كانت المفاجأة لا تزال تسيطر علي بعضهم خاصّة الّذين رأوا الصبي لاولمرّة..

وحدثت ضـجة خارج المنزل.. لقد وصل أخو الخليفة وممثله في مراسم التشييعوالصـلاة الرسمية..استقبل جعفر مبعوث الخليفة وأخاه أبا عيسي بن المتوكل الذي نقل تعازيهوتعازي الخليفة بالمناسبة..

وحُمل النعش الذي ما كاد يغادر المنزل حتي استقبل بالبكاء والنحيب.. لقد

1– الرجل هو حاجز الوشاء – كمال الدين : 475/2.

رحل السلام.. رحل الانسان الطاهر.. كحمامة بيضاء شهيدة كان النعش المحمول يسير باتجاه المسجد الجامع مخترقاً الشارع الرئيسي المعروف بشارع أبيأحمد..

نسائم كانون الباردة تلفح الوجوه في يوم غائم كئيب.. وكانت مشاعر مزيجةمن الاحساس بالغربة واليتم تغمر القلوب الحزينة لكأن الامام شمس تبعث الدفءوالنور فاءذا غاب غمرت الظلمات النفوس..

وتذكر الناس يوماً حزيناً قبل ستة أعوام يوم شيعوا والد هذا الانسان الطيبالذي وافاه الاجل وهو في ريعان الشباب..

وتساءل البعض في دهشة عن سرّ وفاته؟! انه لم يشتك من علّة قبل ذلك فماالذي حصل؟! لقد اعتادت سامراء علي هذه الظاهرة.. كثيرون لقوا حتفهم فيظروف غامضة!

وُضع النعش قريباً من جدران المسجد لاقامة الصلاة وتقدّم مبعوث الخليفةوأخوه الي النعش وكشف عن وجه الراحل ليبدّد هواجس قد تراود بعض الناس و يدفع شبهة الاغتيال عن الدولة فأعلن أمام شخصيات البيت الهاشمي من العباسييينوالعلويين، وقادة الجيش وكبار موظفي الدولة والبلاط قائلاً:

- هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه علي فراشه وحضرهمن خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان.. والقضاة فلان وفلان ومن الاطباء فلان و فلان وراح يستعرض الشخصيات التي امضت الليالي الاخيرة في منزل الاماملاهداف غامضة.. ثم غطّي باحترام وجه الراحل العظيم.(1)

وأُقيمت الصلاة علي الجثمان الطاهر ليُحمل مرّة أخري ويعود الي المنزل الواقعفي «درب الحصا» وهناك سيواري الثري الي جانب والده الراحل تنفيذاً لوصيته.

1- الارشاد:383

وبـدا ذلك اليوم الغائم اشـبه بيوم القيامة(1) وقـد حشـر الناس ضـحي فالامواجالبشـرية تتـدافع لتلمس النعش الطاهر تبركاً لكأنها تمدّ يداً تصافحرسولالله..

القلوب يغمرها الاسـي واءحساس بالفجيعـة يملا صدور المؤمنين.. ويلج النعشـمنزل صاحبه وفاحت رائحة الثري المعطور حيث سـيرقد الامام الي جانب والده..لقد وصلا معاً هذه المدينة علي قدر قبل ربع قرن فرحل الوالد قبل ستة أعواموالتحق به الابن في هذا اليوم..

ان الذين يرون ما وراء الافق البعيد سـيرون مآذن تشق قلب التراب في هذاالمنزل المبارك، لتسـتحيل هذه البقعة الطاهرة الي مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً.والي واحة خضراء يتفيأ ظلالها الوارفة المتعبون في دورب الحياة والزمان.

اسـتمر المأتم وكانت رائحة طيبة تشـبه رائحة الطين المعطور تفوح في فضاءالمنزل.. الشمس ما تزال مستورة بالسحب بالرغم من أن قرصها المستدير قد بداشفافاً يشبه القمر في لحظات الغروب.

وفي أصـيل ذلك اليوم وصل وفـد من مدينـة قم يحمل معه رسائل من أهلها اضافـةالي همیان يشـتمل علي الحقوق الشـرعية التي يتوجب تسديدها الي الاءمام أو منيوكّله..

في حجرة السـيدة نرجس جلست النسوة وكانت أم الحسن اكثرهن اءحساساًبالفجيعة، حتي ان المرء اءذا رآها في تلك الحال سيحدس أنها لن تعيش بعـد ابنها اءلاّ أياماً معـدودات، أما السـيدة نرجس فقد بدا وجهها سـماءً مثقلة بغيوم ممطرة.. عيناهاتبحثان عن عزيز فقدته.. زوج كريم رحل وتركها وحيدة وولد طاهر تحمّل أمانةكبري وقرّر خوض ملحمة الصراع المرير أمام أعداء لا يُعرف لهم عدد.. حتي عمّه

1- دائرة المعارف للبستانی : 45/7

جعفر غدر بهم.. انه لم يعد يري شيئاً سوي نفسه وسوي اطماعه وحرصه وجشعهوتهافته علي حطام الحياة الدنيا!

تساءل أحد رجال الوفد عن الشخص الذي يقدّمون اليه التعازي فأشير الي جعفر!!

كانت آثار السفر ما تزال تبدو علي أفراد الوفد وهم يصافحون جعفراً الذيرقص قلبه طرباً.. انه يدرك حجم ما معهم من الاموال التي سيقبضها هذااليوم!

تلقي جعفر بانتشاء تعازي القميين وتهنئتهم له بالاءمامة، ولم يستطع اخفاءابتسامة صفراء باهتة ارتسمت علي شفتيه.

قال رجل حنكته التجارب:

- اءن معنا كتباً وأموالاً..قال جعفر مستعجلاً:

- هاتوها!

قال الرجل بهدوء وحذر:

- ألا تقول ممن الكتب؟ وكم المال؟

- ومن أين لي أن أعرف ذلك؟!

ردّ الرجل:

- هذه عادتنا مع أخيك رحمه الله.

صرّ جعفر علي أسنانه بغيظ.

- تريدون منا أن نعلم الغيب.. أنتم تكذبون علي أخي.

أنتفض جعفر من مكانه وهو ينفض أثوابه.. واءنطلق صوب قصر الخلافة وقداستعرت في اعماقه حمّي الغدر.. هذه أفضل فرصة للقبض علي الصبي الذي يقف فيطريق تحقيق أحلامه المريضة.

ما ان غادر جعفر المنزل حتي خرج من اءحدي الحجرات فتي يرتدي زي الخدموجاء اءلي رجال الوفد قائلاً:

- معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار.. عشرة منها مطليّةبالذهب..

تبادل رجال الوفد نظرات ذات معني وقال الرجل المحنّك:

- الذي وجّه بك لاخذ ذلك هو الاءمام(1).

وسلّموا اليه الرسائل والهميان وغادروا المنزل بعد أن مكثوا قليلاً..

هبّت رياح كانون باردة كقطيع من الذئاب، وقد توارت الشمس وراء السحبوفي لحظة المغيب كان رجال الشرطة كذئاب غبراء تقتحم منزل الامام وتلقي القبضعلي السيّدة نرجس التي نسيت كل آلامها واستعدّت للمواجهة.

طولبت السيّدة بالصبي فانكرت أن يكون لها ولد.. وقامت بحركة ذكية عندماتظاهرت بأنها تعاني من الوحام..

أوقف قائد المفرزة رجاله عن التفتيش وأمر باقتياد السيّدة الي بلاط الخليفة.

وأمر الخليفة بتسليم المرأة الطاهرة الي القاضي ابن أبي الشوارب رئيس سلطةالقضاء وقاضي سامراء لتكون تحت الرقابة المشدّدة.. فقد تكون حاملاً أو قد يحاولابنها الاتصال بها فيُلقي القبض عليه..و

شاء القدر أن يصل وفد آخر يضم رجالاً من أهل قم ومن مناطق الشمالالايراني المعروفة آنذاك بالجبل.. وبالرغم من مرورهم ببغداد ألاّ أنهم لم يسمعوابخبر وفاة الحسن فقدموا سامراء، ولم يكن قد مرّ علي وفاة الامام الحسن سوي أيام..

وعندما سألوا عن سيدنا الحسن قيل لهم اءنه فقد!

1- الفصول للمفيد : 360.

فسألوا عن وارثهقالوا:

– أخوه جعفر بن علي!

قال أحدهم:

– فأين نلقاه؟

– خرج متنزها، وركب زورقاً في دجلة يشرب ومعه المغنّون!!

أصيب الرجالبصدمة، وتبادلوا نظرات حائرة ثم خلصوا نجيّا قالوا هامسين:

– هذه ليست من صفة الامام.قال أحدهم:

– لنعد من حيث أتينا ونعيد هذه الاموال الي أصحابها.

قال أبو العباس وهو رجل يمني نزحت اسرته الي قم:

– لننتظر هذا الرجل ونختبر أمره!

وانتظر رجال الوفد عودة جعفر من نزهته في دجلة..

حتي اءذا عاد الي منزله دخلوا عليه قالوا:

– يا سيدنا نحن من أهل قم.. ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها، وكنا نحمل اليسيدنا أبي محمد الحسن الاموال.

قال جعفر وقد سال لعابه:

– وأين هي؟

– معنا.

– احملوها الي اءذن.

– لا.

– لا.. لماذا؟!

– ان لهذه الاموال خبراً طريفاً.

– وما هو؟!

– ان هـذه الاموال تُجمع، ويكون فيها من كافـة الشـيعة الـدينار والديناران ثميجعلونها في كيس ويختمون عليه، وكنّا اءذا وردنا بالمال علي سيـدنا أبي محمد يقول:جملة المال كذا وكذا دينار من عند فلان كذا ومن عند فلان كذا.. حتي يأتي عليأسـماء الناس كلهم ويقول ما علي الخواتيم من نقش.

زعق جعفر وادرك صعوبة هذا الامتحان:

– كذبتم... تقولون علي أخي ما لا يفعله.. هذا علم الغيب ولا يعلمه اءلاّ اللهتبادل الرجال نظرات فيها شك في أن يكون جعفر اءماماً.

قال جعفر بفظاظة:

– احملوا هذا المال اليّ.

قال رجل يبدو عليه الوقار:

– اءنّا قوم مستأجرون.. وكلاء لارباب المال ولا نسلّم المال اءلاّ بالعلامات التيكنا نعرفها من سيدنا الحسن فان كنت الامام فبرهن لنا، واءلاّ رددناهـا الي أصـحابهايرون فيهـا رأيهم.وبرقت عينـا جعفر بالشّـر انه يعرف كيف ينتزع المـال منهم، فانطلق الي بلاطالخليفـة مرّة أخري.. وسرعان ما أُلقي القبض علي رجال الوفد الذين سيقوا اليقصر الخلافة فمثلوا أمام الخليفة الذي قال وهو ينظر اليهم بطرف خفي:

– احملوا هذا المال الي جعفر!قال الرجل الوقور:

– انا قوم مسـتأجرون.. وكلاء لارباب هذه الاموال وهي أمانة لجماعة وأمروناأن لا نسـلّمها اءلاّ بعلامة ودلالة وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي.قال الخليفة مستفسراً:

– فما كانت العلامة التي كانت لكم مع أبي محمد؟

قال الرجل الوقور:

– كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والاموال وكم هي.. فاءذا فعل جعفر ذلكسلّمناها اليه..

وسكت لحظات ثم قال مشيراً اءلي جعفر.

– اءن كان هذا الرجل صاحب الامر فليقم لنا ما كان يقيمه أخوه والا رددناهاالي اصحابها:

زعق جعفر:

– يا أمير المؤمنين اءن هؤلاء قوم كذابون.. يكذبون علي أخي.. وهذا علمبالغيب!

قال الخليفة وقد أدرك ألاّ جدوي من وراء مساندة جعفر:

– القوم رسل وما علي الرسول اءلاّ البلاغ المبين.

وبهت جعفر وانخطف لونه.. وقال الرجل الوقور مبتهجاً بموقف الخليفة:

– نتمنّي علي أمير المؤمنين أن يرسل معنا من يودّعنا الي خارج المدينة.

قال الخليفة:

– سأرسل معكم رجالاً من الشرطة فلا تخشوا شيئاً..وغادر الجميع قصر الخليفة.. كانت الحيرة تملا قلوب الرجال.. تري من هوالامام الحق بعد الحسن؟

كل شي يوحي بأن لا وجود لاءمام للشيعة بعد الحسن واءذا كان هناك من امامفهو جعفر الذي سيعرف بالكذاب لانه ادعي ما ليس له بأهل!

عاد الرجال الي خان المسافرين وتفقدوا دوابهم في «المربط» وقد صح عزمهمعلي مغادرة سامراء عائدين.. كانوا يتوجسون شرّاً من جعفر لانهم حدسوا أنهناك من يقف وراء جعفر مروّجاً لامامته لاسباب غامضة.. أو طمعاً في المالوأمضوا ليلتهم في الخان يتسامرون، وكانت الحيرة واضحة وهم يتحلّقون حولموقد مسجور.

وكان واضـحاً من حيرة أبي العباس ان المستقبل قد بات مظلماً.. فقد بدا ساهماًغارقاً في الوجوم.. هل يمكن أن تنتهي الامامة هكذا؟! وهل يمكن أن تخلو الارضمن حجة لله.. من انسان كامل؟!.. ان الامام يمثل نقطة السلام في دنيا تموجبالزلازل وتعصف بها الحوادث..

وخفتت الاصوات وكان الجمر يخبو شيئاً فشيئاً.. وكان صوت عواء بعيديتناهي الي الاسماع.

فيالصـباح الباكر وفيما كانت غيوم كانون تتراكم فوق بعضـها البعض غادرالرجال الخان ليجدوا مجموعة من حرس الخليفة سوف يرافقونهم الي خارج سامراءحسب رغبتهم..

بالرغم من سـهرهم الطويل وتبادلهم الاحاديث المتشعبة اءلاّ أن أجواء الحيرة ماتزال تسودهم.. فهم يعتقدون ان الامامة ستستمر حتي يوم القيامـة.. لان الارضـلا تخلو من حجة لله.. من اءنسان يقودهم نحو الكمال.. وهاهم يفدون علي اءمامهمفلا يجدونه.. ولا يجدون اءماماً يقوم مقامه..

قال أبو العباس وكان رجلاً حصيفاً:

– ان له ولداً ما في ذلك من شك.. وربّما أخفاه لسبب من الاسباب..

قال آخر:

– والله اءنها لحيرة ما بعـدها حيرة! انني أقول اءن سـيدنا الحسن رحمه الله كان اءماماًمفترض الطاعـة ثابت الامامـة، وقـد توفي والارض لا تخلو من حجة.. فنحن ننتظرحتي يسفر الحق!!

وعندما وصلوا الجادّة المؤدية الي بغداد.. عاد الحرّاس فيما واصل الرجالطريقهم صوب «دار السلام».

لم تكد منازل سامراء تغيب في الافق حتي فوجيء الرجال بمن يدعوهمبأسـمائهم.. وعندما التفتوا جهة الصوت شاهدوا فتي مضيء الوجه يناديهم:

– يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم.هتفوا بدهشة:

– أنت مولانا؟!

أجاب الفتي الذي يرتدي زي الخدم:

– معاذ الله.. أنا عبد مولاكم.. فسيروا اءليه.

وقادهم الفتي من طريق علي شاطيء دجلـة بعد أن تركوا دوابّهم مع أحدهموعندما ولجوا حجرة في المنزل وقعت عيونهم علي فتي عشاري القدّ جالساً عليسـرير يرتدي ثياباً خضـراً.. وخشعت قلوبهم لمرآه فحيّوه بأدب وردّ عليهم التحيةبأحسن منها وقال مبدّداً سحب الحيرة التي اكتنفت نفوسهم:

– جملة المال كذا وكذا دينار حَمَل فلان كذا وفلان كذا.. وراح يستعرضتفاصيل ما جاءوا به.. بل تعدّي وصفه للدواب التي حملتهم..

ألقي أبو العباس نفسه علي الارض ساجداً لله الذي أنعم عليه برؤية اءمامعصره..

ولم يبق من مجـال للشـك فقرّروا العودة الي محط رحلهم واحضار الامانات..وفي لحظات الوداع أمرهم الامام بعـدم المجيء الي سامراء مرّة أخري وأنه سوفينصب لهم وكيلاً في بغداد يحملون اليه الاموال وتخرج عنه التوقيعات..

كما دفع الامام الي أبي العباس شيئاً من الحنوط والكفن وخاطبه معزّياً:

– أعظم الله أجرك في نفسك..فردّ الرجل الوقور بسكينة المؤمن:

– اءنّا لله واءنا اءليه راجعون.ولم تكد القافلة تصل هضاب اقليم همدان حتي توفي الرجل الي رحمة الله.(1)

1– الامام المهدى من المهد الى الظهور:190.

مشاهد أخري حتي عام 263 ه

وكان حصاد موسم الجفاف خلال العامين المنصرمين قحطاً وغلاءً فاحشاً فيالاسعار اكتوت بناره بغداد فاشتعلت مخيلة الفقراء وراحت تنسج حول مواقد كانونبواكير حكايات «السندباد» التاجر الذي يعود غانماً من رحلاته في البحار البعيدةفيهب الفقراء ذهباً ولؤلؤاً وأملاً بغدٍ أفضل... وستولد حكايات الليالي الطويلةالمثقلة بالرموز(1) بعدما غابت الشمس واستترت وراء غيوم الضياع.

ما بال جعفر يبدو كمن أصابه مسّ من الجنون انه يتجه الي قصر رئيس الوزراءعبيدالله بن يحيي للاجتماع به علي انفراد، ويستقبله الرجل اكراماً لاخيه الراحل فاذابه يسمع من جعفر ما يجعله يسقط من عينه قال جعفر بحماقة:

– اجعل لي مرتبة أخي، وأنا أوصل اليك كل سنة عشرين ألف دينار!ونظر عبيدالله بن يحيي الي جعفر... شتان ما بين الحسن وجعفر كأنه نقيضأخيه.. الحسن في عقله الكبير في كياسته.. في حلمه وتواضعه وطيبته وجعفر بخفتهوتفاهته!!

وهاهو يأتي يطلب من الدولة أن تجعله اءماما للشيعة وكأن الدولة هي التينصبت أخاه وأباه من قبل..

قال رئيس الوزراء وقد احتقره تماماً:

– يا أحمق.. السلطان أطال الله بقاءه جرّد سيفه في الذين زعموا أن أباكوأخاك ائمة ليردّهم عن ذلك فلم يتهيأ له ذلك.. فاءن كنت عند شيعة أبيك وأخيكاءماماً فلا حاجة بك الي سلطان يرتبك مراتبهم، ولا غير سلطان.. وان لم تكنعندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا(2)..

1– اشارة الى حكايات الف ليلة و ليلة .

2– الارشاد للمفيد :320.

وقام رئيس الوزراء بحركـة توحي بانتهاء اللقاء فنهض جعفر يجرّ أذيالالخيبة.. واصدر عبيدالله بن يحيي تعليمات مشدّدة بعدم اسـتقباله مرّة أخري لكنجعفر بذهنه المريض انتبه الي شيء!

فما دام الخليفة يخشـي الامام ويطارد الذين يقولون باءمامة أخيه وأبيه فلماذا لايسـعي الخليفة الي تنصـيب جعفر اءماما علي الشيعة وبهذا يكون أبطل الامامة وفرضهيمنته علي الشيعة؟!

من أجل هـذا انطلق صوب الخليفـة وعرض عليه اقتراحه ولوّح له بنفس المبلغالـذي عرضه علي رئيس وزرائه قال الخليفـة وهو يضع النقاط علي الحروف فلا داعيللتستر أمام جعفر:

– اعلم ان منزلة أخيك لم تكن بنا.. انما كانت بالله عز وجل.. ونحن كنا نجتهدفي حطّ منزلته والوضع منه.. وكان الله عز وجل يأبي اءلاّ أن يزيده كل يوم رفعة لماكان له من الصيانة وحسن السمت والعلم وكثرة العبادة..

فاءن كنت عنـد شـيعة أخيك بمنزلته فلا حاجـة بك الينا، واءن لم تكن عندهمبمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئا(1)..

ان ما قاله الخليفـة يعـدّ اكبر اعتراف بعدالـة قضـية الامام الراحل.. ولم يكنالخليفـة ليكون بهـذه الصـراحة لولا أن مخاطبه كان جعفر بكل سخافاته وحماقاته!؟

شيء واحد حصل عليه جعفر هو تأييد الخليفة له باعتباره الوريث الشـرعيلتركة الامام الحسن.. ان لدي السـلطان قناعة ظاهرة في أن الامام الحسن قد توفيولم يخلف وراءه ولداً وهذا أقصي ما يطمح اليه(2).

لقد انتهت الامامة اءذن ولم يعد هناك من اءمام بعد اليوم!

1- الغيبة الصغرى :309.

2- المصدر السابق .

أدت الحوادث العاصفة بأسرة الامام الي أن تلزم أم الامام الحسن وزوجةالامام الهادي فراش المرض، فقد توفي ابنها الحبيب واعتقلت زوجته واضطرحفيدها الي الاختفاء، وها هو جعفر لا ينفك يتآمر لتمزيق أسرة أخيه الراحل..

نقلت الجدّة الطيبة الي منزل السيدة حكيمة شقيقة زوجها الراحل لتمريضهاولكن وقع الحوادث وقلقها علي مصير حفيدها قد جعلها هدفاً سهلاً لسهام القدر..

وفي لحظات الاحتضار أوصت أن تدفن الي جانب زوجها وابنها الاءماميناالراحلين(1)..

ومرّة يقف جعفر موقف النذالة اءذ يرفض دفن هذه المرأة الصالحة صارخاً:

– هي داري لا ـ تدفن فيها!وفي مثل هذه اللحظات المصيرية، يتوجب علي الصبي الطاهر أن يظهر مباغتاًجعفر بسؤال استنكاري شديد اللهجة:

– يا جعفر! دارك هي؟!

ان الصبي لن يدعوه بعد اليوم بالعم.. لقد انسلخ جعفر من قبيلته ودينه وحتي انسانيته..

وبرقت عينا جعفر بالشرور والغدر وأراد الامساك بالصبي الذي تواري بينالناس، فيما ظل جعفراً حائراً..

وانطلق الصبي الاءمام الي مكان ما فلن يعرف مكانه أحد!

سواف يواكب حركة التاريخ والزمن، اما علاقته بشعبه فسوف تكون عنطريق تاجر الزيت ذلك الرجل الصالح الذي نذر حياته لعقيدته ومبادئه.. وسيعرفالناس أن عثمان بن سعيد العمري هو السفير الاول بين المهدي وامّته..

اءنّه من السموّ بحيث نال ثقة الامام علي الهادي وابنه الحسن العسكري وهاهو

1– المصدر نفسه :314.

اليوم يصبح أول سفير للامام المهدي الذي قرّر الاختفاء عن الانظار منذ وفاةوالده.. وكيف لا يحظي بهذه المنزلة وهو الذي تولّي توزيع عشرة آلاف رطل منالخبز وعشرة آلاف رطل من اللحم علي الفقراء والجائعين يوم ولد المهدي.. وهوالذي أمره الامام الحسن بأن يعق عن الحجة بعشرات الاضاحي(1).

وهو الذي تولّي تغسيل الامام الراحل وتجهيز نعشه بأمر من الامام المهدي الذيلم يكن بوسعه أداء هذه المهمة.(2)

ما يزال بلاط الدولة تراوده الظنون في وجود المهدي الموعود الذي سيظهرويقوّض أركان حكمهم الي الابد..

فأمّه ما تزال رهن الاعتقال رغم مرور شهور عديدة علي اعتقالها ووضعهاتحت المراقبة لانهم يتصوّرون ان ابنها سيتصل بها وعند ذاك سوف يُلقي القبض عليه..

ولكن الامام كان حذراً في اتصالاته... وفي تلك الفترة صدر توقيع عنه يفيدبتحريم ذكره باسمه في المحافل:

- «ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس»(3).

وكان أول اءجراء اتخذه الامام أن أمر سفيره بنقل نشاطه الي بغداد.. فبغدادمركز تجاري كبير، ومن الصعب علي الجواسيس مراقبة ما يجري فيها من اتصالاتتتخذ من التجارة غطاءً لها.. ومنذ ذلك الوقت لم يعد أحد يري عثمان بن سعيد يترددعلي سامراء كما كان الحال في زمن الامام الحسن.

بل ان الامام نفسه سوف يرتديزي التجار.

وخلال الفترة من عام 260 الي عام 263ه تلاحقت الاحداث(4) بشكل خطير

1- المصدر نفسه :398.

2- كمال الدين :482/2 ح 45.

3- الغيبة للطوسى :164 الغيبة الصغرى : 542.

4- تاريخ الطبرى الحوادث بين سنة261- 263ه

فقد بدأ الامبراطور باسيل الاول سلسلة من الغارات استهدفت المدن الحدوديةالاسلامية، كما شن الاعراب غاراتهم علي مدينة حمص وحدثت قلاقل في مدينةالموصل سببها عدوان الجنود علي الاهالي وانتهاكهم الاعراض..

وفيما كانت المعارك مع الزنوج مستمرة، اندفع الخوارج في هجومات جديدةبقيادة مساور الشاري وفي الشمال الافريقي حدثت انتفاضة شعبية ضد حكم احمد بنطولون في منطقة برقة قمعت بوحشية وفي تلك الفترة العاصفة ايضاً رأي يعقوب بنليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية انتهاز الفرصة فاندفع باتجاه الاهواز وفارسواستولي علي مساحات شاسعة ثم راح يدنو باتجاه بغداد مما بعث الرعب في قلبالخليفة الذي عبأ قوّاته بقيادة أخيه الموفق لوقف الصفار عند حدوده..

وسرعان ما وقعت المعركة الفاصلة في «دير العاقول» علي بعد 12 ميلاً منبغداد فسحقت قوات الصفار الذي ارتدّ بفلوله الي الاهواز.. ولكنه ظل يشكلخطراً علي الخلافة العباسية ثم وقع حادث غامض اءذ وقع رئيس الوزراء عبيدالله بنيحيي عن دابته عندما صدمه الخادم «رشيق» وتوفي بعد ساعات(1).

كما توفي الحسن بن محمد بن أبي الشوارب رئيس سلطة القضاء فتولّي رئاستهاأخوه علي بن محمد(2).

وقد أسهمت هذه الاحداث في التخفيف من محنة السيدة نرجس التي أُفرج عنهابعد اعتقال استمر اكثر من عامين وسوف تعيش حياة التشرّد مدّة من الزمن قبل أنيستجيب الله دعوتها فانتقلت الي الرفيق الاعلي تشكو الي بارئها ظلم الظالمين.

وكان الهمس حول وجود حقيقي للامام المهدي ما يزال مستمراً وأدركالكثيرون أن الحقيقة توجد لدي عثمان بن سعيد ذلك الرجل الصالح الذي تمكن من

1- المصدر السابق ..وسوف نجد «رشيق» هذا يعمل في جهاز المعتضد وسيكلّفة الاخير بمهمة اغتيال الامام المهدى فى منزله بسامراء. الغيبة للطوسى :249.

2- محمد صادق الصدر الغيبة الصغرى : 239.

احاطة عدد كبير ممن يوثق بأمانتهم ووعيهم بوجود الامام المهدي.. ولكن الظروفالحساسة التي يمرّ بها الامام جعلته يتكتّم فكان لا يتحدث بهذا الشأن اءلاّ فيالمناسبات التي تستدعي ذلك، كما حدث في تلك الليلة الشتائية عندما جاءه في جنحالظلام رجل يبحث عن الحقيقة فقال له وهو يحاوره:

– اسألك بحق الله وبحق الامامين اللذين وثقاك هل رأيت ابن أبي محمد الذي هوصاحب الزمان؟!

غمرت الدموع عيني الرجل الصالح وقال:

– أخبرك علي أن لا تخبر أحداً ما دمتُ حيّا؟

وهز الرجل رأسه موافقاً فقال السفير:

– أجل قد رأيته(1).. يوم ولادته.. ورأيته وقد أيفع وأصبح فتي رشيداًموفّقاً.(2)

المعتضد السفاح الثاني

لقد استرسلنا في رسم المشاهد حتي عام 263 أي حتي وفاة شخصية كبيرة لهانفوذها هي شخصية عبيدالله بن يحيي بن خاقان في حادث غامض جداً وهو قيامرشيق الخادم وهو غلام «الموفق» بافتعال حادث اصطدام بينما عبيدالله علي دابّتهفسقط عن الدابّة وتوفي بعد سويعات!!(3)

وسنري رشيقاً هذا يعمل في جهاز المعتضد القمعي والاخير يحتاج لوحدهدراسة عميقة فهو الخليفة الذي لقب بالسفاح الثاني والذي حكم البلاد بقوة الحديدوالنار والذي وقعت في عهده حوادث تحتاج الي توقف ودراسة.

1- الغيبة للشيخ الطوسى :219 ط. طهران 1398 ه

2- الارشاد :230 اعلام الورى : 396.

3- تاريخ الطبرى حوادث سنة263.

علي أننا سوف نؤشر بعض الحوادث قبل أن نستعرض ما حصل خلال حكومةالمعتضد التي استغرقت زهاء العقد من الزمن.في الاعوام 264ه – 267ه وقعت حوادث كبري اءذ أغار الاسطول الاسلاميعلي مدينة البندقية فيما كانت الاشتباكات في جنوب العراق تزداد ضراوة، وفي مصرأعلن أحمد بن طولون تمرّده علي العاصمة وزحف بجيش جرّار علي دمشق فاستوليعليها.

وفي خراسان اجتاح الطاعون ليحصد آلاف الارواح فيما أغار الثوّار الزنوج عليمدينة واسط وارتكبوا فيها مذابح وحشية.وشهدت بلاد الاندلس ثورة المولّدين واستيقظت مدينة سامراء علي فراررئيس الوزراء الحسن بن مخلد (نصراني وأسلم) الي بغداد بعد أن تناهي اليه عزمالقائد التركي موسي بن بغا العودة الي سامراء فصودرت جميع ممتلكاته.

وشهدت مدينة اصفهان ثورة تم قمعها في مهدها، وثورة أخري في نيسابورالخاضعة لنفوذ الصفّار الذي توفي قبيل اندلاعها وثورة في مدينة حمص السورية،وأغار الاعراب علي مكّة المكرمة ونهبوا كسوة الكعبة المشرّفة وتعرّضت ديار ربيعةالي غارات وحشية شنّها الروم.وفي هذا العام (267ه) توفي السفير الاول بعد أن أبلغ بعض رجالات الشيعةرسالة من الامام المهدي وهي رسالة تتعرض الي الشكوك التي بدأت تراود أذهانالبعض في عدم وجود حجة لله.

ويدور حوار حول السفير القادم بعد رحيل السفير الاول:

– مدّ الله في عمرك اذا كان الذي لابد منه فمن يخلفك في سفارتك؟

– محمد ابني.

– أنت أخترته؟!

– بل اختاره حجة الله.

في عام 268ه شرع «الموفق» باعادة تنظيم قواته استعداداً لبدء الهجوم العامخاصّة بعد نجاح «رشيق» بقطع طريق الامدادات التي تصل «المختارة» عاصمة التمرّدمن البادية العربية.

وقد عبرت الجيوش العباسية الانهار والمسطحات المائية وأصبح الهجوم العاموشيكاً.

وأسفرت العمليات الحربية عن تشديد الحصار علي المختارة التي شهدت تصدّعاًفي جبهتها الداخلية بسبب نفاد المؤن واضطرار البعض الي أكل لحوم الموتي بلوصلت انباء مروعة حول أكل لحوم الاطفال(1).

أما علي صعيد الوضع في سامراء فقد قرر المعتمد الذي وجد نفسه خليفة بلاخلافة الفرار من العاصمة واللجوء الي مصر فغادر سامراء بذريعة القيام برحلةللصيد، وتم ترتيب اتفاق مع أحمد بن طولون الذي شجع علي ذلك وارسل قواتعسكرية الي الرقة لاستقباله وعندما وصل الخليفة الموصل تم القاء القبض عليهوأعيد الي سامراء بالقوة.

واصدر الموفق أوامر بفرض الاقامة الجبرية علي أخيه وأصدر مرسوماً يقضيبتعيين ابن كنداج حاكم الموصل أميراً علي مصر فردّ أحمد بن طولون باعلانه خلعالموفق من ولاية العهد.

في عام 270ه بلغ الموفق ذروة مجده السياسي بقضائه التام علي ثورة الزنج التيأقلقت الرأي العام قرابة خمسة عشر عاماً.

وفي نفس العام توفي أحمد بن طولون فتسنم الحكم ابنه خمارويه كما توفي أيضاًمؤسس الدولة العلوية في طبرستان الحسن بن زيد.

وفي عام 271ه انخفض منسوب المياه في النيل فانتهز الموفق الفرصة ودفع

1- تاريخ الطبرى حوادث سنة 269.

بالجيوش العباسية لاسترداد مصر لكنها تمني بهزيمة ساحقة في منطقة الرملة بفلسطينبعد اشتباكات دامية.

في عام 272ه وقعت في بغداد حوادث شغب وعنف استهدفت السكانالنصاري وهاجم الناس الدير العتيق ودمّروا بعض جدرانه مما استدعي تدخلالشرطة بأمر من حاكم بغداد واعادة بناء ما تهدم.

وفي نفس العام اندلعت الحرب مرة أخري بين الدولة وقوات الصفاريين لتستمرحتي عام 274ه.

وخلال ذلك تم الاعتراف رسمياً بولاية خمارويه علي مصر والشام والمناطقالحدودية المتاخمة لدولة الروم التي توفي امبراطورها باسيل الاول وشهد عام 273ثورة الزنوج في مصر ثم قمعها بوحشية، فيما كان الاندلس يشهد ثورة في مدينةطليطلة وفي أثناء ذلك توفي العالم الفلكي عباس بن فرناس بعد فشل أول محاولةبشرية للطيران نفذت من فوق مئذنة قرطبة.

وفي هذا العام تعرضت سامراء الي غارات اللصوص وكان الخليفة المعتمد قدغادرها الي بغداد وحل في قصر بوران بنت الحسن بن سهل وزوجة المأمون.وتوترت الاجواء في بغداد سنة 275ه بعد اقدام الموفق علي توقيف ابنه أبيالعباس الذي سيعرف في سنة 279ه ب «المعتضد» فاندلعت حوادث شغب أثارهااتباعه الذين تجمعوا في جسر الرصافة، ولم يذكر التاريخ بواعث هذا الاجراء ولكنالموفق التقي المشاغبين وجاء في حديثه معهم:

– أترونكم أشفق مني علي ابني؟! هو ولدي واحتجت الي تقويمه.

اننا نذكر هذه التفاصيل لنرسم صورة للمشهد العام الذي أسفر بشكل وآخرعن صعود الخليفة الدموي المعتضد سنة 279ه.

في سنة 276ه انتهي الصراع مع الصفاريين بتعيين محمد بن الليث الصفار قائداًلشرطة بغداد وكُتب اسمه علي الاعلام.

ص: 95

وفي أواخر عام 277ه اصـيب الموفق بداء النقرس فعاد من ايران الي العراقعلي سـرير يحمله أربعون حمالاً ووصل بغداد مطلع صـفر سـنة 278ه.

وأصبحت بغداد مسرحاً للشائعات حول وفاته فيما كان ابنه ما يزال سجينا.

أما المعتمد فقد كان في المدائن مع اسرته خليفة بالاسم فقط ينتظر مصيره.

وبرز أبو الصـقر أحـد كبار القادة العسـكريين ففرض سـيطرته علي بغـداد، وعندمااشـتدّت الشائعات حول وفاة الموفق اندفع انصار ابنه الي السـجن وحطموا الاقفالوأخرجوا «المعتضـد» وانطلقوا به الي منزل والـده الـذي دخل في غيبوبةالموت.وفي 9 صـفر وصل المعتمد وأفراد اسـرته بغداد وقد تدهورت صـحة الموفق.وتلبدّت الاجواء في بغداد، ومالبث الفوضـي أن اندلعت فجأة وهوجمت بعضقصور القادة خاصة قصر أبي الصقر ونهبت حتي غدت قاعاً صفصفاً.

وكسـرت أبواب السـجون حتي سـجن المطبق الرهيب وتصدّي أبو العباس«المعتضد» فعين غلامه بدر قائداً لشرطة بغداد فأعاد اليها الهدوء في منتصفصفر.

وفي يوم الاربعـاء 22 صـفر اعلن عن وفـاة الموفق وفي يوم الخميس أعلن أيضـاًعن تعيين أبي العباس ولياً للعهـد بعـد المفوض ولي العهد الرسمي وفي يوم الجمعة سمعأهل بغداد بلقب أبي العباس «المعتضد»

.وفي 26 صـفر ألقي القبض علي أبي الصـقر وصودرت جميع ممتلكاته وممتلكاتأقاربه الـذين اختفوا عن الانظار وفي يوم الثلاثاء 27 صفر أعلن عن تنصيب عبيداللهبن سليمان بن وهب رئيساً للوزراء..

وشم الناس عهداً يفوح برائحة الدم.. لقد بدأ عصـر الارهاب من جديد، وأنمسـلسل الرعب الذي عاشـته بغداد في عهد أبي العباس السفاح والمنصور سيعود فيعهد أبي العباس المعتضد.

وفي مطلع سنة 279ه منع منعاً باتاً جلوس أي حكواتي لسرد القصص كما منعبيع وتداول الكتب الكلامية والفلسفية(1).

وفي 22 محرم اعلن عن خلع ولي العهد المفوّض، واعتبار المعتضد ولي العهدالرسمي الوحيد وابلغت جميع الاقاليم الاسلامية بهذا الاجراء فاسقط المفوض عنالخطب الاسبوعية.

وفي تشرين الثاني سنة 892م 17 رجب 271 أقام الخليفة المعتمد احتفالهالترفيهي مساءً في حدائق قصر الحسني المطلّة علي دجلة.. وراح يكرع كؤوسالخمر، مع شرائح اللحم المشوي.. وفيما كانت أصوات الموسيقي والمطربين تملاالفضاء سقط المعتمد فجأة.. وتضاربت الشائعات حول سبب الوفاة وتناقل الناسشرهه في الطعام تلك الليلة وانه مات مبطوناً فيما أكد بعضهم أنه اغتيل بوضع السم فياللحم أو في الخمر(2)!!

وفي يوم الثلاثاء 18 رجب اعلن عن بيعة الخليفة الجديد المعتضد.. وجلسعلي دست الحكم وله من العمر ثلاثون سنة..وبدأ عصر الارهاب الشامل.. فالخليفة الجديد سفاك للدماء مع رغبة شديدةفي تعذيب ضحاياه باساليب بشعة.(3)

تسكن روحه حمي الشهوات شبق جنسي وميل جارف لبناء القصورالفخمة(4).

كان أول شيء قام به صلحه مع «خمارويه» الذي ارسل اليه عارضاً ابنته «قطرالندي» زوجة لابن الخليفة..

1- عبد السلام الترمانينى احداث التاريخ الاسلامى : 261/22.

2- تاريخ بغداد 60/4 تاريخ الخلفاء : 265

3- مروج الذهب :247 ط.موسسة الاعملى بيرورت.

4- انفق على بناء قصر «الثريا» 400/000 دينار «المصدر السابق»

فوافق الخليفة علي أن تكون زوجة له شخصياً، وبدأ العمل في بناء قصر الثرياالمنيف استعداداً لاستقبال «قطر الندي».

وفي عام 280ه القي القبض علي محمد بن الحسن بن سـهل شـقيق بوران مالكةالقصـر الحسـني الذي يسكنه الخليفة حالياً والذي اصبح قصر الخلافة..وقد عثر في منزله علي جرائد تضم اسماء أشخاص يبايعون رجلاً علوياً لميصرّح باسمه..

وكشفت التحقيقات عن وجود خطة لاغتيال المعتضد وقلب نظام الحكم.

ودوهمت منـازل بعض الـذين وردت اسـماؤهم في الجرائـد وسـيقوا، جميعاً اليالقصـر وتعرضوا للتعـذيب فاعترفوا انهم لا يعرفون الرجل العلوي وأنهم يعرفون«شميلة» فقط!تساءل المعتضد متوجساً وهو ينظر الي عبيدالله بن وهب.

– من يكون شميلة؟!

أجاب رئيس الوزراء:

– انه محمد بن الحسن نفسه فهو معروف بشميلة.

أصـدر المعتضـد أحكام الاعدام بحقهم فاعدموا فوراً، أما شـميلة فقد ظل رهنالتحقيق، وكان المعتضد يأمل منه أن يكشف عن اسم الرجل العلوي الذي سيقودالثورة في قلب بغداد!(1)

وفي قصـر الحسـني بدأت أولي حفلات التعذيب المعتضدية سـبقها استجوابطويل.. حاول المعتضد اغراءه بالمال ولكن الرجل اظهر اءباءً فراح يهدد بالويلوالثبور.. فردّ شميلة متحدّياً:

– لو شويتني علي النار فلن تسمع مني اءقراراً.. أتريدني ادلّك علي رجل اعتقد

1– المصدر نفسه.

بامامته وادعو الناس الي طاعته؟!

اشتعلت عينا الخليفة بالشرر.. وقال وهو يصرّ علي أسنانه بغيظ:

– سوف اشويك بالنار كما قلت!

– اصنع ما تشاء.

برقت في اعماقه المظلمة فكرة رهيبة في أن يجعله بين ثلاثة رماح ثم يشويبالنار «ويشوي كما يشوي الدجاج»(1)!!

ونفـذت الفكرة علي الفور وراح الجلاوزه يشوون الانسان وكان المعتضد ينظربتلذذ الي آلام الانسان ولم يبد عليه أنه قد اكترث لرائحة شواء لحم بشري!!

واسـتمر المشـهد المهول الي أن تفرقع جسم الضـحية ولفظ انفاسه.. وعندها أمر«خليفة المسـلمين» أن يصلب الجسد بين الجسرين علي الجانب الغربي!وظل اسم الرجل العلوي المجهول هاجساً مخيفاً يراود ذهن الخليفة الذي يعجّبالاوهام والوساوس(2).

تري من يكون ذلك الرجل العلوي الذي يعدّ للثورة في بغداد؟!! وباح الخليفةلرئيس وزرائه الذي لا يقل عنه وحشـية وسفكاً للدماء.. باح له بهواجسه..وبدأت كلاب السلطة مهامها في التجسس والبحث عن الرجل أو الحصول عليمعلومات تساعد في القبض عليه.

ولم تمض سوي اسـابيع حتي بـدأت التقـارير السـرّية ترد علي القصـر وتفيـد بوجودمجموعـة من الوكلاء مهمتهم اسـتلام أموال تأتي الي أشخاص أو شخص له القاب

1– المصدر نفسه.

2– من الموسف ان نجـد احمد الكاتب يقول:«كانت سـياسة المعتضد لينة مع العلويين كسـياسة من سـبقه من الخلفاء العباسـين » تطور الفكر السياسى :252. ان دراسـة حياة المعتضـد خاصّة سـتكشف وبارقام مذهلة عن دموية لا حدّ لها ودهاء وآن هذا التقييم يشـير الى سطحية في دراسة حياة الخلفاء العباسيين.

عديدة.. فهو مرّة «الحجة» أو «صاحب الزمان» أو «الغريم»(1)، ولا يوجد اسمصريح يمكن التعرف عليه!

وأعدّت لرئيس الوزراء عبيدالله بن سليمان بن وهب قائمة تضم مجموعة منرجال الشيعة يقومون بمهمة الوكالة في استلام أموال ترد لرجل علوي مجهول..(2)

واتخذت التقارير مساراً اكثر خطورة عندما راحت تشير الي منزل الامامالراحل الحسن العسكري في سامراء، ولم يضع المعتضد وقتاً في معالجة الموقف واتخاذالقرار بأسرع وقت.

لقد انقدحت في ذهنه المتوقد أن يكون الرجل المجهول هو المهدي!!واصبح من المؤكد وجود سفير له بل ووجود وكلاء يستلمون الاموال بالنيابةعنه(3)!

تورد المدونات الشيعية ان عبدالله بن سليمان بن وهب اخفق في القبض علي أيمن وكلاء المهدي بعد فشل الجاسوس الذي دسته الحكومة في كسب ثقة أي منهم..لقد قابل كثيراً من الشخصيات وتظاهر بأنه من شيعة الامام المهدي وأن لديه أموالاًيريد تأديتها كحقوق شرعية، ويبدو ان ابن وهب قد اقتنع تماماً وتبدّدت شكوكه أماالمعتضد فقد تظاهر بذلك فقط.

فهو كسياسي شبهه التاريخ بأبي العباس السفاح لا يريد أن يثير مسألة حساسةمثل مسألة المهدي ويجعل منها قضية مادامت التقارير السرّية تؤكد عدم وجودها.

كما أن مهمة القاء القبض علي المهدي أو تعبئة الوضع بهذا الاتجاه أمر يضرّبسمعة الدولة.

ولذا سنري الخليفة السفاح يكلّف «رشيق» الخادم بمهمة غاية في السرّية وهي

1- الغيبة للشيخ الطوسى :171، الغيبة الصغرى :596.

2- الغيبة الصغرى :629.

3- اعلام الورى :421.

مهمـة غامضـة وسـريعة: ثلاثـة رجال وسـتة خيول حتي لا تكون هناك فرصة لالتقاطالانفاس في قطع مسافة 120كم، واقتحام منزل عنوانه واضح جداً هو منزل الامامالهادي في درب الحصا في سامراء.

والرواية يسـردها رشيق بعد وفاة المعتضد الذي سبق وأن هدّدهم بالموت اذا ماتفوهوا بها ولكنه يسردها بعد وفاة الخليفة الدموي كجزء من ذكرياته.

وأول شـيء يثير الانتبـاه هو فشل المهمـة لسـبب مـدهش وهو يري حوضاً مليئاًبالمياه فالحجرة التي أراد الرجال الثلاثـة اقتحامها مفروشـة بالميـاه وهناك في اقصاهاشاب يصـلّي، حاول أحـدهم العبور اليه لكنه فوجيء بعمق المياه فارتـد علي أعقابه،ومنظر كهـذا لابـدّ وأن يربك الرجال خاصّة وأن منظر انسان يصلّي في مكان عجيبيفترض أن يكون مبلطاً أو مفروشاً.

وفي ضوء ما ورد من مواصفات المنزل يمكن تفسير وجود هذه الحجرة الزاخرةبالمياه، والرواية أهملت التاريخ الدقيق ويحتمل أن يكون قد حصل ذلك في موسـميرتفع فيه منسوب المياه في دجلة فتتدفق المياه بيسـر عبر الكهاريز أو القنواتالجوفية، بل اءن اعداد هذه الغرفة ليس له ارتباط وثيق بتاريخ محدد أو موسم معين.ولا نريد التوقف أكثر من هذا أمام هذه الحادثة لكننا سـنتفهم الموضوع باثارةحادثتين أخريين مع الاشارة الي بعض الوقائع التي لا تبـدو هامّـة اءلاّ بعد وضـعها فياطار عام منها وصول «قطر الندي» بنت خمارويه وهي أميرة صـغيرة اقترح أبوها أنتكون زوجة لابن الخليفة ولكن المعتضد يستأثر بها ويبني لها قصر الثريا الكبير.

وما لبثت الانباء أن وصـلت باغتيال خمارويه في مصـر! كما سادت بغـداد أجواءمتوتره بعد تجدد الاشـتباكات واشـتعال الحرب مع الدولة العلوية في طبرستان. فيماكانت التقارير ترد القصر بوصول مبالغ كبيرة من محمد بن زيد العلوي زعيم الدولةالعلوية الي رجل يدعي محمد بن ورد العطار لتوزيعها علي العلويين في بغداد والكوفةفألقي القبض عليه وسيق الي قصر «بدر» غلام المعتضد.

ص: 101

في مطلع عام 284ه قرر المعتضد لعن معاوية بن أبي سـفيان والطغمة الاموية‌علي المنابر، واسـتخرج من خزانة الدولة كتاباً في لعن معاوية كان الخليفـة المأمون قدأعدّه في خلافته، وتم اعداد كتاب موجز أخذ من جوامع كتاب المأمون، وتناقلأهل بغداد اخبار عن الموعد المقرّر لقراءة الكتاب والذي سيكون 11 جمادي الاخرة.

وكان المعتضد مصمماً علي ذلك لولا أن حذّره القاضي يوسف بن يعقوب منالعواقب الوخيمة قائلاً:

- اءني أخاف أن تضطرب العامّة عند سماعها هذا الكتاب.

قال المعتضد:

- اذا تحركت العامّة أو نطقت وضعت سيفي فيها.قال القاضي محذراً من خطر العلويين:

- يا أمير المؤمنين فما تصـنع بالطالبيين الـذين يثورون في كل ناحيـة؟ وكثير منالناس يميلون اليهم لقرابتهم من الرسول ومآثرهم؟ وفي هذا الكتاب اطراء لهم..

فاذا سمع الناس هذا الكتاب كانوا اليهم أميل، وكانوا هم أبسط ألسنة واثبت حجةمنهم اليوم.

وأطرق المعتضد والتزم الصمت، ولكن الكتاب انتهي أمره ولم يقرأ بالرغم منان التاريخ حفظه بالتفصيل. (1)

الحادثة الاولي:

في منتصف شعبان وقع حادث غريب عندما ظهر تحت جنح الظلام شخصمسلّح في قصر الثريّا الذي انتقل اليه المعتضد رسمياً منذ زفاف «قطر الندي» وعندماأراد أحد الخدم أن يتعرف علي هوّيته ضربه الشخص بالسيف فقطع حزام الخادمالذي فرّ مذعوراً..

1- راجع تاريخ الطبرى حوادث سنة 284 ه.

ثم تواري الشـخص المجهول في حدائق القصـر! وشـعر المعتضد بالرعب وهو يصدر أوامره الي الحرس بالبحث خلال الاشـجار واسـتمر البحث حتي مطلع الفجر ولكن لم يعثر له علي أثر!!

ثم ظهر ثانية بعد ليالي أخري.

وعُزّزت أسوار القصـر بمادة هشّة تحسـباً من اسـتخدام كلاليب التسلّق.. كما أمر الخليفة بأحضار من في السجن من اللصوص ليناقشهم في امكانية الدخول الي القصر تسلّقا أو نقباً (1)؟!

وتناقل الناس حكايات حول هذا الشـخص وأنه ربما كان من الجن ظهر للخليفة بسـبب ايغاله في سفك الدماء.. وانه ربما كان شيطاناً أو من مؤمنيّ الجنّ.

وكان الجواسـيس ينقلون اليه بعض ما يتناقله الناس ولكن المعتضد يبدو قد صدّق حكاية الخادم الذي وقع في هوي اءحدي جواري القصـر وانه يتناول بعض العقاقير الخاصة فلا يدرك بحاسة البصر (2)!

وعمد المعتضد الي تعذيب بعض الخدم والجواري حتي الموت والقي في السجن آخرين.

وكان المعتضـد تشـتد هواجسه وقلقه عندما يحل المساء الخريفي ففي منتصف الليل عاود ذلك الشـبح ظهوره مرّة أخري في رمضان وكانت الابواب تفتح وتغلق..

وكـان المعتضـد يركض كالمخبول في أروقـة القصـر فكان يراه مرّة في صورة راهبـذي لحيـة بيضاء وتارة في صورة شاب حسن الوجه بلحية سوداء وتارة في صورة شيخ يرتدي زي التجار وتارة أخري بيده سيف مسلول (3).

وأصبح المعتضد فيما يبدو في حالة نفسية متدهورة حتي أنه أمر باحضار المجذوبين والمجانين والمعزّمين فاحضروا وكانت فيهم امرأة.

1- مروج الذهب : 227/4.

2- المصدر السابق.

3- المصدر نفسه.

ان أحداً لا يدري هل كان الشبح الذي كان يراه الخليفة حقيقة أم ان ما يراه لايعدو أن يكون أشباح ضحاياه تتراءي له في قلب الظلام..

لقد كان الخليفة يشرف شخصياً علي مختلف الطرق في التعذيب الوحشي..

فكانت مشاهد التعذيب البشعة مما لا يمكن احتمالها لدي انسان فيه بقيا من الانسانية (1).

وسيبقي ما رآه الخليفة في قصر الثريا لغزاً من ألغاز التاريخ!

ونختتم عهد المعتضد الدموي بالاشارة الي وفاة الاميرة قطر الندي سنة 287ولما تناهز العشرين بعد!!

وفي عام 288 شهد الشمال الافريقي ظهور رجل يدّعي أنه المهدي وفي عام 289توفي المعتضد ليتولّي الخلافة بعده ابنه «المكتفي» وبدأ رعب القرامطة الذي أقلق العالمالاسلامي.

الحادثة الثانية:

وقبل أن نوردها نشير الي اعتقال الحلاّج سنة 301ه بتهمة الزندقة والالحادعلماً بأنّه متهم أيضاً بادّعائه السفارة للامام المهدي وقد فضحه الزعيم والعالم الشيعيأبو سهل بن اسماعيل النوبختي، والذي يمت برابطة نسب الي الشيخ الحسين بن روحالنوبختي السفير الثالث للامام المهدي.

في عام 314ه كانت بغداد تتابع بقلق بالغ تحركات القرامطة الذين يثيرونالرعب في كل مكان يقتربون منه.

فقد فرّ أهل مكة الي الطائف عندما سمعوا بزحف «أبي طاهر القرمطي» اليهاولكن سرعان ما وصلت الاخبار أنه في طريقه الي العراق.. وأنّ هدفه الاولسيكون الكوفة..

1- المصدر النفسه : 267/4.

كتب الخليفة الي يوسف ابن أبي الساج الذي يرابط في مدينة واسط أن يتحركبسـرعة صوب الكوفة.. وأخبره بان أطنانا من المؤن بما في ذلك القمح والشعيربانتظاره.

ويشاء القدر أن تسـقط هذه المؤن بيد أبي طاهر وعندما وصل الجيش العباسـيفي الثامن من شوّال وجد الطريق الي الكوفة قد سـقط بأيدي القرامطة.

كان الجيش العباسـي يفوق قوّات القرامطـة اضـعافاً مضاعفة، ولذا شـعر ابن أبيالساج بالغرور وأمر باعداد كتاب الفتح قبل أن تبدأ العمليات الحربية؟

ونشبت المعركة في ضحي يوم السبت 9 شوال واستمرت حتي الغروب، وقادأبو طاهر هجوماً مدمّراً حطم فيه خطوط الجيش العباسي الذي انهار فجأة، ووقعيوسف في أسر القرامطة ووكل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحه.

وصـلت فلول المنهزمين بغداد حفاة عراة وكان لمنظرهم المأساوي الاثر الرهيبفي بث الرعب في المدينة واصدر «نازك» قائد الشـرطة العام أمراً بمنع التجول ليلاً ونفذالاعدام بالمتخلفين.

وبدأ سكان بغداد يعدّون العدّة للفرار من المدينة الي همدان في ايران، فيماوصلت انباء مؤكدة ان القرامطة في طريقهم الي الانبار.

استدعي الخليفة القائد العسكري مؤنس المظفر لمواجهة القرامطة، فحرّكخمسمئة زورق مشحون بالجنود لصدّ القرامطة اذا حاولوا عبور نهر الفرات.

حرّك القائد قطعات من قواته الي الانبار لتعزيز دفاعات المدينة التي قام أهلهابقطع الجسر.

وعسـكر القرامطة في الجانب الغربي من النهر، وفي عملية سـريعة قام القرامطةبالافادة من السفن الموجودة في مدينة «حديثة» التي سقطت في أيـديهم فعبر ثلاثمئةمحارب الي الانبار وسـرعان ما فرّ جنود الخليفة، فعقد الجسـر مرّة أخري وعبرتقوّات القرامطة لتدخل الانبار دخول الفاتحين.

وفي غمرة الرعب الـذي عمّ بغداد ألقي القبض علي رجل قرمطي اتهم بمراسـلته لابي طاهر وتسـريبه أخبار ومعلومات هامّة وسـيق الرجل الي قصر رئاسة الوزراءحيث تم استجوابه.

– هل تقرّ بذلك؟

– نعم!

– لماذا؟

– لانني أري أبا طاهر علي الحق، وأنت وخليفتك كفار تأخذون ماليس لكم..وسكت لحظات ليقول:

– ولابـدّ لله من حجـة في أرضه.. واءمامنـا المهـدي محمـد بن أحمـد بن عبـدالله بنمحمـد بن اسـماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب!!

اءننا لسنا كالرافضة ولا الاثني عشرية الذين يقولون بجهلهم اءن لهم اماماًينتظرونه ويكذب بعضهم لبعض.. فيقول رأيته وسمعته وهو يقرأ.. ولا ينكرونبجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن يعطي من العمر ما يظنونه..

سكت رئيس الوزراء ثم قال:

– أنت تعرف أشياء كثيرة عن عسكرنا فمن فيهم علي مذهبك.

نظر الرجل وأفتر عن ابتسامة ساخرة وقال:

– أنت بهذا العقل تدير الوزارة.. كيف تظنني أسلم قوماً مؤمنين الي قوم كافرينيقتلونهم؟ لن أفعل ذلك!!

شعر رئيس الوزراء بالغيظ لهذه الاهانة واصدر أوامر بتعذيبه وعدم تقديمالطعام والشراب اليه فظل ثلاثة أيام ثم مات (1).

واءفادات الرجل وما ورد في وقائع المحاكمة تشير الي ان مسألة المهدي مسألة

1- تاريخ الطبرى 67/10 حوادث سنة 285 ه.

جادّة حتي انها استغلت في تأسيس دولة قوية علي انقاض دولة الادارسة في الشمالالافريقي كما أن الاثني عشرية وفقاً لافادته يطرحون منذ البداية مسألة الغيبة والعمرالطويل مع ان عمر الامام وقت المحاكمة يناهز الثامنة والخمسين عاماً.

كما أن مسألة وجوب وجود حجة لله قد ولجت في أذهان كثيرين ممن يناهضونالحكم القائم.

ونختتم هذا الفصل باثارة ما اثبته الدكتور عبدالسلام الترمانيني في موسوعتهالتاريخية.. وفي عمود الوفيات في سنة 275ه الذي جاء تحت عنوان اختفاء «محمدبن الحسن العسكري»: «هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي. أبو القاسم.آخر الائمة الاثني عشر عند الشيعة الامامية، وهو المعروف عندهم بالمهدي المنتظروالحجة وصاحب السرداب.

ولد بسامرّاء ومات أبوه وله من العمر خمس سنين، ولمّا بلغ التاسعة عشرة منعمره دخل سرداباً في دار ابيه بسامرّاء ولم يخرج منه» (1).

وقد اعتمد الدكتور المؤرخ مصدرين هما:

وفيات الاعيان لابن خلكان وفيه: «.. وذكر ابن الازرق في تاريخ ميّافارقين»أن الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الاول سنة 258ه، وقيل في ثامن شعبان سنةست وخمسين وهو الاصح، وأنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين، وقيلخمس سنين وقيل أنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين.. وعمره سبععشر سنة والله أعلم أي ذلك كان، رحمه الله تعالي» (2).

كما اعتمد الاعلام للزركلي وقد ورد فيه:

1- احداث التاريخ الاسلامى بترتيب السنين ج 2 : 237/1 - 244 وقائع سنة 275 ه.

2- وفيات الاعيان : 176/4 ط دار الثقافة بيروت.

«محمد بن الحسن العسكري (الخالص) بن علي الهادي، أبو القاسم آخر الائمةالاثني عشر عند الامامية. وهو المعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان والمنتظروالحجة وصاحب السرداب. ولد في سامراء، ومات أبوه وله من العمر نحو خمسسنين. ولما بلغ التاسعة أو العاشرة أو التاسعة عشرة دخل سرداباً في دار أبيهبسامراء ولم يخرج منه» (1).

وقد ذكرنا من قبل نبأ اعتقال المعتضد بأوامر من والده (الموفق) وشغب أتباعهمع اننا لا نعلم سبباً واضحاً للاعتقال لكنه يكشف بجلاء أن المعتضد كان له جهازارهابي كوّنه منذ وقت مبكّر وان «رشيقاً» وغيره اعضاء في ذلك الجهاز واءلاّماتوترت الاجواء في بغداد سنة 275ه واندلاع حوادث شغب اثارها اتباع المعتضدوتجمعهم في جسر الرصافة؟

وتذكر مدونات الامامية أن المعتضد ارسل قوات لاعتقال الامام وانه كان فيالسرداب يتلو القرآن وأنه خرج من السكّة التي علي باب السرداب.والرواية تورد اسم المعتضد صراحة لكنها لا تحدد تاريخاً للهجوم ولذا فمنالمحتمل أن يكون ذلك قد حدث سنة 275ه.

وبهذا يكون اختفاء الامام المهدي في السرداب طبيعياً جداً وقد أشرنا الي واقعةاختفاء زوجة المتوكل بعد الاطاحة بابنها الخليفة (المعتز) سنة 255ه ولم يعثر لها علياثر بعد أن فرّت من نفق سرّي بين مخدع نومها ونقطة خارج أسوار القصر.وتؤيد المدونات الشيعية هذا الاختفاء باعتبار الهجوم علي دار الامام في عهدالمعتضد هو آخر محاولة من الدولة للقبض عليه، ولعلّه قد غادر سامراء نهائياً بعدأن أخذت بالاضمحلال لعودة الخليفة الي العاصمة الكبري بغداد، وهناك رواياتتشير الي ان الامام كان يدخل بغداد بزيّ التجار (2).

1- الاعلام : 310/6 ط 3.

2- محمد صادق الصدر موسوعة الامام المهدى / الغيبة.

كلمة أخيرة

في ظروف سياسية وفكرية عاصفة منذ مصرع الخليفة المتوكل سنة 247 وحتيسنة 329ه وهي السنة التي شهدت فيها بغداد انقضاض الشهب منذ المساء وحتيمطلع الفجر واجتياح دجلة في فيضان مدمّر منازل بغداد (1) التي اتسمت بالفوضيوغياب الاستقرار نجد حركة هادئة تتسم بالثبات والتوازن والعمق هي حركة المهديالتي مرّت بمراحل عديدة فقد كانت منذ تاريخ الرسالة المحمدية بشارة بشر بها النبيأمته، وظل الائمة من أهل البحث يتوارثون هذه البشارة حتي عصر الامام الهاديالذي أضاف الي البشارة اءجراءات عملية أشرنا اليها في ممارسته الاتصال من وراءحجاب (عبر الوكلاء) ومنحهم دوراً أكبر وتعزيز ثقة الناس بهم، وأيضاً شراء دارفخمة توفر أرضية مناسبة لاختفاء وحماية حفيده، وشراءه جارية تتوفر فيهامواصفات محددة ولتكون زوجة لنجله الحسن عليه السلام ثم دخلت حركة المهدي مرحلةأخري من خلال ولادته في ظروف خطيرة ودخوله ضمير كثير من الافراد الواعينكحقيقة ساطعة، ثم مرحلة السفارة.

ونحن لا ننكر ظاهرة الحيرة التي وقعت للشيعة ابان وفاة الامام الحسن، ولكنمن يقرأ تفاصيل تلك الحقبة ينتهي الي تصوّر أن الحيرة كانت بمثابة سحابة صيفعابرة وأن حركة المهدي واصلت مسارها بشكل هاديء رغم تقلبات الظروفوهناك بعدان رافقا حركة المهدي في مراحلها كافة هي غيبته الطويلة وعالميته وهذاما يجعلنا نتفهم أسرار الغياب الطويل، فالعالم يتحرك نحو العالمية بخطي واسعة وهوأمر لم يكن مفهوماً آنذاك لكننا نجد حديث الارض التي تملا عدلاً وقسطاً بعد أن تملاظلماً وجوراً من أبرز الاحاديث التي ترتبط بالامام المهدي وتسمه بميسم ثابت.

1- تاريخ بغداد : 73/1 ط المكتبة السلفية وفيها ضربت صاعقة القبة الخضراء وتحطم تمثال الفارس الذى يتربع فوقها منذ سنة 145 ه و هى سنة بناء وتاسيس بغداد فى عهد المنصور وهى نفس السنة التى انتهت فيها الغيبة الصغرى.

ان حركـة أهل البيت بشـكل عام هي حركة مسـتقرّة في عمق التغيرّات الانسانيةبعيداً عن انفعالات السـطح، فالعالم اشـبه بالبحر المتلاطم الامواج فيما مياه الاعماقهادئة دائماً تغمرها سكينة وجلال.

ولعل في صمت الامام علي مدّة ربع قرن أكبر دليل علي هذه الحركة الهادئة التيتنظر الي المديات البعيدة حيث يتطلع الانبياء.

فعلي بن أبي طالب هو من نهض بمسؤوليته مذ كان صبياً في العاشـرة وخاضـغمار الحروب والمقاومة حتي أصـبحت للاسـلام دولة فكان بطل الاسلام وسيفه الذيلا يقهر، لكننا نراه يلوذ بالصمت التام عندما ذرّت الاطماع رؤوسها والنفوسأطماعها في حطام الدنيا.

ص: 110

ظاهرة الانتظار

الاشعاع الاخلاقي

من الطبيعي أن تفرز النبوءات التي حملتها الكتب المقدسة والرسالات الالهيةحالة من الانتظار والترقب.

وهذه الظاهرة التي ولجت الضمير الانساني وواكبت تاريخه الطويل تتأثر دائماًبالاطار البيئي، النفسي والتربوي، وسنلاحظ ان الانتظار يفرغ من محتواه الايجابيليشل حركة الانسان في ضوء الاشعاع الفكري الذي يقعد بالانسان عن القيام بأيخطوة للتغيير بانتظار الذي يأتي وينهض بمهمة الاصـلاح، فهذه حالة من الانتظارالسلبي تسلب المرء ارادته ومبادرته، فيما نري اشعاعاً ايجابياً لفكرة الانتظار تنطويعلي أمل مشرق يلوح في الافق وينعش حالة التحرك نحو تحقيق الهدف وبلوغ الغايةالمنشودة.

فالوعـد الالهي الـذي يشع من الايـة الكريمـة في قوله تعالي: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِيالزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (1) والذي جذّره النبي صـلي الله عليه و آله و سلم بوضوح أكثر في قوله: «أبشركم بالمهدي يُبعث في أمتي علي أختلاف من الناسوزلازل فيملا الارض قسـطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (2) هذا الوعد يرسم فيالضـمير الاسلامي النقي أفقاً مشرقاً يزخر بالامل الاخضر والخلاص ونهاية مسلسلالعذاب الذي يواكب حركة التاريخ البشري الطويل.

1- الانبياء /105.

2- مسند ابن حنبل 393/3 ح 19746.

ومع هـذا فان الانتظار اءذا لم يلـج الوجدان الانساني بنقاء فانه يفرز حالة سـلبيةلا تبعث علي الحركة فحسب بل وتقضـي علي أي مخزون للطاقـة في التحرك والسـعيوالتغيير وسـيكون له دور اصـطدامي مع آيات قرآنية صـريحة المدلول كقوله تعالي:(اءِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّي يُغَيِّرُوا مَا بِاَنفُسِهِمْ). (1)

امـا الاتجـاه الايجـابي في الانتظـار فـانه ينطوي علي قيمـة حضاريـة كبري انطلاقـاًمن وجود أمـل كبير في حتميـة تحقق الهـدف النهـائي والمنشود.فالانتظار كظاهرة اجتماعية كانت تتأرجح بين كونها عاملاً في الحركة والسـعيوالتغيير، وبين صـيرورتها أغلالا تكبل ارادة الانسان وتـدفعه الي الترقب السـلبي وهوانتظار خاو لا ينطوي علي أي طاقـة حضارية.والانتظار بشـكل عام ولّد تجربة نفسـيه غنية تعد «من أوسـع التجارب النفسيةواكثرها عموماً بين أفراد الانسان». (2)

فالانتظار الـذي ينهض علي ايمان عميق بمسـتقبل أخضـر للبشـرية سـيتفجّر عنهينبوع الامل اءذ يتعـدي حالـة العزاء الي ما هو أبعد.. الي صيرورته طاقـة حركيـة تمدّعمليـة التغيير الاجتمـاعي بـالروح والقوّة والصبر.ولعل اسـتقراءً لظاهرة الانتظار يقودنا الي اعتبارها نزوعاً فطرياً مغروساً فيوجدان البشـر، فحتي الماركسـية الغارقة في تفكيرها المادي لم تتجاوزها يقول برتراندراسل: «الانتظار لا يخص الاديان فحسب، بل المدارس والمذاهب أيضاً تنتظر منقذاًينشر العدل» فهو يكاد يوازي النزوع الوجداني للايمان.

الانتظار السلبي

ليس هناك شك في أن مسألة غيبة الامام المهدي تفرز في بعض الظروف حالة

1- الرعد : 11.

2- محمدباقر الصدر - بحث حول المهدى : ص 54 ط الغدير 1996.

من الانتظار السـلبي، وهذه الحالة لا ترتبط بجوهر المسألة وانما تحددها ظروف بيئيةوثقافية تفضـي عادة الي الانتظار الذي يسلب الانسان ارادته وحقه في التغيير وبـذلكيتعطل دور الايات القرآنية التي تخاطب الانسان وتطالبه بأداء دوره العبادي فيالارض، ومن التعسّف ان نعلّق حالة الانتظارالسلبي علي ظاهرة الانتظار بشكل لايترك قدراً من المسؤولية الاخلاقية للانسان نفسه.

ومن المؤسف أن نجعل هذه الحالة وليدة الايمان بالامام الغائب الذي يجعل المرءفي حالة انتظار سلبية ريثما يظهر الغائب.

ومع أن هـذه الحالة قد تركت آثاراً تاريخية طبعت مسار المؤمنين بالامام الغائببطابعها، وعطلت دورهم الاجتماعي والسياسـي، ولكن هذه الظاهرة يجب أن تناقشـفي اطار الفهم البشـري الـذي يخطيء ويصـيب وينمو وينحسـر متأثراً بالظروف العامة.ومع أن نصوص الانتظار لا تحمل في طيّاتها هذا الاتجاه في التفسير السلبي.كما ينطوي بعضها علي حالة اخبارية أي التنبوء بفشل واخفاق الحركاتالتغييرية التي تسبق ظهور الامام الغائب، وهـذا لا يعني بالضـرورة ادانتها فأي ادانةمثلاً في هذا النص: «والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم، الاّ كان مثَله مثل فرخطار من وكره قبل أن يسـتوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به» فكم من النظرياتمن حلق في سماء الفكر والسياسة والادارة ثم هوي علي الارض صريعاً؟!

وهنـاك مساحـة للعمل التغييري في اتجاه التمهيـد لعمليـة التغيير الكبري المنتظرةونموذجاً علي ذلك ما قام به الامام الشـهيد محمـد باقر الصدر الذي ألّف في مسألةالمهدي بحثه الرائد، لم يفهم من الانتظار الجانب السـلبي منه واقدم علي خطوةاستشـهادية مسـتلهماً فيها ثقافة عاشوراء التي تخطط للاجيال والمستقبل.

وتزامنت خطوته مع ثورة الامـام الخميني الـذي يؤمن بالمهـدي أعمق الايمان فلمتكن ولايـة الفقيه سوي نيابـة عن الامام الغائب في قيادة العمل التغييري نحو الامامباتجاه التكامل الانساني.

ومن هنا فان مسألـة الانتظار في جوهرها تنطوي علي اشـعاع أخلاقي ودوراجتماعي ايجابي يرشّد العمل التغييري ويـدفعه باتجاه الهـدف المنشود.

المخزون الايجابي للانتظار

يعبر ابن خلدون في مقدمته الشـهيرة: ان المشهور من الكافة من أهل الاسلامعلي مرّ الاعصار، انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيدالدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، يستولي علي الممالك الاسلامية ويسمّيب-«المهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشـراط الساعة الثابتة في الصحيحعلي أثره، وان عيسي عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجّال أو ينزل معه فيساعده عليقتله ويأتم بالمهدي في صلاته» (1).

وهـذا النص يترجم قوّة النقل الحـديثي في النصوص الاسـلامية حول مسألةالمهـدي التي ينبغي أن تجتاز لـدي العالم السـني حالة النص التـاريخي المغيّب في بطونـالكتب لتتحول الي هاجس مسـتقبلي، فمادامت القضـية ترتبط بآخر الزمان هي قضيةمسـتقبلية تتطلب التفكير الجاد علي أساس ان المهدي يقود مستقبل الاسلام في نهايةالمطاف.

وهنا يكمن الفرق بين العالم الشـيعي الـذي عاش قضـية المهـدي وجـدانياً فتعثرحيناً ومشـي يقطع أشواطاً في أحيان أخري وأخطأ وأصاب قاطعاً خطوات هامّة فيطريق التكامل والتعامل مع هذه القضـية بشكل ايجابي فيما يتعامل العالم السني معهاباعتبارها ارثاً فكرياً وجزءاً من التراث الاسلامي العريق.

والانتظار يتحول من خلال مخزونه الايجابي الي دافع للحركة والنمو وهذا يتوقفبطبيعة الحال علي دخوله دائرة الضـمير كأمل أخضـر ودائرة العقل كأسلوب للتفكيروبالتالي استحالته الي رؤية للمستقبل القادم.

1- مقدمة ابن خلدون /311.

ومن هنا يكون للانتظار قيمة حضارية بناءة ومؤثرة وفي أدبيات المذهبالامامي يدخل الانتظار في صياغة البعد الروحي من خلال الارتباط الوثيق بالغائبودعوته الي الظهور ولعل في «دعاء الندبة» شاهداً ثقافياً جلياً يكشف عن صياغةروحية للانسان الذي يعلن عن استعداده الكامل في خوض عملية التغيير الكبري.

ان «انتظار الانقاذ في ما ليس بوسع الانسان ان يقدمه أو يؤخّره، كما لو كانالغريق ينتظر وصول فريق الانقاذ اليه من الساحل ويراهم مقبلين اءليه لانقاذه، فانهمن المؤكد ان الغريق لا يستطيع ان يقدّم وصول فريق الانقاذ اءليه، الاّ أنه من المؤكدايضاً أن هذا الانتظار يبعث في الغريق أملاً قوياً في النجاة ويدخل نور الامل عليظلمات اليأس التي تحيط به من كل جانب» (1).

فهنا يدخل الامل كعنصر أساس في بعث روح المقاومة فيما يدخل اليأس كعاملانهيار وهزيمة.

فالانتظار يؤدي الي انبعاث الامل والامل يبعث روح المقاومة وبالتالي الحركة (2).

وهناك نقطة جديرة بالتأمل وهي أن ظاهرة الانتظار وبالرغم من كونها ظاهرةعامّة واكبت التاريخ الانساني ولكنها تعرّضت الي تغير جوهري لدي الامامية بعدالايمان بولادته سنة 256 ه- وهذا التغير ينطلق من توقع ظهور الغائب في أية لحظةوما يزال الاشعاع الفكري مستمراً حتي الان.

فهناك ايمان عام بحتمية الظهور ذات يوم ثم انتقل منذ ذلك التاريخ الي هاجسزمني بعد توفر المصداق خاصّة لدي جماهير الاءمامية.

ولدي استقراء التاريخ الاسلامي بشكل عام والشيعي بشكل خاص نجد خطّاًبيانياً يتصاعد مضطرداً في الاهتمام بهذه المسألة.

1- الشيخ الاصفى - الانتظار الموجه /13 ط دار الغدير لبنان 1997.

2- المصدر السابق /14-15.

فلم تكن في زمن النبي لتتعـدي بضـعة أحاديث تنتقل عبر صـدور الرواة ثم مالبثت ان اخـذت مساراً جديـداً عبر الزمن الي مطلع العصـر العباسي الثاني واشتدادالمحن التي المت بالعالم الاسلامي وبالخصوص القواعد الشعبية للمذهب الامامي.

ان مسألة الانتظار لدي الشيعة الامامية هي موقفهم خلال فترة الغيبة الكبري،ودورهم الاجتماعي وبوضوح أكثر مسألة الجهاد والحكم.

ان وهج الايات القرآنية لا يمكن ان يخبو في ظل أي من الظروف فقوله تعالي:(وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسـتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ) (1) وقوله تعالي: (اءِنَّ اللّهَ اشْتَرَي مِنَ الْمُؤْمِنِينَأَنْفُسَـ هُمْ وَأَمْوَالَهُم بِـاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْـداً عَلَيْهِ حَقّاً فِيالتَّوْرَاةِ وَالاْءِنْجِيلِ وَالْقُرْانِ وَمَنْ أَوْفَي بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِوَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (2).

يشـير اءلي أن القرآن الكريم يؤكد اسـتمرار خط الرسالات الالهية حتي في غيابالنبوات بنفس الاتجاه الذي انطلقت فيه وهو هداية الانسانية نحو الكمال وبناء حياةتحقق اءنسانية الاءنسان وكرامته وهذا يستلزم استمرار حركة الجهاد وتزعم عمليةالبناء الاجتماعي وقيادته.

غير أن هناك نقطـة جـديرة بالاهتمام وهي ان الجهاد لا يعني دائماً رفع السـلاحفالجهاد له اساليب متنوعـة تمتد لتشـمل حالات العصـيان المدني.

وقـد اثبتت تجارب الامم المعاصـرة وبما اصـطلح عليه بالنضال السـلبي جـدويمثل هـذا الاسـلوب ولعل ابرز امثلته التجربـة الهنديـة في الاستقلال علي يد داعيةاللاعنف غاندي.

غير ان تضخيم هذه الحالة ومحاولة التأسيس لها بشكل يلغي أو يسيء اليالاساليب الجهادية الاخري أمر تعسفي مجانب للمنطق.

«.. فان العزلة علي أي حال

1- الانفال : 60.

2- التوبة : 111.

تعني السلبية والانسحاب والسلبية في الاعمال الاغلب تعني الراحة والاستقرار.

ومنالواضح جداً أن الفرد لا يتكامل اخلاصه ووعيه الاسلامي الاّ بالعمل والتضحيةومواجهة الصعوبات» (1).

ذلك ان الجهاد الايجابي تكاد تكون له الكفة الراجحة في ظل الارث الروائيالذي يشير الي وجود من يخرج قبل عصر الظهور ليمهد للثورة الكبري: «يخرجاناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه» (2).

ومن هنا فان مسألـة الانتظار الايجابي تكتسب من الاصالـة ما يجعلها قويةومنطقية حتي مع وجود زخم اخباري يؤكد فشل واخفاق جميع نظريات الحكم: «مايكون هـذا الامر (دولـة المهدي) حتي لا يبقي صـنف من الناس الاّ وقد ولّوا منالناس، حتي لا يقول قائل: اءنّا لو ولينا لعدلنا. ثم يقوم القائم بالحق» (3).

«ان دولتنـا آخر الـدول.ولم يبق أهل بيت لهم دولـة الاّ ملكوا قبلنا، لئلاّ يقولواءذا رأوا سـيرتنا لو ملكنا سـرنا مثل سـيرة هؤلاء وهو قول الله عزوجل: (وَالْعَاقِبَةُلِلْمُتَّقِينَ) (4).

فهذه التجارب الانسانية علي تعددها تنطوي علي عناصـر التكامل البشـريالذي يمهد الارضـية المناسـبة لعملية التغيير الكبري التي تتوقف علي وجود انسان فذواكب مسار الحضارات وتشرّب قوانين التاريخ والزمن.

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر:

ومن الواضـح أن الحجم المطلوب من هذا الشـعور النفسـي يتناسب مع حجمالتغيير نفسه، وما يُراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلما كانت المواجهة لكيان

1- محمدباقر الصدر بحث حول المهدى / 85 - 89.

2- بحارالانوار : 87/51.

3- الغيبة /146.

4- اعلام الورى / 432.

أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ تطلّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم.

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم وبالجور، تغييراً شاملاًبكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة، فمن الطبيعي أن تفتش هـذه الرسالـة عنشـخص أكبر في شـعوره النفسـي من ذلك العالم كله، عن شـخص ليس من مواليـد ذلكالعالم الـذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يُراد تقويضـها واستبدال حضارة العدلوالحق بها؛ لانّ من ينشأ في ظل حضارة راسخة، تغمر الدنيا بسلطانها وقيمهاوأفكارها، يعيش وفي نفسه الشـعور بالهيبـة تجاههـا؛ لانه ولـد وهي قائمـة، ونشأصـغيراً وهي جبارة، وفتـح عينيه علي الـدنيا فلم يجـد سوي أوجهها المختلفة.

وخلافاً لـذلك، شـخص يتوغل في التاريـخ عاش الـدنيا قبل أن تري تلك الحضارةالنور ورأي الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأُخري ثم تداعتوانهارت، رأي ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ..

ثمّ رأي الحضارة التي يقدّر لها أن تكوّن الفصل الاخير من قصة الاءنسان قبلاليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين..

ثمّ شاهدها وقد اتخذت مواقعها في أحشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكيتنمو وتظهر..

ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيقتارة أُخري..

ثمّ واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسـيطر بالتدريـج علي مقـدّرات عالم بكامله،فاءنّ شـخصاً من هـذا القبيل عاش كلّ هـذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر اءلي هذاالعملاق – الذي يريد أن يصارعه – من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذيعاشه بحسّه لا في بطون كتب التاريـخ فحسب، ينظر اءليه لاـ بوصـفه قـدراً محتومـاً، ولاكمـا كـان ينظر (جان جاك روسو) اءلي الملكيـة في فرنسا، فقـد جاء عنه أنه كان يرعبهمجرد أن يتصور فرنسا بدون ملك، علي الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً

وفلسفياً اءلي تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذ؛ لان (روسو) هذا نشأ في ظلالملَكية، وتنفس هواءها طيلة حياته، وأما هذا الشخص المتوغل في التاريخ، فلههيبة التاريخ، وقوة التاريخ، والشعور المفعم بأنّ ما حوله من كيان وحضارة وليد يوممن أيام التاريخ، تهيأت له الاسباب فوُجِد، وستتهيأ الاسباب فيزول، فلاـ يبقي منهشيء كما لم يكن يَوجد منه شيء بالاـمس القريب أو البعيد، وأنّ الاعمار التاريخيةللحضارات والكيانات مهما طالت فهي ليست اءلاّ أياماً قصيرة في عمر التاريخالطويل.

هل قرأت سورة الكهف؟

وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدي؟ وواجهواكياناً وثنياً حاكماً، لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاععن وهدة الشرك، فضاقت نفوسهم ودبّ اءليها اليأس وسدّت منافذ الامل أمامأعينهم، ولجأوا اءلي الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد أن أعيتهم الحلول،وكبر في نفوسهم أن يظل الباطل يحكم ويظلم ويقهر الحق ويُصفّي كلّ من يخفق قلبهللحق.

هل تعلم ماذا صنع الله تعالي بهم؟

اءنه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف، ثمّ بعثهم من نومهم ودفعبهم اءلي مسرح الحياة، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه قد تداعيوسقط، وأصبح تاريخاً لا يُرعِبُ أحداً ولا يُحرك ساكناً، كلّ ذلك لكي يشهدَ هؤلاءالفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته واستمراره، ويروا انتهاءأمره بأعينهم ويتصاغر الباطل في نفوسهم.

ولئن تحققت لاصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكلّ ما تحمل من زخموشموخ نفسيّيْن من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدّد حياتهم ثلاثمائة سنة، فاءنالشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد

العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة والاءعصار وهو مجرد نسمة.

أضف اءلي ذلك، أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة،والمواجهة المباشـرة لحركتها وتطوراتها لها أثر كبير في الاءعداد الفكري وتعميق الخبرةالقياديـة لليوم الموعود؛ لانهـا تضع الشـخص المـدّخَر أمام ممارسات كثيرة للاخرينبكلّ ما فيها من نقاط الضـعف والقـوة، ومن ألـوان الخطـأ والصـواب، وتعطي لهذاالشـخص قـدرة أكـبر علي تقييم الظـواهر الاجتماعيـة بـالوعي الكامـل علي أسـبابها، وكلملابساتها التاريخية.

ثمّ اءنّ عمليـة التغيير المـدّخرة للقائـدة المنتظر تقوم علي اساس رسالة معينة هيرسالة الاءسـلام، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالـة قائداً قريباً من مصادرالاءسـلام الأُولي، قد بُنيت شخصـيته بناءاً كاملاً بصورة مسـتقلة ومنفصـلة عن مؤثراتالحضارة التي يُقدّر لليوم الموعود أن يحاربها.

وخلافاً لـذلك، الشـخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة وتنفتح أفكارهومشاعره في اءطارها، فاءنّه لا يتخلص غالباً من رواسـب تلك الحضارة ومرتكزاتها،واءن قاد حملة تغييرية ضدها.

فلكي يُضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي أُعدّ لاستبدالها لابدّ أنتكون شخصيته قد بُنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تكون فيالروح العامّة ومن ناحية المبدأ الي الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود اليتحقيقها بقيادته (1).

ومن هنـا يـدخل الانتظار قيمـة حضاريـة تخلق «الامل» و«المقاومـة» و«الحركـة»التي تؤدي في غالبيـة الاحوال الي الخلاص أو التمهيد للخلاص فالامل يسلح المرءبرؤية تخترق قضبان الزمن الي المستقبل المشرق فتستحيل عذابات الحاضر الي

1- محمد باقر الصدر - بحث حول المهدى / 85 - 89.

اختبار وامتحان يلزمه الصمود والصبر والمقاومة ويكون صبره لاخنوعاً ومقاومته لاتحملاً فقط وانما مواجهة حقيقية لتغيير الواقع.

ونحن نـدرك أن قانون التغيير يعتمد معادلة طرفاها الله سـبحانه والانسان: «اناالله لا يغير ما بقوم حتي يغيّروا ما بانفسـهم» فالفعل التغييري يتوقف علي حركةالانسان هذه الحركة التي تؤهله لعملية التغيير.

ونذكّر مرّة أخري بالحركة التمهيدية التي تسبق ظهور الامام الغائب والتيتنسجم تمام الانسجام مع فكرة الانتظار بمعناها الايجابي ومخزونها الحضاري.

ومراجعة للاحاديث التي تتعلق بجهود الموطئين توضح المساحات الجغرافيةالمترامية التي تنهض بهذه المهمة التغييرية.

فهناك رايات سود تظهر في الشرق تتقدم نحو النصر بخطي ثابتة حتي تسلّمالواء الي رجل من أهل البيت (1).

وهناك راية تظهر في خراسان تقاتل السفياني حتي تصل بيت المقدس تمهدللمهدي حكومته (2).

وتمتـد هـذه الحركة من ايران الي اليمن (3) لتتكلل فيما بعـد في الحجاز والعراق ومشاريع التمهيد سـتكون واسـعة وكبيرة جداً ومصـيرية وسـيحتدم الصراع في البدايةمع ثقافة الاستكبار التي تحاول قهر العالم الاسلامي وتذويب شخصيته وكيانه قبل أنيتطور الصراع الي مواجهة تظهر فيها المدافع والطائرات من مخابئها.

وستكون هناك استجابة حقيقية لنداء القرآن الكريم: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَا استَطَعْتُممِن قُوَّةٍ).

1- مستدرک الصحيحين /464 بحار الانوار : 243/52.

2- عصر الظهور : 206.

3- بحارالانوار : 232/52.

وفي هذا الفصل من فصول التاريخ الانساني ستبرز بشكل واضح ومدهش ثقافةالاستشهاد بعد هزيمة الثقافة التخاذلية التساومية.

وفي هـذه المرحلة من تاريخ البشـر سـيتجلي أيضاً الحبّ الالهي، هذا الحبّ الذييرشّد حركة الانسان مذ كان طفلاً يحب والديه ثم أخويه وأخواته واصدقاءه ومن ثمّالي الحب الطاهر الذي يقوده الي نصـفه الاخر ليتكامل في ظل الشرعية والسير فيالطريق المضيء طريق الفضيلة والخير والسلام.

ولـدينا نموذج متألق في ما حدث في ايران فثقافة الانتظار الايجابي والايمانالراسخ بالمصـلح الغائب وحضور النائب هي وراء انتصار الثورة الاسلامية بقيادةالسيد الخميني.

وليس هناك من ينكر أن الدعاء وخاصّة الدعاء من أجل المهدي!

«اللهم كن لوليّك الحجـة بن الحسن صـلواتك عليه وعلي آبائه في هـذه الساعةوفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقائداً وناصـراً ودليلاً وعينا حتي تسـكنه أرضك طوعاًوتمتعه فيها طويلاً» وكذا دعاء الشـكوي والالم والاستعانة من أجل التغيير: «اللهم اءنّانشكو اليك فقد نبينا وكثرة عدونا وقلة عددنا وشدّة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا..اللهم اءنّا نرغب اليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسـلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله،وتجعلنا فيها من الدعاة الي طاعتك والقادة الي سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنياوالاخرة» (1).

وغيرهما يشكل جزءً من المخزون الروحي الذي أهل الشعب الايرانيوقاده في دروب الجهاد والثورة.

وفي ضوء ما تقدّم نستوعب ما روي عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم قوله: أفضل أعمال أمتي الانتظار (2).

فالانتظار حركة باتجاه التغيير وليس توقفاً بانتظار الخلاص.

1- دعاء الافتتاح.

2- الزام الناصب : 469/1.

عالم الغد

ليست هناك من حدود فاصلة بين ما نطلق عليه الماضي والحاضر والمستقبل،ذلك ان مسار الزمن يبقي متصلاً حتي يبلغ الكتاب أجله.

أنه لا يعني ان ما يقع فيه من حوادث سيكون متكرراً بصورة وأخري فهوينطوي في حركته علي غائية ما نجهلها ونحاول الكشف عنها.

من هنا وبسبب ميل فطري لـدي الانسان قـديماً وتجسّـد في محاولات الكشف عناسـتار الغيب وحوادث الغـد ظهرت أخيراً مراكز علمية لاءستشـراف المسـتقبل.وتنامي الاهتمام بالداراسات المستقبلية في عالم اليوم فاصبحت لدي بعض الاممجزءاً حياتياً من نشاطها وكفاحها فهناك رغبة قوية في استشراف المستقبل للتحكمفيه والسيطرة عليه في عملية التغيير الاجتماعي.

مع التأكيد علي أن الدراسات الاستشرافية عادة ما تنهض علي مجموعة منالاهداف والغايات وفي ضوئها تصاغ الخطط المستقبلية.وبالرغم من ان الـدراسات تهتم بالمسـتقبل علي مـديات زمنيـة متفاوتـة ولكنالاهتمام ينصب علي الحاضـر لاكتشاف جهة ما في حركة الواقع وقد يدخل الماضي أوالتاريخ في صميم الدراسات لاستكشاف بعض القوانين الاجتماعية التي تدخل فيصياغة المستقبل أو التاثير فيه.

ويتضمن الخطاب القرآني دعوة قوية لدراسة التاريخ للاعتبار، والاعتبار يعنياكتشاف البدائل والافادة من أخطاء الامم السابقة.

ص: 123

(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ).

وفي نفس الوقت نلاحظ وعداً الهياً عن المستقبل ان الساعة آتية لاريب فيها؛ وقد (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ امَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ).

وسوف يحصل هذا ضمن قوانين اجتماعية وتاريخية لا تقبل التغيير (وَلَن تَجِدَلِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً).

ومسألة التخطيط ينبغي أن تتضمن نقطتين جوهريتين هما تحديد الغايةوالوسيلة اضافة الي تعيين اطار اخلاقي يرشدهما معاً فالوسيلة يجب أن تكونبمستوي الهدف، ولذا فأن معادلة أخلاقية دقيقة جداً تربط بينهما؛ ولا يمكن بأيحال من الاحوال أن نبرر وسيلة ما بسمو الغاية مهما بلغت من درجة السمو.

وقد مرّت الانسانية في القرنين الاخيرين بعدّة تجارب تألقت في أحلامهاوأمانيها وطموحاتها لافتات متألقة ومؤثرة، الديمقراطية، الاشتراكية.

ثم نري من ناحية أخري فكرة ثالثة بدأت دوراً كبيراً لا تنقص أهميتها عن دورالديمقراطية والاشتراكية في العالم.

يقول المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي «فنحن نري فكرة السلام قد دخلتالمجال القومي والدولي، وأصبحت في كل مكان شعاراً للسياسة ومنبهاً للافكار فيمختلف البلدان.

نري صوتها يرتفع في كل مناسبة، ونري الافراد والشعوب تصغياليه بكل خشوع، لانه يعبر أيضاً عن حاجة للاءنسانية في القرن العشرين.

فقد باتتاليوم كل سياسة ترفع لواء السلم مهما كانت النوايا وراء الكلمات والمواقف الظاهرة.اءنها كحاجة تفرض نفسها.. سواء في المجال الساسي أو المجال الادبي.

فكل لسان اليوم حينما يتكلم، وكل قلم حينما يكتب فاءنما ليعبر عنها طوعاً أوكرهاً. ولا يقوم من يهدد السلام بتصرفاته اءلاّ باسم السلم في أقواله.

هذا هو واقع العالم اليوم، الواقع الجبار الذي يجذب اءليه طاقات الاءنسانية،وقوي التاريخ اءلي مستقر لا يعلمه اءلاّ الله.

والان ينبغي لنا أن نتساءل: ما هو موقفنا من هذا الواقع، حتي نعلم ما هومركزنا وما سوف يكون عليه في العالم الجديد؟

اءن علينا أن نفكر في طريقة تصوغ الجواب علي هذا السؤال في صورة محسوسةبقدر الاءمكان.

ونحن نستطيع أن نصل اءلي هذا الهدف اءذا جعلنا للكلام الذي تقدمصورة جغرافية... فنعطي لكل حاجة من الحاجات الثلاثة التي كشف عنها بحثنالوناً خاصاً. وذلك بأن نجعل اللون الازرق مثلاً يعبر عن الديمقراطية، واللون الاحمرعن الاشتراكية، واللون الاخضر عن السلام. فاءذا ما وضعنا هذه الالوان الثلاثة عليالخريطة متبعين مبدأ الاولوية، اتباعاً يكون معه في المكان الواحد لون واحد يعبرعن الحاجة الشائعة هناك، أو علي النزعة السائدة في ذلك المكان، ثم استفتينامعلوماتنا العادية في هذه الامور والتاريخ والصحافة اليومية أيضاً في توزيع هذهالالوان، فاءن الجواب سيجعل كل لون يستقر في رقعة معينة.

ويحدد لنا قارةأيدلوجية معينة مطابقة لمبدأ من المبادي الثلاثة التي وزعنا بمقتضاها الالوان. وهكذانري في النهاية أن لون الديمقراطية قد استقر علي مساحة الرقعة الجغرافية التي تطابقرقعة الحضارة الغربية، أي الرقعةالتي تشمل أوربا الغربية وأميركا.

وأن اللون الاحمرلون الاشتراكية قد جعل من الرقعة التي تنتشر عليها البلاد الشيوعية مقاماً. وأن لونالسلام الاخضر قد أوي اءلي شبه القارة الهندية.

وليس هذا يعني بالطبع أن روح الديمقراطية الخالصة تقطن البلاد الغربيةوأميركا.. تلك البلاد التي انبعثت منها روح الاستعمار الخبيث ورائحته. وأن روحالاشتراكية لا توجد اءلاّ في البلاد الشيوعية، فلقد نعلم أن بلاداً أخري كالبلادالاسكندنافية قد تحققت فيها أروع التجارب الاشتراكية، دون أي تعد علي حرياتالفرد ودون أي عنف.

كما أننا لا نعترف أن الهند تمثل روح السلم الصرف دون استثناء، فلقد انبعثتمنها أحياناً أنفاس لا تليق بروح المهاتما غاندي، روح اللاعنف، وذلك في بعض

المشاكل كمشكلة كشمير. ومع ذلك فاءنه لا مجال للاءنكار في أن الاءنسانية اليوم تشعربأنها تصغي لصوت السلام حينما يرتفع صوت نهرو في نيودلهي، أو صوتكريشنامينون في الامم المتحدة. ولقد أظهرت الازمة الاخيرة التي أثارتها السياسةالصينية علي حدود الهند أن الاءنسانية لم تخطي في شعورها هذا، بل اءننا لندهش اءذنري الهند لم تغير موقفها اءزاء الصين في الوقت الذي تطأ فيه الجنود الصينية ترابها.

وليس من خطأ التقدير أن نقول أيضاً اءن البلاد الغربية تمثل الديمقراطية في العالمالجديد، مع علمنا بما في هذا التقدير من نسبية. واءن البلاد الشيوعية تمثل اليومالفكرة الاشتراكية مع التنبيه أيضاً علي نسبية هذا التقدير.

هذا هو واقع العالم اليوم، فاءذا أردنا أن نعلم مكاننا الان منه فاءن علينا أن نرجعاءلي الخريطة الايديولوجية التي رسمناها ونبحث عن لوننا أين هو؟

ولن نلبث حتينجد رقعتنا علي هذه الخريطة بيضاء كتلك المساحات التي كانت تبقي بيضاء عليخرائط القرن التاسع عشر.

اءشارة اءلي أنها لا تزال مجاهيل، لم يكتشفها علماءالجغرافية ولم يمسحوها. فرقعتنا اءذن بحسب منطق حديثنا ذات لون أبيض، لانها لاتمثل حاجة من حاجات الاءنسانية الكبري في القرن العشرين. فنحن في حالة تغيبعن العالم الجديد لاننا لا نري لوناً علي الخريطة يدل علي وجودنا فيه.

فاءذا ما شئنا الجواب علي السؤال الذي أوردناه في صدر الحديث، فاءنناسنعترف بأن مكاننا في المجمع العالمي سوف يكون تافها، لاننا لا نمثل مصلحة ذاتاأهمية عالمية.

وهنا يبدو سؤال جديد: هل هناك مخرج من مأزق كهذا؟ أم لابد أن نستسلمللياًس فنطأطيء الرأس أمام هذا الواقع؟ ونقتنع بوظيفة فراش في المجتمع العالمي؟

ويبدو لي أنه من اللائق أن نفكر في الاسباب التي أدخلتنا اءلي هذا المأزق، قبلأن نفكر في الاسباب التي يمكننا بها الخروج منه. اءن دوافع الحياة هي التي ورطتنا فيالازمة التي نحاول منها الخروج. ورطتنا منذ أكثر من نصف قرن، حينما استيقظت

الشعوب العربية الاءسلامية علي خطر الاستعمار، فقد كانت يقظتنا الفجائية دافعاً مندوافع الحياة وفي الوقت نفسه دافعاً من دوافع الخطأ.

فكان مثلنا كنائم استيقظ فجأة فوجد النار في غرفته، ودون أي تفكير ألقيبنفسه من نافذة الغرفة التي هي في الدور الرابع أو الخامس لينجو من النار.

فنحن قد ألقينا بأنفسنا من حيث لا نريد في هوة التقليد حتي ننجو منالاستعمار. اءننا نفكر في الخلاص تفكيرا معقداً؛ واءنما دفعتنا دوافع لا شعوريـة لتقليدحضارة الاسـتعمار حتي نعصم أنفسـنا منه.ولقد دعانا هذا اءلي السـير في الطريق التيشـقته الشـعوب الغربية أمامنا علي أنه يوصلنا اءلي ما وصلوا اءليه.

ولا شك أن هذا ممكن لو أننا نسير جميعاً دون دخل للوقت والتطور في حياتنا.

ولكننا نتطور نحن ومن نقلـده. وعليه فاءذا سـرنا علي مبـدأ تقليده فسوف نقلدهاءلي ما لا نهاية.وهكذا كان الدافع الذي دفعنا في مطلع هذا القرن اءلي الحياة قد دفعنافي الوقت نفسه اءلي الخطأ فبتنا نسير في هذا الطريق، لان السابق اءلي الشيء دائماًأولي به.

ومن المسلم به أن من نقلده أسبق منا في هذا المضمار.

فلو أننا افترضـنا أن الصاروخ هو في النهايـة الغايـة التي تريد الاءنسانية تحقيقهاوهذا افتراض لا نسـلم به اءلاّ جدلاً، فاءن المجتمعات التي سارت قبلنا علي طريقالحضارة الماديـة سوف تصل حتماً اءلي تلك الغايـة قبلنا. وهكـذا نصـبح في النهاية نسـيراءلي غير غاية حققها غيرنا قبلنا.

فالخطأ اءذن بين، ويزيده وضوحا أن تخرج القضـية من اءطار المنطق البسـيط اءليمنطق الواقع الصـحيح: فنحن لا نري أن الذي قد حصـل علي الصاروخ قبلنا ونقتفيأثره عن طريق الحياة المادية، حقق بذلك غاية الاءنسانية، فأشـبع حاجة منالحاجات الكبري التي نريد اءشـباعها، بل نراه هو نفسه يخشي الصاروخ الذي في يمينهوالقنبلة الذرية التي في يساره، فهو يلوح بها لخصومه وأعدائه بيد ترتعش خوفاً مما

تحمل، فهل نؤمن – والحالة كما ذكرنا – أنه بما حصل عليه في طريق الحضارة المادية،قد أسعد نفسه أو أسعد الاءنسانية؟

فالخطأ واضح اءذن من الجانب النفسي والاخلاقي والمنطقي معاً. وبهذا يتبين لناكيف دخلنا في المأزق وبقي أن نتساءل: كيف نخرج منه؟

قد وضح مما بينا أننا دخلنا اءليه عن طريق التقليد، فلم نفكر في مسلكنا حينمااستيقظنا بل سرنا مقلدين لا مبتكرين؛ وأري الان أن نتمهل فنراجع أنفسنا، فاءنالاعتبارات التي قدمناها لا تدلنا علي أنه ينبغي علينا أن نستغني عن نتائج الحضارةالمادية، واءنما أن نقدرها بالنسبة لوضعنا، في عالم أصبح فيه نوع جديد منالتخصص. لا تتخصص فيه الافراد فحسب كما كان الامر من قبل، لاءشباع حاجاتالحياة المادية، ولكن تتخصص الكتل البشرية لتسد كل حاجة من الحاجات التيتتضمنها الحياة الاءنسانية الايديولوجية.. وتحقق لها في المجتمع العالمي مكاناً..

فاءذا ملكنا الصاروخ فمرحباً به لخدمة الاءنسانية، ولكن مع العلم أنه قد وصلاءلي يد غيرنا قبلنا. واءنه مع ذلك لا يشبع حاجة من الحاجات الاءنسانية.

وعلي ضوء هذه الاعتبارات، علينا أن نراجع أنفسنا ونتساءل: ما هو المخرج؟اءنه في أن يكون في نشاطنا الروحي ما تعترف به الاءنسانية كحاجة مثل الديمقراطيةوالاشتراكية والسلم، حاجة لا بد من اءشباعها.

ونحن حين نضع المشكلة هكذا فاءنه يبقي أن نعلم هل لهذه المشكلة حل في هذهالصورة؟ وبتعبير آخر، هل في أنفسنا بصفتنا عرباً وفي أرواحنا بوصفنا مسلمينمنبع ينبع منه خير للاءنسانية؟

اءنه يمكن الخطأ في الجواب، ولكن هذا لن يقلل من أهمية السؤال. يمكن لي أنأخطي في رأيي الخاص أمام هذا السؤال، ولكن هذا لا يغير من صورة القضية، فاءنهيجب أن يكون في نشاطنا شيء تعترف به الاءنسانية بوصفه حاجة من حاجاتها،شيء يضمن لنا مركزاً كريماً في المجتمع العالمي.

وأنا هنا سوف أبدي مجرد رأي.. ولا ضـير أن يأتي غيري برأي أحسن منهشـريطة أن نظل في صـلب القضية، فاءن حاجة الاءنسانية لا تتمثل في الديمقراطيةوحدها، التي فيما يبدو قد اسـتأثر بها الغرب، ولا الاشتراكية وحدها التي – فيما يبدو –قد تخصصت بها البلاد الشيوعية ولا السـلم وحـده الذي قد رفعت رايته الهند، فهناكفي نظري مجال نسـتطيع فيه أن نسـجل بلون خاص وجودنا علي الخريطةالايديولوجية. اءن الاءنسانيـة في حاجـة – عامـة – اءلي صوت يناديها اءلي الخير،واءليالكف عن جميع الشـرور، واءنها الحاجة أكثر اءلحاحاً من سواها، لان الاءنسانتوّاق اءلي الخير بفطرته، واءنما تحرمه منه معوقات مختلفـة تكونها الظروف الاجتماعيةوالسياسـية والاقتصادية أحياناً، غير أنه حينما تؤثر هذه المعوقات في سلوكه فتجعلهيكذب أو يسرق أو يظلم أو يقتل فاءنه يشعر بالحرمان.

اءن الطيار الامريكي الذي ألقي القنبلة الذرية الاولي علي هيروشيما، قد دفعته اءليعمله دوافع مختلفة يسميها البطولة الوطنية، دوافع كونتها في نفسه ثقافته وبيئته.غير أنه حينما انجلي الانفجار الهائل في الافق، وكشف عن أطلال مدينـة كاملة،وظهرت الاكداس من الجثث الممزقة الموقوذة المشوهة، ظهر بين تلك الاطلالالحزينة وفوق تلكالاكداس الرهيبة وجه الشر، وكأنما ارتفعت منه ضحكة نكراء،اءنها ضحكة الشر المنتصر، قد وصل صداها اءلي أذني ذلك (البطل) الذي سحقالمدينة بقنبلته الفتاكة.

ولقد حاول أن يتواري عن ذلك الوجه المفزع، وأن يُصم أذنيه عن تلكالضـحكة المزعجة، فأطلق لطائرته سرعتها حتي يغير من ذلك المنظر ويبـدل من ذلكالصوت، ولكن هيهات أن يزايل المشـهد مخيلته أو يهـدأ رنين الصوت في أذنه، فاءنهيحمله في نفسه، في فطرته، في ضـميره الذي تحرك حينما رأي سوء عمله.. لقد فروأمعن في الفرار، ولكن ذلك لم يجعله في نجوة من شـعوره بالاءثم، ومن رؤيته لوجهالشـر سافراً فوق الاطلال المحطمة، ومن سماع ضحكته الصاخبة فوق الجثث الهامدة.

ص: 129

فر من الجيش، من الحياة العائلية، من الاصدقاء، من الملذات، وأوي أخيراًاءلي دير عله يجد في العزلة تسلية.

اءن في هـذه الحادثة لعبرة. اءنها تشـير اءلي أن الاءنسان لا يفقد من نفسه معني الخيركله مهما أحاطت به دوافع الشـر. لان الاصل في قلبه الخير والشـر عارض. واءن هذاليعني أن الخير حاجة تشعر بها النفس شعوراً عنيفاً، كذلك العنف الذي تجلي فيسلوك الطائر الامريكي بعد عودته من هيروشيما (1).

ويخلص المفكر الراحل الي مشروع انساني جديد قائلاً:

«ونحن حينما نـدقق الاشـياء نري أن الـدوافع النفسـية التي تعبر عنها فكرةالديمقراطية أو فكرة السـلام، اءنما هي في الواقع دوافع واحدة في صور مختلفـة: اءنهادوافع الخير في نفوس مختلفـة. واءن هـذا يعني «بعـدما تصح هذه الملاحظة» أن فيالنفس مجالاً لفكرة الخير، وأن من يرفع راية الخير قد يسد حاجة تشعر بهاالانسانية في أعماقها، ويحقق لنفسه مكاناً كريماً في المجمع العالمي.

وفي هذا المجال يمكن أن يكون مجالنا اءذا حققنا في سلوكنا معني الاية الكريمة:(وَلِتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ اءِلي الْخَيْرِ) (2).

فاءذا ما تحققت هـذه الايـة في سـلوكنا العام، بوصـفها تخصـصاً لمجتمعنا بالنسـبةلحاجة الاءنسانيـة، فسوف نكون قـد لقينا علي الخريطة الاءيديولوجية لوناً يجعلنا منأكرم سـكان المجمع العالمي. وأنا أتعمد شـيئاً حينما أقرن الخير بالسـلوك، فالسـلوك هوالذي يحقق في الواقع معني الخير المجرد. فليس الخير مجرد حقيقـة نعلمهـا أو نقولهـا،مجرد حقيقـة تقبلهـا العقول، وربمـا تنفر منها الانفس أحياناً اءذا لم يكن الخير في صورةمحببة للناس، اءذ ربما يحدث دوافع سلبية لا تشبع في أنفسهم حاجة لخير، بل تحدثفيها حالة حرمان.

1- مالک بن نبی تاملات / 216 - 210.

2- آل عمران : الاية 104.

وقـد كرر القرآن الكريم النصائـح في هـذا الاتجـاه اءذ يقول للنبي: (وَلَوْ كُنتَ فَظّاًغَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ). (1) أو حينمـا يقول له بصفة عامة (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَأَحْسَنُ فَاءِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (2).

فهذا هو – فيما أري – شـرط دخولنا في المجمع العالمي. ونحن حينما ندخل اءلي هذاالمجمع غير مقلدين، فاءننا سـنكون أسبق من غيرنا اءلي وظيفة، تسد حاجة منحاجات الاءنسانية الكبري في القرن العشرين، ولحققنا بذلك لانفسنا مكاناً كريماً في العالم الجديد (3).

ولكن أيّـة لافتـة يمكن أن ترفع بعـد أن تبـدد بريق اللافتات الاخري وما الذييمكن أن يصـبح هاجس الضـمير العالمي في هذا المقطع من تاريخه المرير؟

خاصّـة وان لافتـة جديـدة هي «العولمـة» باتت تثير مخاوف الامم والشـعوبوتدفع شـبابها اءلي التظاهر ضدها كخطر يهدد كيان الشـعوب وهويتها!

ولقد أنت البشـرية من الاستبداد فظهرت الديمقراطية كنافذة للخلاص ثمضغطت الرأسمالية بشدّة علي الضمير الانساني فتألقت الاشتراكية كطريق مضـيء،وتعذبت بسـبب الحروب والصراع فأشرقت فكرة السلام في ضميرها ووعيها..وها هي الانسانية تعيش الظلم بكل مستوياته وأصعدته وأصبحت العدالةهاجساً يراود أحلام المظلومين في كل مكان.

وهناك نقطـة ينبغي اثارتها في الـدراسات المسـتقبلية وهي تجاوزها حالةالاستشـراف الذي ينجم عادة عن الاعتراف بالواقع، فيما المطلوب التخطيط لصياغةمسـتقبل أفضل فال–«سوبرمان» الذي أفرزته الحضارة الغربية فلسـفياً هو انسانخارق يقوم بدور انقاذي محدود جداً لانه لا يستطيع التدخل في مسار التاريخ.

1– ال عمران : الاية 159.

2– فصلت : الاية 34.

3– مالک بن نبی تاملات / 216 – 217.

ولـذا نجد الدراسات المسـتقبلية في الغرب تتضـمن الاعتراف بالواقع الحضاري الغربي ومحاولة صـياغة عالم ينسـجم ويسـتجيب للنمط الغربي وسلطته.

وقـد اخترنا دراسة الاسـتاذ نادر فرجاني (1) القيمة مصدراً فيما سـنورده في هذه السـطور حول الدراسات المسـتقبلية وقد اسـتهل دراسته بالاشارة الي خطوة لهامغزاها وهي اجتماع ثلاثين شخصية علمية في «روما» لمناقشة المعضلات الحاليةوالمستقبلية التي تواجه البشرية.

واسـتهدفت هـذه الخطوة العلميـة الهامـة دراسـة المشاكـل المعقـدة التي تواجه البشـرفي العالم وهي: الفاقـة، تـدمير البيئـة، فقـدان الثقة بالمؤسـسات، الانتشـار الحضـريالمنفلت، اغتراب الشـباب، رفض القيم التقليديـة، التضـخم والاضـطرابات النقديةوالاقتصاديـة الاخري، واصـطلح علي تسميتها مجموعةً «مشكلة العالم» ومن المهم كمايقول الاستاذ الاشارة الي ان التوصيف المقدم أعلاه لمشاكل العالم يأتي من منظورالغرب المصـنِّع وهو بالتأكيد لا ينطلق من الهموم الجوهرية لغالبية البشرية.وتنتقل الدراسة الي «نموذج باريلوتشي» للعالم ومن الضـرورة الاشـارة اليموطنهـا في العـالم الثـالث وهو مشـروع تخطيطي اكثر من استشـرافي معياري أي «يحاولرسم طريق يوصل الي غاية محددة سلفاً. وهذه الغاية هي عالم متحرر من التخلف والبؤس».

وكلمة «نموذج» التي استعملت في المشروع تتضمن اشارة الي مفهوم «المجتمع المثالي».

كما ان الدراسـة التي انجزها العلماء جاءت ردّاً علي المدرسـة الفكريـة للغرب والتيترجع مشـكلة العالم الي النمو السـكاني، لكن نموذج باريلوتشي يختلف جذرياً وهي

1- عالم الفكر 1988 المجلد 18 مستقبل البشرية بين روى العالم الثالث وفظاظة العالم نموذج باريلوتشى.

لديه «ليست حدوداً طبيعية تتعارض مع النمو السـريع للسكان، ولكنها اجتماعية –سياسية تنجم عن التوزيع غير المتكافي للقوة بين خارج البلاد وداخلها. ومن ثم فاءنالمجتمع المثالي الموصوف يقوم علي أن الانسان لن يتحرر من القهر والتخلف في نهايـةالمطاف الاّ عن طريق تغييرات جذرية في التنظيم الاجتماعي السياسي للعالم» (1).

وينتقد النموذج بداية نموذجي التنظيم الاجتماعي السياسي السائدين في العالمالمعاصر الرأسمالي والاشتراكي بتنويعاتهما القائمة حالياً.

فالنموذج الرأسـمالي يقوم علي الملكية الخاصة والربح ويؤدي الي طبقية تدمّرأسس المساواة وتنمّي نوازع السيطرة والاستغلال والمزيد من اغتراب الانسان.

كمـا ان النموذج الاشتراكي قـد عرّته التجربـة التاريخيـة وكشـفت عن ظهوربيروقراطيات الحزب والدولـة التي تحولت الي مراكز سـلطوية أفضت الي فروقاجتماعية تنهض علي مدي الانتماء الي الاقلية الحزبية التي تمسك بأزمّة السـلطةوالحكم.ونموذج باريلوتشي يتبني قيمتين اساسـيتين في رؤيته للمجتمع المنشود هيالمساواة الاساسية بين البشر، ومفهوم التاريخ كعملية لا حدّ لها يتوقف اتجاهها فيالتحليل الاخير علي رغبات وأفعال البشر. الاولي تشكل الاساس الصالح الوحيدلبناء عالم يسوده الوفاق والثانية شرط أساسي لتحقيق هذا العالم (2).

ومن المهم هنا أن نثبت ما ورد في النقطة الرابعة والاخيرة من الوصف الاجماليللمجتمع الجديد:

«يوفر تطبيق هـذا النموذج في عـدد متزايـد من بلاـد العـالم الظروف الاساسـية لخلقنظـام عالمي متوافق قادر علي نشـر العدالـة، الرفاهية والديمقراطية وعلي اقتلاع جذور

1- المصدر السابق / 42.

2- المصدر نفسه / 43.

الحرب ويمكن أن يؤدي الي نشوء شكل من التنظيم الدولي يحترم حرّية وذاتية كلالدول، ويروج للاندماج التدريجي في جماعة دولية متحررة من النزعات الاقليمية (1).

ويؤكد النموذج علي ضرورة مراجعة المفهوم الشائع الذي يفترض انه ما دامتالارض محدودة، فلا بد أن تكون مواردها محدودة كذلك. وهذا بالقطع صحيح.ولكن المغالطة التي تقدم كبرهان دامغ علي الكارثة القادمة التي ستحل بالعالم نتيجةلاستمرار تزايد السكان، تخلط بين المحدودية والنفاد.

بخلاف استثناءات قليلة، لا تفقد الكميات الهائلة من المعادن في قشرة الارضبمجرد تعدينها واستعمالها، ولكنها تستمر لتكون جزءً لا يتجزأ من الموارد المعدنيةللكوكب. فقد تدخل مؤقتا في سلع رأسمالية أو استهلاكية، وقد تدمج كيميائيا مععناصر أخري. ولكن، علي الرغم من هذا، تبقي ولا تفني. وقد أثبت الفنالانتاجي الحديث قدرته علي اءيجاد طرق لاستخلاص الموارد من أكثر التركيباتالجيولوجية تنوعا، وعلي تدوير المواد التي استخدمت قبلا، مرة أو أكثر فياستخدامات جديدة.

أما بالنسبة لموارد الطاقة، فقد أظهرت دراسات باريلوتشي أنالهيدروكاربونات، في صورة سوائل وغازات، يحتمل أن تبقي لمدة مائة عام تقريبا،بينما قدر أن هناك ما يكفي من الفحم، علي معدلات الاستهلاك الحالية لمدة حواليأربعة قرون. ولكن مصدر الطاقة المستقبلي الاهم هو الوقود النووي. وكان التقديرأن الاحتياطيات المحتملة من اليورانيوم والثوريوم تكفي لسد الاحتياجات من الطاقةاءلي الابد تقريباً. وعليه، فاءنه لا يوجد داع، من منظور التوافر المادي، لتوقعمشاكل في مصادر الطاقة في المستقبل المنظور. وتؤكد الدراسة أن أزمة الطاقة التيركز عليها الغرب المصنِّع هي، في المنظور التاريخي، ذات طابع عرضي.

1- المصدر نفسه / 44.

وتفرق دراسات باريلوتشي بين التلوث في البلدان الغنية والفقيرة. في الاوليقترن التلوث بتوسع النشاط الصناعي، والاعداد المتزايدة من السيارات وغيرها منمعالم معدلات الاستهلاك المرتفعة. وضبط هذا النوع من التلوث ممكن شرط وجودسياسات مكافحة مناسبة. أما في البلاد المتخلفة، فينتج التلوث من الفاقة: تلوثالماء، أوضاع سكن سيئة، غياب الصرف الصحي، الخ... والحد من هذا النوع منالتلوث رهن باءشباع الحاجات الاساسية. وختاما، فاءن النمو الاقتصادي لا يرتبطبالضرورة بزيادة التلوث. وعليه فاءنه يمكن ضبط كل أنواع التلوث تقريباً اءذا تم اتخاذالقرارات المطلوبة، وتنفيذ الاءجراءات الاجتماعية والاقتصادية اللازمة.

واءحدي السمات الرئيسية للنموذج التي تميزه عن أغلب النماذج التي بنيت حتيوقت اءعداده، وخاصة تلك التي تمت في اءطار نادي روما، هي أن حجم السكان يولددداخليا بواسطة نموذج فرعي يربط المتغيرات السكانية بالمتغيرات الاجتماعية –الاقتصادية. ويعكس هذا النموذج الفرعي أحدي المقومات الاساسية لمشروعباريلوتشي، وهو أن الطريقة الوحيدة الكافية لضبط نمو السكان هي تحسينمستويات المعيشة.

لا ريب أن مشروع باريلوتشي هو من أهم الاعمال في مجال الدراساتالمستقبلية التيتناقش مصير البشرية. وتعود أهمية هذا العمل اءلي تبنيه، صراحة،لوجهة نظر اجتماعية – سياسية محددة، والي بعض النواحي الفنية، التي ألمحنا لبعضهافيما سبق.

ولكن مشروع باريلوتشي يكتسب قيمة كبيرة من حيث كونه العمل الكبيرالوحيد في ميدان الدراسات المستقبلية الذي نبع من العالم الثالث تعبيراً عن رفضكثير من الاوضاع السائدة في العالم وقت اءعداده، بما في ذلك الدراسات المستقبلية،وكشفا لخلفيات هذه الاوضاع، واستشرافا لمستقبل أفضل واكرم لكل البشر.

لقد بين النموذج الرياضي اءمكانية اءشباع الحاجات الاساسية لاغلب سكان العالم

حول مطلع القرن القادم، اءذ ما طبقت السياسات المقترحة للوصول اءلي المجتمع المثاليفي رؤي باريلوتشي. وأظهر مشروع باريلوتشي برمته أن العقبات التي تقف حاليا فيسبيل تحرر البشرية من الفاقة والبؤس ليست طبيعية أو اقتصادية بالمعني الضيق،وليست النمو السريع في حجم السكان. ولكنها في الاساس، اجتماعية – سياسية.

وعليه فاءن مشروع باريلوتشي قد أكد لنا أن مستقبل البشرية لا يتوقف، فيالنهاية، علي عقبات طبيعية لا تذلل، واءنما علي عوامل اجتماعية وسياسية هي منصنع البشر، وبالتالي فاءن في مقدورهم تعديلها وصولا لوجود اءنسان أغني، ولكنأين العالم من هذا المسعي، بعد أكثر من سنوات عشر علي نشر نتائج المشروع؟ هلاقترب العالم من مجتمع باريلوتشي الجديد؟ أم زاد احتمال الكارثة؟

وليس مشروع باريلوتشي، للاسف، الاكثر انتشارا في مجال الدراساتالمستقبلية لمصير البشرية، حتي في العالم الثالث. واءن كان في هذا الامر مدعاةللاسف، اءلاّ أنه ليس بمستغرب. فمشروع باريلوتشي قام ضد كل العناصر المهيمنة فيبني القوة الحالية في العالم. ومن الطبيعي أن تحارب هذه العناصر انتشار مثل هذهالرؤي التي تنتصر للفقراء وتدعو لتقويض أركان الهيمنة والاستغلال في العالم.

فمازلنا نعيش في عالم يعاني فيه الكثير من سكان الجنوب من نقص وسوءالتغذية، بينما يشكو الغرب المصنع من عبء بحيرات الحليب وجبال الزبد، أما عنتردي أوضاع التعليم والسكن في البلدان الناميـة فحدث ولا حرج، وعوضا عنتكريس المشاركة والمساواة نجد اتجاها متعاظما لتكريس القهر وتهميش الناسخاصة في بلدان العالم الثالث. وبدلا من تعميق قيم المساواة، نواجه استقطابا متزايداًداخل مجتمعات العالم الثالث، وعلي صعيد النظام الدولي.

ويرتبط ذلك كله بموجة قوية من زيادة الاندماج في النظام الرأسمالي العالميعمت العالم منذ منتصف السبعينات تحت شعار «الانفتاح الاقتصادي»، حتي قاربتالاشتراكية أن تكون كلمة قذرة، وفي النهاية، فاءن محصلة هذا كله هي مزيد من تبني

مُثّل المجتمع الرأسمالي الغربي، ونمطه الاستهلاكي المدمر، وخاصة بعد أن اهتزت أهمالمحاولات المعاصرة لبناء «الاءنسان الاشتراكي» في الصين الشعبية.

والخلاصة، أننا نقدر أن العالم يقترب من الكارثة التي تنبأت بها دراسات ناديروما، ولكن لاسباب غير تلك التي زعمتها هذه الدراسات. اءن الاقتراب منالكارثة يعود كما بينت دراسة باريلوتشي، اءلي أسباب كامنة في أشكال التنظيمالاجتماعي – السياسي في العالم المعاصر.

ولا يمكن الاجتماع بواقع الحال في العالم علي مشروع باريلوتشي. فالمشروع لميحاول التنبوء بمستقبل البشرية، وانما قدم توقعات بما يمكن أن يكون عليه الامر اذاتحققت افتراضات معينة حول السياسات الكفيلة بالتحرك صوب المجتمع المنشود.وحيث اءن الافتراضات لم تحقق، فلا يتصور عاقل أن تحقق النتائج المترتبة عليها.اءن رؤي باريلوتشي تبدو لنا كمولود بهي الطلعة، مبشر بالخبر، ما لبث أنعصفت به تصاريف واقع غاشم لكن يبقي الامل ما بقيت الذكري، والمذكرون (1).

ان هذه الدراسة التي انجزها فريق باريلوتشي تنطوي علي قيمة بالغة الاهميةذلك أنها لاتستشرف المستقبل علي أساس مجريات الواقع ومعطيات الظروف وانماهي محاولة رسم مستقبل جديد.. مستقبل يتوقف علي اجراء تغييرات جوهريةاجتماعية وسياسية وهي مهمة اصلاحية كبري تستلزم توفر شروط روحية وشعورعميق بالمسؤولية الاخلاقية ازاء المصير الانساني.

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر:

ان اقامة الحق والعدل وتحمل مشاق البناء الصالح بحاجة الي دوافع تنبع منالشعور بالمسؤولية والاحساس بالواجب. وهذه الدوافع تواجه دائما عقبة تحول دونتكونها أو نموها.

1- مجلة عالم الفكر م 18 ع 4 مستقبل البشرية 997 – 1004.

وهذه العقبة هي الانشداد الي الدنيا وزينتها والتعلق بالحياة علي هذه الارضـمهما كان شكلها، فان هذا الانشداد والتعلق يجمد الانسان في كثير من الاحيانويوقف مساهمته في عمليـة البناء الصالح، لان المساهمة في كل بناء كبير تعني، كثيراًمن ألوان الجهد والعطاء وأشـكالا من التضحية والاذي في سبيل الواجب وتحملاًشجاعاً للحرمان من أجل سعادة الجماعة البشرية ورخائها.

وليس بامكان الانسان المشـدود الي زخارف الدنيا والمتعلق بأهداف الحياةالارضـية أن يتنازل عن هذه الطيبات الرخيصة ويخرج عن نطاق همومه اليوميةالصـغيرة الي هموم البناء الكبيرة، فلابـد لكي تجند طاقات كل فرد للبناء الكبير منتركيب عقائدي له أخلاقية خاصة تربي الفرد علي أن يكون سيدا للدنيا لا عبدا لها،ومالكا للطيبات لا مملوكاً لها، ومتطلعاً الي حياة أوسع وأغني علي الارض هيتحضير بالنسبة الي تلك الحياة التي أعدها الله للمتقين من عباده».

وتبقي الاشارة الي سـبب اختيار هـذه الدراسـة ونجمله في نقاط منها انها دراسةاكاديميـة علميـة كما أن ظهورها خارج العالم الاسـلامي يشكل بعداً آخر في اهميتها عليأساس تحررها الكامل من أية تأثيرات مسبقة من قبيل النبوءات الدينية والمؤثراتالفكرية والاسطورية.

المستقبل.. تأملات في حشد من المؤشرات

نحاول أن نلج هذا الفصل من خلال النبوءة القرآنية في قوله تعالي: (وَلَقَدْ كَتَبْنَافِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ).

ومن خلال هذه النبوءة نتصور اتجاه البشـرية الي يوم موعود ووراثة الانسانالصالح الارض وفاعلية القانون الاجتماعي الذي حدّدته آية قرآنية أخري وهي قولهتعالي: (اِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّي يُغَيِّرُوا مَا بِاَنفُسِهِمْ).

ونحن نعرف جميعاً أن البشارة والنبوءة تتمحور حول ظهور الانسان المنقذ في

فصل تاريخي تئن فيه الارض من ويلات الظلم والعذاب، فيرفع راية العدالة ويملاالارض خيراً بعد أن يطهرها من الشرور.

كما نعرف أيضاً أن هناك دائرتين واسعتين تكادان تتقاسمان العالم هما الدائرةالغربية بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية والكيان اليهودي السياسي الغاصب فيفلسطين ودائرة العالم الاسلامي والتي ينتمي اليها المستضعفون في الارض علي أساسالمساحة الانسانية المشتركة وهموم المصير.

ولان اميركا في الوقت الحاضر تمثل أو تحاول الظهور بمظهر القطب الاكبر فيالعالم بعد انهيار منافسها التقليدي فستكون نموذجاً عند الحديث عن الغرب اضافةالي علاقتها الاستراتيجية مع اسرائيل هذه العلاقة التي تكتسب اهمية بالغة لارتباطهاالوثيق بمصير الامة الاسلامية واحتمالات نشوب صدام مصيري مع الكيانالاسرائيلي.

اميركا هي تطور سيء للحضارة الغربية، التي تعاني من تمزقات في نسيجهاالداخلي يهددها بالافول.

وبالرغم من أن العلم الذي نهضت عليه الحضارة الغربية في انطلاقتها وتفوقهاالمادي فانه بالذات قد استحال غدّة سرطانية يهددها بالموت.

ذلك أن انفصالاً رهيباً قد وقع بين الضمير الانساني والعلم ولان الحضارةالغربية كانت مفتونة بالعلم الذي اضحي لديها كعجل السامري، فقد انتهي دورالضمير في بلورة قيم أخلاقية يمكنها أن ترشّد أو تحدّ من جموح حضارة مجنونةبكشوفها وآلاتها.

واصيبت الحضارة الغربية بتضخم الذات أو بنرجسية خطيرة.

«ولكن هذه «الذات» قد قامت في الواقع بدور «تلميذ الساحر»، فلقد أبدعتآلات لم تستطع السيطرة عليها، ثم استنامت لتلك الالات تقودها بعقل آلي،وتزدردها في أحشائها من جديد فصارت الحياة أرقاماً، واضحت السعادة مقيسة

بعدد ما لديها من وحدات حرارية وهرمونات، وصار العصر عصر (كم) يخضعالضمير فيه للنزعة الكمية، كما صار عصر النسبية الاخلاقية، حيث استهل قرنهبالمبدأ القائل: «كل شيء في الحياة نسبي»، فلم يعد أحد يدرك معني «الفضيلةالمطلقة»، بل اءن الكلمة نفسها قد أضحت من المعميات، أضحت كلمة ميتة لا معنيلها، لان القرن العشرين وهو قرن العقل الوضعي الذي يشبه عقل الالة، لم يعد يفهمشيئاً وراء التصورات النسبية للمادة.

لقد مات معني الفضيلة «المطلقة»، من الوجه الذي مات منه مفهوم «العدالة» فيقول أحد الاوربيين:

«اءن تسوية جائرة خير من قضية عادلة»، وصارت الحياة الاقتصادية نفسهااءلي مصيرها، يوم وجد بعض الناس في أنفسهم قحة وجرأة ليؤكدوا أن «التجارة هيالسرقة الحلال».

وهكذا نجد أن أوربا النازعة اءلي «الكم» واءلي «النسبية» قد قتلت عدداً كبيراً منالمفاهيم الاخلاقية، حين جردتها من أرديتها النبيلة، وأحالتها ضروباً منالصعلكة، وكلمات منبوذة في اللغة، طريدة من الاستعمال ومن الضمير، وكأنماصارت القواميس «أحياناً» مقابر لكلمات لا توحي بشيء، لان مفهومها لا ينبضبالحياة.

ولقد تعاظم خطر تلك النزعة الكمية في أوربا طبقاً «للعامل المضاعف» المتمثلفي القوة الفنية، والذي تملكه صناعة غزت العالم، كأنها أخطبوط يضاعف بصورةهائلة شهوة الاءنسان اءلي المادة، فهي تملي علي الطفل اتجاهه في الحياة، بحيث لا يختارطريقه فيها اءلاّ وقد وضع نصب عينيه ما يأخذ من المجتمع لا ما يعطي، اءنه يبحث عنحظه لا عن رسالته، وتلك طريقة جيدة لاءعداد مدير المستقبل في المستعمرات، لانذلك الموظف لم يعد لديه أدني قدر من التحفظ الذي يحول بينه وبين الاخذ بمبدأالنسبية الاخلاقية في بلاده، بل والمضي فيه اءلي أبعد مدي. فهناك في المستعمرات

تسلك الاخلاق النسبية في نفوس الناس باسم «السيادة القومية»، وبذلك يسقطقناع «التحفظ» كأنه مسحوق يذوب بحرارة الشمس، في جو حميت فيه الشهواتالمنطلقة، والغرائز المطلقة، فالناس ما بين راغب وآخذ.

والناس في أوربا ذاتها، قد لزمهم ما درجوا عليه في حياة المستعمرات منعادات وأذواق وأفكار، فلم تعد مطامحهم تسعي لاءدراك «علة» الشيء، ولا«كيفية» حدوثه، واءنما هي متعلقة بالبحث عن «الكم»، غير أنهم يحاولون نفاقاً أنيستروا هذه النزعة بما يتيسر لهم من البلاغة واللسن، لكن هذه البلاغة سرعان ماتختفي لتنكشف الامور علي حقيقتها، وتتسمي بأسمائها، فاءذا بالقط قط، وقد كانمنذ قليل نمرا، واءذا بالنزعة الكمية تشمل مرافق الحياة الاجتماعية جميعاً، في الاءنتاج،وفي عمليات الدفع والشراء، بل وفي عملية الاكل أيضاً، فالحياة تجري علي سنن«الكم» وحده.

لقد أصبح «الرقم» سلطاناً في المجتمع الفني الالي الذي قام بأوربا منذ عام1900، وصار الاءحصاء لا معقب لحكمه، فليس للفطرة الاءنسانية، أعني الضميرالاءنساني ذاته، دخل في الحياة الجديدة، شأنه في ذلك شأن ما لا يدخل في عداداالارقام، ولا يقاس بالكميات. وبذلك أصبحت حياة الانسان وظيفة تكمل الارقامفالماكينات هي التي تحرر وتحسب بل وتسخر الانسان في حركة اجهزتها» (1).

وهذا ما جعل مبدع «الساعة الخامسة والعشرون» (2) يسجل هذه النبوءة: «انانهيار المجتمع التكني هذا، سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية والعقلية، وسيشرقهذا النور العظيم من الشرق ولاشك.. من آسيا..

ولكن ليس من روسيا.. ان الروس قد انحنوا خاضعين أمام نور الغربالكهربائي..

1- مالک بن نبی - وجهة العالم الاسلامی : 117 - 118.

2- الروائی الرومانی کونستاتین جوریجو.

لذلك لن يعيشوا ليروا الاشـراق.. سـيكتسح الانسان الشـرقي المجتمع التكني، وسيستعمل النور الكهربائي لاءنارة الشوارع والبيوت.. لكنه لن يصير له عبداًأبداً... ولن يقيم الهياكل كما هو الحال اليوم في بربرية المجتمع التكني الغربي..

انه لن يضـيء بنور «النيون» خطوط الفكر والقلب.. ان انسان الشـرق سـيجعلمن نفسه سيّداً للالات وللمجتمع التكني، مستعيناً بعقله كما يستعين رئيس الفرقةالموسيقية بعبقريته المستمدّة من الجرس الموسيقي..».

ومالك بن نبي يشـير الي نقطة هامة هي: «أن العالم الاسلامي لا يستطيع فيغمرة هذه الفوضي أن يجد هداه خارج حدوده، بل لا يمكنه في كل حال أن يلتمسهفي العالم الغربي الذي اقتربت قيامته، ولكن عليه أن يبحث عن طريق جديد ليكشفعن ينابيع اءلهامه الخاصّة» (1).

ومن خلال رمزيـة بعض الاخبار الواردة عن النبي صـلي الله عليه و آله و سـلم يمكننا أن نتصورالـدجال الاعور هو هـذه الحضارة الغربية المادّيـة والـتي نهضت بعين مفتوحـة هي العلموعين أخري مفقودة هي الضـمير فهي «تنظر الكون بعين واحـدة تنظر الي مـادته دونـالروح والخلق الرفيع والمثل العليا» (2).

ويسـجل المفكر مالك بن نبي ملاحظة اثبتها نموذج باريلوتشـي عندما يقول:ولكن سـخرية مؤسـية خيمت علي هذا البؤس، فلاول مرة في التاريـخ الانسـاني تصـبحعلة البؤس وفرة الانتاج، لا قلـة الثروات، وتلك أمارة عبقرة القرن العشـرين، فلقداسـتطاعت بعلمها أن تجعل من أسـباب الرفاهية عوامل فاقة وشقاء. فأين اءذاً مكانالداء..؟ هل هو في تفوق المنحني البياني للاءنتاج علي منحني الاستهلاك..؟ هذهمسألة صبيانية!! فالفنيون الذين يلمون بمعرفة الحساب يعرفون كيف يصححون

1- وجهة العالم الاسلامى : 127 - 128.

2- محمد الصدر موسوعة الامام المهدى - الغيبة الكبرى 536.

المسائل، ويعيدون المنحنيات اءلي مستوي معين، وبذلك يكون الحل رياضياً يتلخصفي اءعدام الفائض، فهذا أبسط شيء، وبهذه الصورة تم اءحراق القطن والقمح والبن،علي الرغم من أن شعوباً كثيرة لا تجد أثراً منها في بلادها. وهكذا وجدنا أنالحضارة التي أبدعت نظرية «مالتوس» القائلة بتحديد النسل للموازنة بين الثروةوبين مستهلكيها، تشرع في تطبيق هذا التحديد علي الاشياء المستهلكة لا علي المستهلكين.

لم تنهض أية سلطة روحية للتنديد بتلك الفضيحة، فأولئك الذين كانوايستطيعون اءنقاذ أوربا من فوضاها الاقتصادية لم تكن حاجات الشعوب لديهممربحة، فاءن الشعوب المستعمرة العارية الجائعة لم تكن تستطيع أن تشتري شيئاً،فلقد اعتبرها المستعمرون مجرد أدوات للعمل، فخرجت بذلك من عداد المستهلكين.اءن النظام الذي خلق الفوضي في أوربا ذو صبغتين، فهو علمي واستعماري فيآن، فاءذا ما كان في أوربا فكّر بمنطق العالِم، أما اءذا انساح في العالم فاءنه يفكر بعقليةالاستعمار، حتي اءذا وافي اءبّان الازمة عام 1930 كان المنطقان قد امتزجا، وبلغالوحش بهذا الامتزاج أبلغ أحوال الضراوة.

وبتأملنا للظواهر في تخلقها، نجد أن حريق عام 1939، لم يكن سوي عودةللضرام، في لحظة نقم فيها ميكيافيلي علي نفسه، وسخط الشيطان علي عمله، فهدمما كان قد بناه، وتلك لحظة تهب فيها ريح القضاء المبرم علي شراع الاءنسانيةالمشرع، حتي يبلغ القدر مداه، لقد علمنا رسول الله (محمد) صلي الله عليه و آله و سلم وهو النبيالاجتماعي درساً قال فيه «من حفر مغواة لاخيه أوشك أن يقع فيها»، وكان أخوفما يخاف علي أمته ما ترتكب من مظالم لا ما تتعرض له منها.

ولقد صدق تاريخ عصرنا لسوء الحظ هذا الحكم، فأوربا التي كان عليها أنتهدي سعي الاءنسانية، قد اتخذت من مشاعل الحضارة «فتيلاً» يحرق بدل أنيضيء، وفي ضوء ما أشعلت من نار أشاعت وهجها في المستعمرات حتي جارت

علي أرضـها هي؛ أوربا هذه رأينا الفوضي تنتشر فيها؛ نفس الفوضي التي أشاعتهافي بقية أجزاء الارض، ونفس الضلال. بل اءنها قد تجرعت نفس الكأس المحتوم؛كأس الاستسلام لقوي الشر الاسطورية، نعم.. الاسطورية» (1).

الدائرة الاسلامية

ان وجود اسـرائيل في قلب العالم الاسـلامي يؤكد الحالة المرضـية التي تعيشـهاامتنا، كما أن غطرستها ومحاولاتها في فرض هيمنتها علي الصعيدين السياسيوالاقتصادي يكشف عن ضعف شديد في البنية الاجتماعية لدي المسلمين والعربخصوصاً.

هـذا الوجود الـذي يجعـل من الجمـل العربي لعبـة بيـد صبي يهودي معتوهاومن المفيـد أن نعرف أن مجموع الاخبـار الواردة حول خطوة المهدي الاصلاحيةتشـير اءلي أن جهوده «في أول ظهوره تكون مبذولة علي الامة الاسلامية أكثر من أيأمة أخري يصنع منها في فترة قصيرة أمة قائدة للعالـم ورائدة للحق» (2).

وهناك ما ينبغي قوله في سطور هذا الفصل وهي أن الوعي الامامي ونعني وعياتباع هذا المذهب هو كأي وعي بشري ينمو ويتبلور ويتكامل ويتأثر بحركـة التاريخوالزمن، ويكون للتجارب دورها في مساره، وهو يمتاز عن غيره بما أفرده من منزلـةكبري للعقل، فالفكر الامامي يمجد العقل الانساني ويرفعه الي أعلي ذروة يمكن أنيبلغها ومن غير المنطقي أن يركن الي اساطير يخلقها وينحتها ويجمد عليها.

ومن اللافت للنظر في أدبيات مسألة المهدي وجود روايات تذكر صراحة اندولة المهدي هي آخر الدول:

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «ما يكون هذا الامر حتي لا يبقي صنف

1- وجهة العالم الاسلامى / 120 - 121.

2- محمد الصدر - تاريخ ما بعد الظهور 30.

من الناس اءلاّ وقد ولّوا علي الناس حتي لا يقول قائل: اءن ولّينا لعدلنا، ثم يقومالقائم بالحق والعدل» (1).

وعن الامـام الباقر عليه السـلام قال: «دولتنا آخر الـدول، ولا يبقي أهل بيت لهـم دولـةاءلاّ ملكوا قبلنا، حتي لا يقولوا اذا رأوا سـيرتنا: اذا ما ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء،وهو قول الله عز وجل: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)» (2).

فليس هناك اسـتثناء لاي من نظريات الحكم مهما بلغت من نقائها وقوّتها،ومسألـة تشـكيل الحكومة الاسـلامية في عصـر الغيبة يجب اءلاّ تنطلق في مشـروعيتهاعلي أسـاس نيابـة المعصوم في غيـابه فقط بل علي وجوب تطبيق شـريعة الله وعليضـرورة الحكومـة في ادارة الحياة الاجتماعية.

وأدبيات المسألة تتضـمن تأكيداً علي فشل واخفاق وبمسـتويات مختلفة نظرياتالحكم التي تعد ارهاصات سابقة تهييء الارضـية المناسـبة للنجاح النهائي.

فالنضـج الفكري في التنظير والتطبيق لا يحدث فجأة، بل أنه عملية تبلور تتمببطء وهدوء، والانسانية تتعلم من تجاربها الطويلة وترقي شـيئاً فشيئاً سلم الرشدوالكمال، فالربط بين مسألة المهدي وأي من نظريات الحكم في حقانيتهاومشروعيتها هو ربط فيه تعسّف لامبرر له.

اءنّ أيـة دراسـة للحركـات الاسـلامية في البحث عن جـذور نشوئها ومبرراتاسـتمرارها لابـد وأن تخلص في التحليل الي عنصـرين: الاول الخطاب القرآني الصـريحفي وجوب اقامة الصـلاة، وجوب الجهاد، وسائر الواجبات الفردية والاجتماعية التيلا يمكن أداءها اءلاّ من خلال نظام سياسي واجتماعي واءداري.

والعنصر الثاني: هو بداهة وضرورة وجود نظام الحكم لادارة دفة الحياة

1- بحار الانوار : 244/52.

2- المصدر السابق : 332.

الاجتماعية وأي محاولة لاقامة نظام اسـلامي انما تكتسب مشـروعيتها القانونية في هذاالاطار بغض النظر عن الفاصـلة التي تبعدها وتقربها من الصوابية.

ولذا سـيكون من العدوان والظلم الهجوم علي مشروعية نظرية للحكم الاسلامي انطلاقاً من التشكيك في ولادة الامام المهدي وغيبته، لان مسألة ميلاد الامام وغيابهمسألة مسـتقلّة تماماً عن أي من نظريات الحكم مهما بلغت الذروة في النقاء النظري،ذلك أن اسـباب الاخفاق لا تنحصـر في الخطأ النظري وانما تتعداه الي الخطأ والخلل فيالتطبيق، والامام الشـهيد محمد باقر الصدر الذي نهض بمسؤوليته كثائر يهدف اليتطبيق واقامة حكم اسـلامي فذ وشريف (1) يعلن صـراحة: ان العلم لا يصـنع حقيقةانما يكشف عنها، وأنه لا يحل مشـكلة انما ينبه لها فقط.

بـل اننـا نجـد عاملاً ثالثاً في الاخفاق لا يعود الي خلل في النظريـة أو تعثر في التطبيق وانما الي غياب الظروف المواتيـة التي تساعـد علي النجاح.

فالخطة الاقتصادية التي نهضت بالاقتصاد الالماني من تحت أنقاض حرب مدمّرة فشـلت فشلاً ذريعاً في أول محاولة لتطبيقها خارج بيئتها الاصلية (2) لان ظروف المانيا العامّة تختلف جوهرياً عن ظروف البلدان الاخري.

وفي عالم الطبيعة كم هي البذور الكامنة في الارض غافية تترقب المناخ الملائمللانبات حتي اءذا توفرت الظروف المواتية اهتزت وتحركت جذورها، ثم ظهرتأوراقها لتنمو وتنشر ظلالها الوارفة وتؤتي أكلها ولو بعد حين.

العصر الجديد

حشد من الروايات والاخبار يؤكد خطوة التجديد الكبري التي تتم علي يدي

1- كما ورد فى نداءاته الاخيرة قبيل استشهاده.

2- مشكلة الافكار فى العالم الاسلامى مالک بن نبى ص 114 - 115 ط دار الفكر.

الامام المهدي هذه الخطوة التي ستأتي في اعقاب فراغ حضاري هائل وازمة أخلاقيةتعصف بالعالم.

يقول الامام محمـد باقر الصدر في ختام بحثه حول المهدي: «هناك افتراضأساسـي واحد بالامكان قبوله علي ضوء الاحاديث التي تحدثت عنه والتجارب التيلوحظت لعمليات التغيير الكبري في التاريـخ وهو ظهور المهـدي عليه السـلام في أعقاب فراغكبير يحـدث نتيجة نكسـة وأزمـة حضاريـة خانقة. وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالةالجديدة أن تمتدّ، وهذه النكسة تهيّء الجو النفسـي لقبولها، وليست هذه النكسـة مجردحادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الاءنسانية، واءنما هي نتيجة طبيعية لتناقضاتالتاريخ المنقطع عن الله – سـبحانه وتعالي – التي لا تجدُ لها في نهاية المطاف حلاً حاسماًفتشتعل النار التي لا تُبقي ولا تذر، ويبرز النور في تلك اللحظة؛ ليطفيء النار ويقيمعلي الارض عدل السماء».

وعن الامام الصادق عليه السلام: «كأني أنظر اليه بين الركن والمقام يبايع الناس علي كتاب جديد» (1).

الامام الباقر عليه السلام: «يقوم بأمر جديد» (2).

الامام الصادق: «يبايع الناس بأمر جديد» (3).

وهناك أخبار أخري تؤكـد الظاهرة الجديـدة التي قد تصل الي حدّ المفاجأة كماهو الحال في ظهور الدعوة الاسـلامية في العصـر الجاهلي وحـدوث التغيرات الكبريوهـذا ما يكشف عنه حديث الامام الباقر في قوله عليه السـلام: «ان قائمنا اءذا قام دعا الناسالي أمر جديد كما دعا اليه رسول الله صلي الله عليه و آله و سلم وان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كمابدأ فطوبي للغرباء» (4).

1- النعمانى الغيبة : 194 باب 11 ح 1.
2- المصدر السابق : 53 باب 14 ح 13.
3- المصدر النفسه : 262 باب 14 ح 22.
4- المصدر النفسه : 320 باب 22 ح 1.

وهـذا التجديـد القادم سوف يطال كل شؤون الحياة الانسانيـة لخصـتها الاخباروعبرت عنها بالامر الجديـد بل أن الكتاب الجديد لا يعني ابتداع كتاب آخر غيرالقرآن لان هذا غير وارد بالمرّة؛ فحديث النبي صلي الله عليه و آله و سلم يؤكد مواكبة أهل البيت لحركةالقرآن الي يوم القيامة وحديث الثقلين صريح ومعبر: «اني تارك فيكم الثقلين كتابالله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتي يردا عليّ الحوض» (1).

واشتهر عن الامام علي عليه السلام في أزمة تدوين القرآن الكريم: «لا يهاج القرآن بعداليوم».

ونحن ندرك اليوم وأكثر من أي وقت آخر أن مشـكلة المسـلمين هي في تفسيرالقرآن أو ما يدعي اليوم بالقراءة الدينية، وأننا لنشهد في العصر الحاضر جدلاً حولقراءة الدين، وتعددية القراءة.. ولاشك أن الاختلاف في القراءات يعني وجودمسافات متباينة بين قراءة وأخري وأن نسبة ما من التعثر والخطأ في القراءة موجودويعود الي مستويات الادراك البشري.

من هنا نفهم وجود قراءة تمثل عين الحقيقة والصوابية وهذه متوفرة لدي الامامالمعصوم، وهذا ما تشـير اليه الاية القرآنية في قوله تعالي: (لاَ يَمَسُّهُ اِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ)وآية آخري تشهد لاهل البيت بالطهارة: (اِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَالْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

فالسـيرة الجديدة التي يظهر فيها الامام المهدي تمثل استئنافاً لسـيرة النبي صلي الله عليه و آله و سلم،يقول صلي الله عليه و آله و سلم عن الاءمام المهدي: «هو رجل من عترتي يقاتل علي سنتي كما قاتلت أناعلي الوحي» (2).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «يقفو أثري لا يخطيء» (3).

وهذا يشير الي أن سنة النبي صلي الله عليه و آله و سلم سيطالها التغييب والتعطيل والاقصاء، ولعل

1- امالى الطوسى ح 1168.
2- معجم احاديث المهدى : 224/1.
3- الفتوحات المكية 332/3.

هذا يحصل وربما من المؤكد علي أيدي الفقهاء «فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظلالسماء، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود» (1) كما روي عن رسول الله صلي الله عليه و آله و سلم: «سيجيءأقوامٌ فِي آخرِ الزَّمَن وجٌ وهُهُم وجوهُ الادميين وقلوبُهُم قلوبُ الشياطين... السُّنَّةفيهِم بِدْعَةٌ والبِدْعَةُ فِيهم سنَّةٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِم شِرَارَهُمْ، فَيَدْعُو خِيارُهُمْفَلايُستجَابُ لَهُم».

«وذم العلماء بلحاظ مالهم من قدرة علي التأثير في الناس من جهة ومن حيثقدرتهم علي التلاعب في التشريعات، كما حصل هذا الشيء في برهات عديدة منتاريخ الشريعة الاسلامية لقد دون التاريخ نماذج عديدة من علماء الدين الذين باعوادينهم بدنياهم وبرروا جرائم ومجازر الطغاة بتبريرات دينية واعتبروا مواقف هؤلاءالطغاة جزء من الدين وسلوكهم تطبيقا لما انزل الله.

اضافة الي هذا اننا لا نشك بوجود البدع والاضافات علي الشريعة الاسلاميةالاصلية؛ وان ظاهرة البدعة بدرجة من الرواج قلما يخلو منها مذهب وهي ظاهرةمارستها المذاهب عمداً للتمييز بينها وبين باقي المذاهب تارة وقصوراً وجهلاً تارةاخري.

ان الاختلاف بين المذاهب الاسلامية يصل تارة الي مستوي التناقض والتضادوهو امر يجعلنا نطمئن بسقم واحد من الرأيين المتناقضين ولا يمكن الحكم بصحة كلمن الرأيين المعتمدين في كلا المذهبين.

كما ان الروايات التي تحكي قتال المهدي عليه السلام علي سنة الرسول صلي الله عليه و آله و سلم مثل الروايةالتالية: «هو رجل من عترتي يقاتل علي سنتي كما قاتلت علي الوحي» كما تحتملقتاله ونضاله لاجل احياء السنة المندثرة تحتمل قتاله لاجل تصحيحهاوتقويمها» (2).

1- البحار 190/52 باب 25.

2- مجموعة مقالات 164 - 165 (بالفارسية).

وتطال خطوة التجديد دائرة القضاء والتي تأتي بعد فترة النضال وتثبيت دعائم الحكم العادل.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «يحكم بحكومة آل داود لا يسأل عن بينة يعطي كلنفس حكمها» (1).

«اذا قام قضي بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام لا يسأل البينة» (2).

ويحتمل «أن المعروف بقضاء داود قضاء يعتمد آلية علمية متقدمة لم يكتشفبعد، ويكتشف بعد الظهور من حيث تطور العلوم آنذاك علي يد الامام عليه السلام، وعلياساس هذا التطور يتمكن القضاة آنذاك - ولو كانوا غير معصومين - الكشف عنالحقائق مستغنين في ذلك عن الادلة الظنية مثل الشهود والبينات وغير ذلك.

ولا يبعد هذا، حيث ان الاليات والتقنيات المستعملة في الوقت الحاضر لكشفالجرائم ومعرفة الحقائق بدرجة كبيرة من الدقة بحيث قلما يصعب علي العاملين فيهذا المجال معرفة آثار المجرمين فكيف بها اذا تطورت بتطور العلوم اضعافا مضاعفة.ان الاعتماد علي بصمات الاصابع والكلاب البوليسية والميكرسكوب والمختبرات و الكامبيوتر و... هذه كلها تقنيات تمكن المحقق من الوصول الي الحقيقة في الوقتالحاضر رغم ان العلم لم يبلغ الكمال بعد، وهناك مشوار طويل لم يجتزه العلم لبلوغالكمال؛ فكيف اذا كمل وبلغ قمته؟! طبيعي أن يتطور كل شي ومنه ما يتعلق بالقضاءوالبحث الجنائي» (3).

وفي العصر الجديد تتجلي العدالة في ربوع العالم وينشر الامان اجنحته البيضاءوتشهد الانسانية ثورة علمية تؤتي ثمارها حلوة في خدمة البشر جميعاً وعندها«يرضي عنه ساكن السماء، وساكن الارض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً اءلاّ وهبته

1- الكافى : 397/1.

2- المصدر السابق 509.

3- تحسين بدرى / الجديد فى ثورة المهدى مجموعة مقالات : 167.

ولا الارض من نباتها اءلاّ أخرجته، حتي يتمني الاحياء الاموات» (1).

وتستحيل الارض التي أحرقتها الحروب علي مرّ الزمن الي أرض خضراء معطاء.

وتشهد الانسانية تكاملاً عقلياً وأخلاقياً علي درجة كبيرة من الرقي والحضارة والتقدم: «اذا قام قائمنا وضع الله يده علي رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملتبه أحلامهم» (2).

وتتحقق يومئذ كل الطموحات الانسانية والخيالات التي داعبت أحلامهموتطلعاتهم: «العلم سبعة وعشرون جزءً جميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلميعرف النـاس حتي اليوم غير الجزءين، فـاذا قام القائم أخرج الخمسـة والعشـرينجزءً، فبثها في الناس وضم اليها الجزءين، حتي يبعثها سبعة وعشرين جزءً» (3).

ولا شك أن هـذا النجاح الـذي يحرزه المهـدي في تنفيذ العدالة مردّه الي ان النظام الاداري الذي سـيعتمده سـيكون علي درجة عالية من الرقي والدقة والنزاهة، مايجعلنا نتصور نظاماً اخلاقياً يبلغ درجات غاية في السمو والنقاء.

ولنا أن نتصور عناء الانسانية من الويلات والحروب والدمار وتعسّف النظم الادارية وبطش الحكومات واسـتعباد الشـعوب، ثم اذا بالسـماء تنفتـح علي الارضـبأمطار الخير والبركات.. أمطار غزيرة تحيي الارض بعد موتها هذه الامطار التيتجعل الناس يتطلعون بأمل الي الخلاص في وجود من يفكر باستثمار هذا الفيضالسماوي بدلاً من العدوان وشن الحروب وتغذية الصراعات الدامية.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «اذا آن قيامه، مطر الناس في جمادي الاخرة وعشرةأيام من رجب مطراً لم ير مثله» (4).

1- معجم احاديث المهدى 229/1.

2- المصدر السابق 325/3.

3- البحار : 336/52.

4- الزام الناصب 159/2.

وقد أورد الشيخ المفيد مجموعة من العلامات الدالّة علي الظهور تُختتم بهطول:

«أربع وعشرين مطرة تتصل فتحيا بها الارض بعد موتها وتعرف بركاتها» (1).

وقـد اثبت «التلمود» ملامح مذهلة عن عالم المسـتقبل خاصّة في الميدان الزراعي حيث الاشـجار المثمرة تهب ثمارها كل شـهرين فيما تهب الحقول حبوبها كل اسبوعين مرّة (2) وتدفق الينابيع (3).

وستشرق شمس العدالة» (4).

علي أن السعادة التي يبشر بها التلمود ستعني فقط بني اسرائيل اتباع دينموسي، وعندما «يأتي الوثنيون لاعتناق دين يهود فأنهم سيطردونهم» (5).

وهـذه النظرة العنصـرية ينضـح بهـا الفكر اليهودي حيث الحقـد علي الاممو الشـعوب والتخطيط لـدمارها مبثوث في التلمود الـذي يتمتع بالقداسة لديهم أكثر منالتوراة.

1- القزوينى الامام المهدى من المهد الى الظهور 378- 379.

2- گنجينة تلمود بالفارسية 357 يروشلمى تغيث.

3- المصدر السابق 358 (حزقبال 12/47).

4- المصدر نفسه (ملاكى 2/7 - 19/3).

5- المصدر النفسه 360 (عو ودازارا 3 ب).

الحرب والسلام

الصراع الاسلامي الاسرائيلي، المسألة اليهودية

انه من السذاجة بمكان أن نتصور ولو علي مستوي الاحتمال الضعيف جداًامكانية حل المشكلة الفلسطينية سلمياً ذلك أن الكيان الصهيوني الذي نهض عليجماجم أطفال فلسطين لايعرف غير منطق القوة ولغة الرصاص وأن التناقض منالحدّة بحيث لا يمكن استبعاد انفجار الوضع بشكل حرب ضارية وأن المعركة الفاصلةقادمة لا محالة.

وهذا ما يجعلنا نعتقد أن المسألة الفلسطينية ليست محنة عربية ولا حتي اسلاميةفحسب بل انها قضية مصيرية تهدد سلام العالم واستقراره.

ان عالمنا اليوم يعيش هاجس العدالة والسلام، ومن المؤكد أيضاً وجود قويخيرة في كل العالم تطمح الي أرض يغمرها النور والدفء والسلام.

ومن المؤكد أيضاً وجود قوي شريرة تريد الاستيلاء علي العالم وتسخيره اذا لمنقل تدميره، وفي مقدمة قوي الشرّ الحركة الصهيونية التي تسيطر اليوم بقوة عليمقدرات دولة عظمي هي الولايات المتحدة الامريكية.

فالعلاقات الامريكية الاسرائيلة هي أوسع من تحالف سياسي وعسكري بل أنهناك من التوحد في النسيج الشيطاني ما يعزز القول ان امريكا مستعمرة ذليلة تابعةلاسرائيل والحركة الصهيونية.

فالفلسطينيون الذين اكتووا بنار الصهيونية هم أوعي شعوب الارض بحقيقةامريكا:

اءنها امبراطورية نمت فوق مزبلة ليس فيها ما يشرف البشرية وما زالت تتآمرحتي الان وتتفنن بتصدير العذابات اءلي شعوب العالم.

وليس بدعاً أن يري جيفارا ذلك الثائر الباسل ان رسالته الانسانية في الحياة

هي محاربة الولايات المتحدة الامريكية عدوة الجنس البشري.

وبلغ الامام الخميني الراحل الذروة في ايمانه العميق والراسخ حول طبيعة النسيج الامريكي الاسرائيلي يقول (رض):

«علي المسلمين أن يعلموا جيداً أن العدوّ للاسلام والقرآن والنبي الكريم هيالقوي الكبري لا سيما امريكا ووليدتها الفاسدة اسرائيل» (1).

«ليعلم اءخوتنا ان امريكا واسـرائيل تعاديان اساس الاسلام، لا نهما تريان انالاسلام والكتاب والسنة شوكة في طريقهما وعقبة دون نهبهما» (2)

ويقول رضـى الله: «ان اميركا دولة ارهابية بطبيعتها، وهي الدولة التي اشـعلت النيرانفي ارجاء العالم كلّه وحليفتها الصـهيونية العالمية هي التي ترتكب من أجل بلوغمطامعها جرائم تخجل حتي الاقلام عن تسـطيرها والالسن عن النطق بها، وانالاوهام التي يسعون لتحقيقها وهي «اسرائيل الكبري» تجرّهم الي ارتكاب كل جريمة» (3).

الشخصية الصهيونية

لعل أوضح وأعمق ما كتب عن الصهيونية قد جاء في المادة 22 من الميثاقالوطني الفلسطيني الذي يقول:

«ان الصـهيونيَّة حركـة سياسـية مرتبطة عضوياً بالامبريالية العالمية، ومعاديةلكلِّ الحركات التحررية والتقدمية في العالم، وهذه الحركة ذات تركيبة عنصريةمتعصبة وأهداف عدوانيّة وتوسعية واستعمارية وأساليب فاشية ونازية.

اءن اسرائيل يد الحركة الصهيونيّة وذراعها، وقاعدة بشرية وجغرافية

1- صحيفة النور 46/19 من ندائه (رض) فى 1914/829.

2- المصدر السابق.

3- المصدر نفسه 172/21 من وصيته (رض) التى قرئت فى مجلس الشورى 1989.

للامبرياليّة العالميَّة، ومحل تمركز وانطلاق لها في قلب الوطن العربي، يستهدف القضاءعلي تطلعات الامة العربية في الحرية والوحدة والتقدم.

ان اسرائيل مصدر دائم لتهديد السلام في الشرق الاوسط والعالم برمّته، ولماكان تحرير فلسطين ينهي الوجود الصهيونيَّ والامبرياليّ، ويساهم في اءحلال السلامفي الشرق الاوسط، لذا فان الشعب الفلسطيني يتوقَّع من كل قوي التقدم والسلامو يطلب اليها أن تقدّم – دون النظر الي القومية والمعتقدات – كلّ انواع العون والاسنادللكفاح العادل الذي يخوضه هذا الشعب من أجل تحرير وطنه).

يكفي أن نعرف أن اسرائيل بدأت نشاطها الذري بعيد الاعلان عن قيامهاوبدأت عزمها في انتاج القنبلة الذرية وها هي الان تمتلك أكثر من 300 رأس نوويموجهة الي نقاط محددة.

ان الوهم الصهيوني باقامة اسرائيل الكبري من «دلتا النيل الي نهر الفرات»يوجه الخطط الاسرائيلية كما ان انتخاب شارون لرئاسة الحكومة يكشف عن المخزونالدموي الفظيع لهذه الحركة الهدّامة.

واليهودي التلمودي يعيش عقدة التفوق ويري نفسه وحده الجدير بالحياة فيالارض، ويبرر التلمود هذه الافضلية بقوله ان الله تجول في كل القري وعرض عليالشعوب التوراة فرفضها الا قوم اسرائيل (1).

والتلمود يردد اكثر من مرّة هذه المقولة: «كما ان العالم لا يمكن أن يعيش بلاهواء، فانه لا يمكن أن يعيش بدون اسرائيل» (2).

وهذا يتضمن نزعة عنصرية موغلة وعقدة لا يمكن الخلاص منها.

فهم ابناء الله وهم شعب الله المختار فهم «عام عولام» أو الشعب الازلي و«عامنيصح» أو الشعب الابدي.

1- التلمود بميدبار رب 10/4 – 22 .

2- الشخصية الاسرائيلية / حسن ظاظا – عالم الفكر ص 13 عن التلمود البايلى عبود زاده 10.

وفي تعبيراتهم الشعرية يرون ان الرب قد اتخذ امتهم عشيقة له، بل انه تزوجهازواجا أبديا، حتي انها اذا خانته ودنست شرف العلاقة التي بينها وبينه لم يطلقها كمايفعل أحقر مخلوق من البشر، ولكنه يكتفي بأن يغضب ثم يرضي، وان يعاقب ثميصفح. فهي الامة الحبيبة المعشوقة المدللة، التي تعلم مقدما ان الرب لن يجرؤ يوماما علي قتلها مهما أجرمت.

ويصف نبي اليهود هوشع هذا الموقف بقوله علي لسان الرب: «سأكشف الانعورتها علي مرأي من عشاقها، ولن ينقذها أحد من يدي. فأبطل كل افراحهاوأعيادها وغرر شهورها وسبوتها وكل حفلاتها، وأدمر كرمها وتينها؛ اذ قالت هوأجري جعله لي عشاقي، فأصيّر ذلك أجمة يأكلها وحش الصحرا، وأحاسبها علىايام الاصنام التي بخرت لها، وتزينت بأقراطها وحليها وانطلقت وراء عشاقهاونسيتني، يقول الرب. ثم انني اتملقها وآتي بها الي البرية، وأخاطب قلبها، وأعطيهاكرومها من هناك، مع وادي عكور، بابا للامل. فتغني هناك كما في أيام صباها، وفييوم صعودها من أرض مصر». (هوشع 2: 10 – 15). وتكثر في مثل هذا المعنيأقوال الانبياء والكهنة والشعراء والحالمين والصوفية علي مدي أجيال اسرائيل. ومنهنا لا يتردد اليهود في تسمية أنفسهم «شعب الله المختار». ويفسرون هذا الاختيارالالهي بأنه تفضيل للاقوي والاصلح، ويردونه الي ليلة المصارعة العجيبة التي أديفيها جدهم يعقوب – اسرائيل – امتحان القوة والصبر علي المكاره بنجاح باهر،ويرون ان هذا الاختيار قد تختفي دلائله عندما يضعف اليهود ويذلون، ولكنهميعودون الي الجبروت والسطوة من جديد»، لان الرب سيرحم يعقوب، ويعودفيصطفي اسرائيل، ويريحهم في أرضهم، وينضم الغريب اليهم، ويتصل ببيتيعقوب. وتأخذهم الشعوب وتحضرهم الي مكانهم فيمتلكهم بيت اسرائيل في أرضالرب عبيدا وجواري، فيأسرون الذين أسروهم، ويستولون علي من سخروهم».

(اشعيا 14: 1، 2).

وواضح من مثل تلك النصوص ان اعتقاد اليهود في اختيار الرب لهم ليس مجردمفخرة يتشدقون بها، بل هو برنامج؛ فبهم يعاقب الله الامم الاخري، وهم الـذينيبقون وحدهم في آخر الزمان، متسـلطين علي رقاب العالم، وهم باختصار الذينيلعبون دور البطولة علي هذا المسـرح الهائل، مسـرح التاريخ، والامم الاخري ليسـتالا اشـخاصا ثانوية خلقها الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها، علينحو تظل فيه البطولة لاسـرائيل. ومن هنا تبرز خطورة النفسـية الاسرائيلية علي أممالعالم، ويتضح مدي احتياجها لعلاج ناجع – لا بد أن يكون مرا – حتي تصحو منغرورها لتندمج في امم العالم.

والداء الذي نشـير اليه مزمن عند القوم. ففي مصطلحاتهم نجدهم يسمونأنفسهم ايضا «الشعب الازلي – بالعبرية: عام عولام – كما يسمون أنفسـهم «الشـعبالابدي» بالعبرية: عام نيصح – وهكذا تطاولوا علي الرب – ولو مجازا – فتخيلوا انهميشاركونه في أزليته وأبديته، وانهم مثله لا ـ أول لهم ولا ـ آخر، ولا ـ بدايـة ولا نهايـة.وهو قول كبير، أحسّ بعض مفكريهم بفـداحته، ففسـروه علي أنهم من أقـدم شـعوبالعالم، وهو المقصود بالازليـة، ومن أدوم شـعوب العالم، وهو المقصود بالابديـة. وهيـدعوي خرافية حتي بعد هذا التخفيف الشديد، فاليهود كما يعلم الجميع ليسوا اقدممن الفراعنة، ولا من سومر وبابل وآشور، ولا من الهنود أو الصـينيين، ولا منالعرب. وهم أيضا ليسوا أطول دواما من كثير من تلك الامم. وهم وراء ذلك كله:أمة لا حضارة لها (1).

ويطول بناء الحـديث لو أننا اردنا تتبع كل آثار هذا الادب الفنائي عند اليهود.فأكثر سـفر النبي حزقيال من قبيل هذه الرؤي النهائية الحتمية، تشب فيها حروب، تبدأ بتطهير المجتمع اليهودي نفسه من الدنس الذي كان قد غرق فيه الي الاذقان.

1- مجلة عالم الفكر / م 10 ع 4 1980 الشخصية الاسرائيلية / 25 – 26.

وهو تطهير يتم بـالحرب والحصـار والموت. يسـلط فيه الله غضـبه علي اورشـليموساكنيها «ثلث يموت بالوباء وبالجوع يهلكون في وسـط المدينـة، وثلث يسقطبالسـيف من حولهم، وثلث يـذريه الرب في كل ريـح، ويرفع من ورائهم سـيفا مسـلولا»- (انظر حزقيال، الاصـحاح الخمس). وبعـد هـذا التطهير يكون الشـعب المختار - اومن بقي منه - قـد اصـبح جـديرا بخوض المعركـة النهائيـة التي ينتصـر فيها علي العالمو يخضعه لارادته (1).

ويكمن الخطر في تلك الاوهام التي تتخـذ شـكل النبوءات وقد عشـنا جميعاً دويالكتاب الذي ترجمه محمد خليفة التونسـي «برتوكولات حكماء صـهيون» والذيكشف عن وجود حكومة سرّية. هدفها السيطرة علي العالم وتسخيره للاطماعوالاوهام اليهودية المريضة وما تنطوي عليه من خطط تفوح برائحة الدم.«من ذا، وماذا يسـتطيع ان يخلع قوة خفية عن عرشـها؟ هذا هو بالضبط ماعليه حكومتنا الان. ان المحفل المـاسوني المنتشـر في كل انحاء العالم لا يعمل في غفلـةكقناع لاغراضـنا. ولكن الفائـدة التي نحن دائبون علي تحقيقها من هـذه القوة في خطةعملنا، وفي مركز قيادتنا، ما تزال علي الدوام غير معروفة للعالم كثيرا.

يمكن الاـ يكون للحريـة ضـرر، وان تقوم في الحكومـات والبلـدان من غير انتكون ضارة بسـعادة الناس، لو ان الحريـة كانت مؤسـسة علي العقيدة وخشـية الله،وعلي الاخوة والانسانية، نقية من افكار المساواة التي هي مناقضة مباشرة لقوانينالخلق، والتي فرضت التسليم. ان الناس - محكومين بمثل هـذا الايمان - سـيكونونموضوعين تحت حماية كنائسـهم (هيئاتهم الدينية)، وسـيعيشون في هدوء واطمئنانوثقة، تحت ارشـاد ائمتهم الروحيين، وسيخضـعون لمشـيئة الله علي الاـرض. وهـذا هوالسـبب الـذي يحتم علينـا أن ننتزع فكرة الله ذاتهـا من عقول المسيحيين، وأن نضع

1- المصدر السابق.

مكانها عمليات حسابية وضـرورية مادية. ثم، لكي نحول عقول المسـيحيين عنسياستنا، سيكون حتما علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة، وهكذاستنصـرف كل الامم الي مصالحها، ولن تفطن، في هـذا الصـراع العالمي، الي عـدوهاالمشترك. ولكن لكي تزلزل الحرية حياة «الجوييم» الاجتماعية زلزالا، وتدمرهاتدميرا، يجب علينا أن نضع التجارة علي أساس المضاربة. وستكون نتيجة هذا أنخيرات الارض المستخلصة الاستثمار، لن تستقر في أيدي الاممين (غير اليهود)، بلستعبر خلال المضاربات الي خزائننا.

ان الصـراع من أجل التفوق، والمضاربـة في عالم الاعمال، سـيخلقان مجتمعاأنانياً، غليظ القلب، منحل الاخلاق. هـذا المجتمع سيصـير منحلاً كل الانحلال،ومبغضا أيضاً للدين والسياسة، وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد، وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب، متخذاً اللذات المادية التي يسـتطيع أن يمده بها الذهب،مذهباً أصـيلاً. وحينئذ سـتنضم الينا الطبقات الوضيعة، ضد منافسينا الذين همالممتازون من الاممبين، دون احتجاج بدافع نبيل، ولا رغبة في الثورات أيضاً، بلتنفيسا عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا.

بهـذا ينتهي البروتوكول الرابع الـذي يصف فن اليهود في انتهاز كل الفرص:الحريـة والاسـتبداد، السـلم والحرب، المادية والروحية، التقوي والالحاد، الاغنياءوالفقراء. كل ذلك يسـتغلونه لمصـلحتهم هم بوصـفهم شـعب الله المختار، وبفضـلحكومة سرية في أيام الشتات، قد لا تكون دائما الماسونية، أو قد تكون بجانبهاقوي رهيبة ظاهرة أو باطنة مثل القهيلة، أو السـنهدرين، أو الرأسـمالية اليهودية، أوالشيوعية اليهودية أيضاً، أو دولـة الصـحافة والاعلام والملاهي – وبخاصة السـينما –وكذلك الكتب التي تمجها المطابع بغزارة، لا للتثقيف ولكن لقتل الوقت والهابالنفوس بانفعالات مدمرة: جنسية وخرافية واجرامية، وما الي ذلك (1).

1- المصدر السابق 58.

العدوان

ان الحقد هو الابن الشرعي للشعور بالاضطهاد، فالاحقاد الصهيونية تجاه العالمنابعة من هذا الشعور مع ان الاضطهاد في الواقع كان نتيجة طبيعيـة لتلـك الاحقادالهائلـة التي يكنها اليهود للعالم انك تراهم لا ينـدمجون مع المجتمع الانساني اينما كان وفيأيـة دولـة ولا يمارسون عملاً زراعياً مفيداً بل ينصرفون الي ادارة أعمال الصيرفةوالربا الفاحش لتدمير اقتصاد البلدان التي يعيشون فيها والسيطرة عليها.

وبعد قيام اسرائيل ظهرت الشخصية الاسرائيلية علي حقيقتها وكشفت عنكائن تلمودي مريض فلا نعجب أن نري علي شاشات التلفاز ذلك المشـهد الفظيع فيقيام مجموعة جنود اسرائيليين بالانقضاض علي فتي فلسطيني وقتله بطريقة مؤسفةوأليمة فيما كانت عدسة صحافي تلتقط تفاصـيل هذا المشهد الاليم عن بعد!وقد أوردت دراسة «أدب الحرب بين العهد القديم والقرآن الكريم» التي تقدمبها الباحث وجيه محمد عوض (1) لنيل الدكتوراه حقائق مذهلة عن طبيعة النفسيةالتلمودية.

وتنقل الدراسـة عن التلمود أيضاً ان «الشـفقة والرحمـة ممنوعة بالنسـبة لغيراليهود؛ لان اليهودي اءذا رأي أحداً واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليه أن ينقذهمنه؛ لان الشـعوب السبعة الذين كانوا في أرض كنعان، والمراد قتلهم من اليهود لميقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلـط بباقي امم الارض، وعليه يلزم قتلالاجنبي ومحاربته؛ لانه من المحتمل أن يكون من نسل الشـعوب السـبعة، وعلياليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، واءذا لم يقتله يخالف الشرع؛ لانه جاء فيالكتب: كيف لا أبغض يا اءلهي من يبغضك؟».

1- الدعوة صوت الحق والقوة والحرية ع 111 ربيع الاول 1422 يونيو 2001 عرض وتقديم خالد الاصور ص 35 - 37.

جذور الارهاب

وتشـير الدراسـة اعلي أن محاربـة وقتل «الاجنبي» – أي غير اليهودي – عند بنياءسـرائيل تعد من الفضائل حتي اءنهم يسامحون القاتل في هـذه الحالـة، وقـد ورد فيالتلمود كذلك: «أن من يقتل مسـيحياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس الاعلي»،ومن مظاهر الحرب من خلال العهد القديم الزعم بأن شمعون ولاوي ابنا يعقوب«أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا اعلي المدينة بأمن وقتلا كل ذكر بحد السيف» وتبعذلك سلب ونهب المدينة (سفر التكوين: 24/ 25 – 29).

ويصور سـفر الخروج – في مواضع مختلفـة – أعمـال الرب تجـاه الاـمم الاـخري فهويقتـل كـل بكر في أرض مصـر من النـاس والبهائم (التكوين: 13 / 15) فهو رجلاـلحرب (التكوين: 15/3)، ويطرد الاـمم الاـخري دون حـل وسط من أمثال الكنعانيين الحثيين (التكوين: 23/2) تمهيداً لاءحلال بني اءسرائيل محلهم.

وترجع الدراسة أصول وجذور الاءرهاب لدي بني اءسـرائيل وسـفك الدماء اعلي ماورد في سـفر العدد من وصف للشعب اليهودي «هو ذا شعب يقوم كلبؤة، ويرتفعكأسد لا ينام حتي يأكل فريسة، ويشـرب دم قتلي» (22/24)، كما يصور سفرالتثنية الاءرهاب الفظيع للغاية لدي اليهود، فهو موجه لا للاءنسانية فحسب، بل لكلما هو علي وجه الارض: «اءلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم علي كل الارض»(11/25).

وتلفت اعلي ما تميزت به حروب اليهود من أعمال عنف واءرهاب بشـعة بقسوتهاووحشـيتها في تاريخ البشـرية جمعاء في مختلف العهود، منذ النصف الاول من القرنالثاني قبل الميلاد مع الاسـتعانة بما أورده المؤرخ اليهودي الشـهير «فلافيوسيوسفوس» وهو اقدم مؤرخ يهودي عاش في القرن الميلادي الاول.

وترصد الدراسة طبيعة الحرب في عقيدة بني اءسـرائيل – قديما وحديثا – فالحربعندهم عمل مقدس وقائد هذه الحرب في زعمهم هو «رب اءسرائيل» فهو «رجل

حرب» و«رب الجنود» في حين آخر، و«اءله سلام» فكيف يتم التوفيق بين هذه المتناقضات!

وعلي عكس منهج اليهود في الحرب – استنادا اءلي العهد القديم المحرف – والذييقوم علي القسوة والهمجية والظلم أوردت الدراسة منهج الحرب في القرآن – وعمادهالعدل والرحمة – موضحة مفهوم الحرب وحكمة مشروعيتها وأنواعها وفرضيةالحرب، وتدرج التشريع في الحرب وشروط المحارب في الاءسلام في دراسة مقارنة بماجاء في العهد القديم.

كما القت الدراسة الضوء علي تعريف الغنيمة وبيان دليل مشروعيتها وكيفيةتقسيم الغنيمة وحكم أربعة اخماس الغنيمة وتقسيمها، وأحكام معاملة الاسري منحيث حكم قتل الاسري وحكم استرقاقهم والمن والفداء، وبيان المدي البعيد للشريعة الراحمة للاءسلام حتي في المعارك الحربية، وذلك علي عكس الطبيعةالعدوانية لبني اءسرائيل من خلال العهد القديم واستخدامهم لابشع وأفظع الوسائلالوحشية من العنف والاءرهاب المتأصل في دمائهم منذ أن وجدوا علي مسرح التاريخوحقدهم المتجذر دينياً وتاريخياً علي الفلسطينيين بصفة خاصة، وبقية الشعوبالاخري بوجه عام عن طريق الاحتلال والتوسع والسيطرة والاستيطان، أو سياسةالاعتماد علي الغير – اليونان والرومان قديماً وبريطانياً وأمريكا حديثا – والحربالجماعية أو الامة المسلحة، مع تحقيق الافكار التي يحتويها العهد القديم وبيان الحقائقالتي يكشفها القرآن الكريم علي ضوء مصداقيته الحقة تجاه ما يتصل بهذا الموضوعمن مصادر يهودية وخاصة التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون،وتكوين فكرة شاملة عميقة عن تأثير التعاليم الدينية اليهودية التوراتية والتلموديةفي تكوين العقيدة العسكرية الصهيونية.

واءذا كانت الدراسة قد اثبتت الجذور «النظرية» للاءرهاب الصهيوني من خلالنصوص التوراة – المحرفة – والتلمود فاءن الممارسة «العملية» لليهود علي مر التاريخ

وخاصة في العصر الحديث تنسجم مع معتقداتهم وتصوراتهم الشائهة، حيث يعتبرالعنف والارهاب ركيزة من اهم ركائز الفكر الصهيوني وأحد مقومات الايديولوجيةالصهيونية، فمنذ أن بدأت أفواج المهاجرين اليهود بالزحف اءلي فلسطين بدأ الصهاينةفي ممارسة الاءرهاب بشكل منظم ومدروس، فمارسوا القتل والتدمير ضد الشعبالفلسطيني لطرده من دياره واءحلال المهاجرين اليهود مكانه.

وقد مارس اليهود الارهاب من خلال منظمات اءرهابية مثل: «الهاجانا شتيرن،والارغون»، وغيرها ثم مارس الصهاينة بعد قيام «الكيان الصهيوني» كدولة منخلال أجهزة مخابرات الصهيونية المختلفة مثل: «الموساد، والشين بيت»، وغيرهابالاءضافة اءلي عمل المنظمات الصهيونية المتطرفة، والمستوطنين، فالصهاينة يجدون فيجميع صنوف الاءرهاب عملاً مشروعاً – استناداً اءلي كتبهم – لتحقيق أهدافهم، فيحين يعتبرون مقاومة الشعب الفلسطيني لهم والتي اقرتها كل الشرائع والمواثيقالدولية «اءرهاباً» يجب محاربته والقضاء عليه.

وبعد قيام الكيان الصهيوني عام 1948 أصبح الاءرهاب والقتل الجماعي «حرفةيهودية» يقوم بها عبدة «العجل» وقتلة الانبياء، فتم تنظيم هدم المنازل وتدمير القريوتشريد السكان ومصادرة أراضيهم لاءقامة المستوطنات الجديدة لليهود القادمينوأصبح هذا سياسة عامة للحكومة والجيش الصهيوني الذي ضم جميع العصاباتالصهيونية الاءجرامية التي ارتكبت أعمال القتل والتدمير والنهب قبل قيام الكيانالصهيوني وتحت حماية قوات الانتداب البريطاني.

وقد ارتكب الصهاينة خلال الحقبة ما بين 1948 – 1967 عدداً كبيراً منالاعمال الاءرهابية زاد عددها – في هذه الفترة فقط – عن 21 الف حادثة اءرهابيةحسب سجلات الامم المتحدة، أي بمعدل أكثر من ألف حادثة سنوياً أي نحو ثلاثحوادث يومياً.

ومن أخطر الاعمال الارهابية التي ارتكبها الصهاينة سواء أيام الانتداب

البريطاني أو بعـد قيام الدولـة الصـهيونية في فلسـطين هي المجازر والمذابـح الجماعيـة ضدالمدنيين العزل لبث الرعب والخوف في نفوس السـكان لاءجبارهم علي ترك أوطانهم،ويلاحظ أن هـذا الاسـلوب لم يتغير منذ ارتكاب أول مجزرة كبيرة في دير ياسـين في6 /4/ 1948 تلك البلـدة الواقعـة علي مشارف «القدس الشـريف»، والتي راحضـحيتها 254 فلسـطينياً معظمهم من النسـاء والاطفال والشـيوخ، مروراً بمذبحـة«صبرا وشاتيلا» في المخيمات الفلسـطينية بجنوب لبنان حيث تم اءطلاق نيران المدافعالرشاشـة الثقيلـة والقذائف والقنابل وجري قصف مئات المنازل واستمرت المجزرة عليمدي أربعين ساعة متواصلة.

وقدر عدد الضـحايا الذين سقطوا في أيام 16 و17 و18 من «ايلول» عام1982م بأكثر من 2000 ضـحية انتهاءاً – وليس نهاية – بمذبحة الحرم الاءبراهيمي عام1994 حيث استشهد اكثر من 60 مصـلياً في ساحة المسجد ومذبحة «قانا» بجنوبلبنان في نيسان / أبريل أيضاً عام 1996.

وأخيراً – وليس آخراً – السلسـلة المتواصلة للمذابح الصهيونية ضد الشعبالفلسطيني الصابر في انتفاضته المباركة الحالية والتي راح ضحيتها اكثر من 400 شـهيد– وما زالت قوافل الشـهداء تتري – وعشرة آلاف مصاب ومعوق باستخدام قذائفالمدفعية والدبابات والطائرات كل هذا ضد المدنيين العزل، وصدق الله تعالي اءذايقول: (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ)[المائدة: 13].

هذه هي اسـرائيل التي ظهرت ككائن تلمودي مخيف مثقل بعقد نفسـية تجعله مسـخاً (1) منسـلخاً عن الطبيعة الانسانية وقيمها الاخلاقية النبيلة.

آفاق الحل

والسؤال هنا هل ثمة حل أو علاج لهذه الظاهرة المرضية؟

1– فقلنا لهم كونوا فردة خاسئين البقرة : 65.

يري الاستاذ حسن ظاظا الكيان السياسي في اسرائيل التي جاءت كحلاستعماري للحركة الصهيونية حالة مرضية اجرامية تمثل نتيجة لسلسلة من الاصاباتالعميقة، وتحمل اضطرابات في الشخصية سببها وراثة ثقيلة من أمراض الاسلاف،ثم حالة من الصحة النفسية والاجتماعية تأبي الانخراط في الحياة العادية للمجتمعالانساني.

وفي جميع التشريعات نجد القضاة يضعون موضع الاعتبار كون التصرفاتالاجرامية صادرة عن شخصيات مريضة، ويعتبرون ذلك ظرفاً مخففاً، بحيث يكونحكمهم في النهاية وافيا بغرضين: الحد من الجريمة، والعلاج من المرض.

وفي رأينا ان الشخصية الاسرائيلية من هذا النوع. وقد استفحل مرضها، حتيوصل في بعض الاحيان الي الجنون المطبق، بسبب افواج المتطرفين والحمقيوالمصابين بالهستريا والهلوسة وجنون العظمة واحلام اليقظة وأزمات الاكتئابواليأس والبكاء، تولوا مقاليد هذه الجماعة ومقدراتها، قديما وحديثا فكانت نتيجةكل ذلك الصهيونية.

فالصهيونية فكرا وسلوكا وتطبيقا موبوءة بالتعصب العنصري والتعصبالديني،، وعقد الشعور بالاضطهاد، والفزع من اللاسامية، كما انها مصابة بأورامانتقلت عدواها اليهم من طغاة كثيرين فتكوا بالاسرائيليين، وتفننوا في التنكيل بهم،وكان من أواخر ذلك البوجروم واللاسامية الهتلرية. فراح الغلاة من الصهاينةيقلدون اولئك السفاحين.

والعلاج من هذه المجموعة من الامراض، ما كان منها وراثيا، وما أخذبالعدوي، وما تحوصل في ثنايا الشخصية الاسرائيلية في الظروف التي شاء اليهود أنيعيشوا فيها، او التي اجبروا عليها، لا بد أن يكون طويلا يحتاج الي صدق نية منهمفي الشفاء، والي نظرة انسانية شاملة من جميع النفوس المحبة للخير. وهي تجربةليست بالسهلة. فمن السمات المميزة للشخصية الاسرائيلية العناد، والاسراع الي

الارتـداد عن طريق الخير. وصـفهم ربهم في التوراة بأنهم شـعب صـلب الرقبـة، ابعـدالناس عن الطاعة وعن لين الجانب (الخروج 32: 9 و33: 3، 5 و34: 9 التثنية9: 6، 13)، كمااكثر انبياؤهم الشـكوي من كفرهم وعنادهم وقسوتهم، ويكفي فيذلك ان نسوق سطورا من كلمة طويلـة للنبي ارميـا يقول فيهـا: «مثل خزي اللص اذاوقع، هكـذا خزي آل اسـرائيل، هم وملؤهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم، اذيقولون للخشب أنت أبي، وللحجر انت والـدي، لانـهم اداروا نحوي قفاهم لاوجههم، وفي وقت مصـيبتهم يقولون قم وخلصـنا. فاين آلهتك التي صنعت لنفسك؟فليقوموا ان اسـتطاعوا ان يخلصوك في وقت بليتك لانه قـد صارت آلهتك بعدد مدنك،يا يهوذا. لماذا تخاصـمونني؟ كلكم عصيتموني، يقول الرب. ضربت ابناءكم بلافائدة، اءذ لم يقبلوا تأديبا. سيفكم أكل انبياءكم كأسد مفترس» (ارميا 2: 26 –30).

وقد حاول مفكرون من عظماء اليهود علي مر الاجيال ان يعالجوا الامة المريضةمن دائها القديم فلم ينجحوا. كان كلام بعضـهم يفسر علي غير مـا اريـد به، امـا لكييتجه بتفسـيره المفتعل نحو اهـدافهم ومآربهم، كما صـنعوا بفكر الطبيب موسـي بنميمون، واما للتشـنيع والتجريح والافتراء علي رواد الاصـلاح من اخوانهم، كما فعلوابصاحبهم موسـي مندلسون، احد الانسانيين الكبار في القرن الثامن عشـر. فقد ذهبهذا المصـلح اليهودي الي ان مشـكلة اليهود الحقيقيـة تكمن في ان شخصـيتهم قـدتبلورت وراء اسوار الجيتو، وان فكرهم نفسه قد اقيمت من حوله حواجز اقوي مناسرار الجيتو، صنعوها هم بانفسهم وتحصنوا في داخلها، وتعودوا علي ظلامهاالدامس.

ورأي ان الخروج من هـذا الحبس الاجتماعي والفكري لا يكون الا باعتباراليهوديـة عقيـدة وديانة واخلاقا ونمطا في المعيشة، لا دخل فيها للعنصرية ولاللكبرياء النابعة من الخرافات.

هو الذي رفع في قومه الشعار المشهور: «كن يهوديا في بيتك، ومواطنا مخلصافي الطريق». وكان حله هذا في حقيقة الامر متسقاً مع اتجاه العالم نحو الحرية، فقدقامت الثورة الفرنسية، التي اعلنت فيها حقوق الانسان بعد موت مندلسون بثلاثسنوات فقط. فما كان جزاؤه من قومه عن هذا الجهد المضني؟ الكذب والافكالمفتري الذي يخدش الرجل في علمه وعقله وكرامته وعرضه واسرته. انبرت لهالاقلام اليهودية المسمومة بالتعصب، فلم تترك جانباً من جوانب حياته الا لوثته.وتعقب المعاندون من رجال الدين الاسرائيلي كتبه فجمعوها واحرقوها، وحرمواعلي قومهم قراءتها ان أعيد طبعها، وجعلوا هذا التحريم مؤبدا الي يوم القيامة، لانهموصفوا الرجل بالزندقة ايضاً.

وقبل مندلسون ظهر في هولندا الفيلسوف اليهودي المتحرر باروخ سبينوزا، فيالقرن السابع عشر وكان هو ايضا يعتقد ان نهاية الشقاء اليهودي، شقاء اليهودوشقاء العالم باليهود، تكمن في ايمان هؤلاء الناس بالدين فقط، وتخلصهم من النعرةالقومية الاسطورية التي تفسد ما بينهم وبين الانسانية كلها. وكان يري ان الشخصيةالاسرائيلية يمكن ان تحافظ علي فضائلها لو انها لزمت شرائع الدين، دون ان تفكرفي الاتجاه نحو ارض معينة مثل فلسطين بحجة انها ارض الاباء والاجداد. ففي يقينهان الله لا يشترط لعبادته مكانا جغرافيا معينا، وانه يقبل الصلاة ويسمع الدعاء مناي مكان علي ظهر الارض. وكان يوضح منطقه هذا بقوله انه هولندي يؤمنبشريعة موسي، والمعبد اليهودي في امستردام هو بالنسبة له كهيكل سليمان فياورشليم بالنسبة لسليمان. ولم يكن الحل يقتصر علي تعليم اليهود وحدهم، بل كانيشجع كل من قصده ليتلقي عنه العلم، لانه لم يكن من ضيق الافق بحيث يحصر نفسهفي نطاق التلمود والمدراش. كان مفكرا وفيلسوفا يؤمن بوحدة الوجود: فالله سركبير يسري في الخليقة كلها. وهكذا يستحيل ان يكون له «شعب مختار» دون سائرالشعوب.

ص: 167

فماذا كان جزاء هـذا المصـلح اليهودي من قومه؟ أعلنت السـلطات الدينيةالاسـرائيلية طرده من الدين، والصـقت به من التهم ما امدهم به خيـالهم الخصب. ولميحاول الرجل ان يتصـدي لهـذه الغوغائيـة في الفكر، وانصـرف الي العلم، والي عملهالـذي يكتسب منه رزقه، وهو صناعة العدسات البلورية. واذا بالقهل يحاولارهابه، ثم يحاول قتله، لولا ان تداركه بعض المعجبين به من تلاميذه ومحبيه،فنصحوه بان يترك امستردام، ليعيش في بعض الارياف القريبـة منها، حتي يتمكنهو واصـدقاؤه من تمييز الارهابيين والسـفاحين والقتلـة لو ان بعضـهم حدثته نفسهبالمجي اليه في المكان الذي اعتزل فيه.

ولم نشـأ ان نـذكر في تلك الزمرة سـيدنا المسـيح عليه السـلام، لان دعوته كانتمن نوع آخر، ليست اجتهادا عقليا فلسـفيا، ولكنها وحي من السـماء. لقـد تعبالمسـيح مع اليهود. حاول في اول الامر ان يجعل دعوته بينهم هم وحـدهم، فأخـذهمالعناد، وتصـلبت أعناقهم، وكابروا وتآمروا، وطالبوا بقتله. فلما رآي ذلك منهمحطم اسـطورة العنصـر، وجعل الشـريعة للناس كافة. ويرمز الانجيل الي هذا الانتقالبقصته مع امرأة من غير بني اسـرائيل، يصـفها القـديس متي بأنها كنعانية، ويزيدالقديس مرقس ذلك تحديدا فيقول انها كانت من الجوييم «أممية، وفي جنسـها فينيقيةسورية»، (انجيل مرقص 7 : 26). وقـد بـدأ المسـيح كلامه معها بقوله «انني لـم ابعث الاللخراف الضالة من بني اسـرائيل»، (انجيل متي 15 : 24). ولكن المرأة الحت عليه،ممـا تأكـد معه انه تؤمن ببركته، وكـانت تطلب منه ان يـدعو لابنتها المريضـة حتيتشـفي. فشفاها، واعلن بعد ذلك انه بالايمان وحده، لا بالنسب، يدخل الانسان فيملكوت السماء.

ومع ذلك بقي اليهود مرضي حتي الان.وبعد، فهل هناك من حل؟

ان بداية الحل في استئصال اسباب المرض. وهذهالاسباب تحوصلت في العصر الحديث في الصهيونية، التي تلعب بالمريض لعب

الساحر الدجال في المجتمعات الجاهلة المتخلفة، الذي يعد بالشفاء والعافية عنطريق تحضير الجن، واطلاق البخور، وتكثيف الظلمات، واصدار القعقعة الشديدةالتي تصم الاذان، ليشعر المريض شعوراً وهمياً بأن القوي الخفية قد انطلقت لتحل لهجميع مشاكله. لقد دأبت الصهيونية علي أن توسوس في صدور اولئك الناس بأوهامالغزو والفتح والانتصار والسيطرة علي العالم العربي والوصاية علي ارزاقة ومقدراته» (1).

ومن هنا يمثل صعود شارون السفاح (بطل) مجازر صبرا وشاتيلا مؤشراً علياستفحال المرض وضرورة حصول عملية جراحية عاجلة لاستئصال هذه الغدةالسرطانية، وعندها فقط سيعي المريض قوّته الحقيقية وخلاصه من أوهام القدرةوجنون العظمة.

فالحرب القادمة مهما كانت بواعثها واسبابها المباشرة هي حرب من أجلالسلام العادل ومعالجة مريض يستحوذ علي اسلحة الدمار الشامل!

قال الله عزوجل: (وَقَضَيْنَا اِلَي بَنِي اِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ) (2).

المسيح الدجال... نبؤة أخري

«اءن عاد، ضربها الله أول الزمان، وآخر الزمان سيأتي يوم الله القادر علي كلشيء، لتنهار عاد التي حملت آمال صهيون، ستنهار رغم مشاريع حرب النجوم!

ستنهار علي أيدي أناس بسطاء.

وهكذا صنع اليهود الزيت الذي يحترق علي خطاهم!!

1- مجلة عالم الفكر / 60 - 62 م 10 ع 4 1980.

2- الاسراء 4 - 7.

ولانه من المعتاد، أن لا يرقص أحد علي أنغام الارغن والالات الموسيقية التي تعزف في الكنائس (1) وهي تشدو ايام الشمس التي هي أيام الاحاد. اءلاّ أن اليهوديحق لهم أن يرقصوا، لان عالمهم تحصنت طرقاته!! حتي اللصوص عندهم أمسكوافي أيديهم القنابل الذرية!!

اءن النصاري لا يقرأون في كتابهم المقدس، واءذا قرأوا لا يحق لهم أن يسألواأنفسهم عن معني الذي قرأوه، لان تفسيره لا يعلمه حتي رسل المسيح. ولانه كذلكاحتفظت الكنيسة بحقوق التفسير.

اءن النصاري يطالبون بحق اليهود ونحن لن نأخذهم اءلي كتبنا، بل نقول لهماقرأوا ما بين أيديكم. اءن نصوصكم توصيكم آخر الزمان بالفرار من اليهودية..[... عندئذ ليهرب الذين في المنطقة اليهودية اءلي الجبال، ومن كان علي السطحفلا ينزل ليأخذ ما في بيته، ومن كان في الحقل فلا يرجع ليأخذ ثوبه..] (2).

قال المفسرون:[اءننا أمرنا أن نتوقع هذا، فاليهود يجب أن يعاقبوا والخرابيجب أن يحل بهم، بهذا يثبت عدل الله. ولقد خرجت الكلمة من الله وسوف تتم حينها (3) وهذه الحوادث لا بد أن تتم كوسيلة لغاية سامية، يجب أن يهدم المسكن القديم قبل اءقامة الجديد، يجب اءزالة الاشياء المتزعزعة لكي يبقي التي لاتزعزع..] (4).

قد يقال اءن هذا حدث في الماضي في تدمير 66 ميلادية فاءذا كان هكذا فمنصاحب المسكن الجديد الذي يجاء بعد هذا التدمير (؟) اءن الاسلم هو أن نتوقعسنوياً ان هذا سيحدث مستقبلاً، فاءذا كان هذا سيحدث مستقبلاً لليهود، فكي

1- مواقف من تاريخ الكنيسة ص 97.

2- متى 24/16/17.

3- تفسى متى / متى هنرى ص 322.

4- تفسير متى / متى هنرى 323.

فيستقيم مع دعوتهم بأن لهم ملكاً آخر الزمان، ثم لننظر اءلي هذا النص أيضاً:

[... وأجمع كل الامم علي أورشاليم فتؤخذ المدينة...] (1).

تؤخذ ممن؟ وتعطي لمن؟

قال المفسرون: (اءن، اليهود سيخرجون من نار فتأكلهم نار. هذا ما تم مع هذهالمدينة المذنبة أورشاليم في كل تاريخها الماضي والحاضر (والمستقبل) ففي الماضي جاءنبوخذ نصر علي أورشاليم وفي المستقبل ستجتمع عليها كل الامم للمحاربة..وتؤخذ المدينة) (2).

تؤخذ المدينة من اليهود!! وتعطي لمن؟!

ثم لننظر أيضاً ونتدبر هذا النص:

[... يقيم اءله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل الممالك وهي تثبت اءلي الابد] (3).

- ألم تنقرض مملكة اليهود؟ ألم يسحقوا؟ أليسوا هم عار الاءنسانية في الماضيوالحاضر والمستقبل باعتراف مفسري أهل الكتاب؟ اءذن فمن هم أصحاب هذهالمملكة، هل هم النصاري؟ فاءذا كانوا هم فعلي أي اءنجيل يثبتون؟ وعلي أي قانوناءيمان الذي زاد فيه قسطنطين أم السابق عليه؟

اءن أصحاب هذه الدولة قوم آخرون!! صحيح أن اليهود الان يعيشون عليأرض اغتصبوها ولنقرأ ما يقوله المفسرون!!

هذه هي جملة أقوال المفسرين في العقاب الذي ينتظر اليهود آخر الزمان.

[... ومرة أخري ستذوق أورشاليم غضب الله وقضاءه في نهاية هذا الدهر(الحاضر) (4) والمسيحية في الغرب قد انهارت حتي أن الذين كان أجدادهم في القرون

1- دانيال 45/2.

2- تفسير حزقيال / رشاد فكرى ص 126.

3- دانيال 45/2.

4- تفسير حزقيال / الاستاذ فكرى ص 59.

الماضية يشنون الحرب الصليبية بذريعة حماية القدس باعوا فلسطين لليهود في القرن العشرين (1) وهنا يجب أن نوجه كلمة تحذير. فليس هناك فرق بين اءسرائيلوالنصـرانية ففي يوم قادم هو قريب جداً، سـيتعامل الرب بقضائه المخيف ولا سـيما معالمسـيحية بالاسم (المسيحية بالاسم هي في نظر المفسرين هي مسيحية العصر)] (2).

إنه لا يصح نحن أبناء المسـيح أن نقدس ما قدسه شـعب اليهود من أساطير وملاحم وتعاويذ (3) ويجب أن نعلم أن الخراب سـيتتابع على اليهود أينما كانوا ، كما يشم النسر الفريسة (4) .

إننا نرى الآن أن اليهود قد تجمعوا في فلسطين وجاءوا من أوروبا الشرقية والغربية إلى أرض آبائهم ... فيا لهذا الشعب التعس المخدوع. فهم يتصورون أنهم وجدوا ملجأ لهم في آخر الأمر، يكونون فيه بمأمن من الاضطهاد، ومأمن من الخطر .

لا !!

إنهم يهيئون أنفسهم على غير علم منهم لمعصرة غضب الله) (5).

تلك هي اقوالهم بالحرف الواحد !! وفيهم من يعرف الحقيقة ولكن لم يقلها !!

نعم لقد جاؤوا من أوروبا إلى هذه الديار متصورين أنهم وجدوا ملجأ لهم ! ولكن !!

إن حساب الناس في الـدنيا أو الآخرة ليس من شأن العبيـد ، إنما هو من شأن الله وإنه لما يخـدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي او المسـتبد الفاسد أو الملحد الكافر ممكنا

1- العلاقة بين اليهود والمسيحية / الأب سركيس ص 55.

2- تفسير حزقيال / أستاذ فكري ص 67.

3- خطر اليهودية / الأب طانيوس منعم ص 38 .

4- تفسير متى / هنري 340.

5- تفسير دانيال . / ه ا ايرانساید ص133.

له فى الارض غير ماخوذ من الله. ولكن الناس يستعجلون انهم يرون اول الطريق او وسطه...

ولا يرون نهايتة الطريق ونهاية الطريق لا ترى الا بعد ان تحبىء (1).

العالم الاخضر

ان حصيلة ما يمكن تصوره عن اسرائيل والحركة الصهيونية انها حركة تستغلأساطير وأوهام ونبوءات توراتية وانها عندما أرادت حل المسألة اليهودية جاءتبحل استعماري غاية في الدموية والبطش والقسوة ومثقلاً بالاطماع التوسعية وأوهامالسيطرة وجنون العظمة.

ولذا فاءن السلام الذي يتحدث عنه التملود هو سلام القبور والذي لن يتحقق الاّبقتل الشعوب السبعة وتسخير الذين سينجون من القتل!!ومن هنا فأن حركة كهذه وقد نجحت الي حين في تأسيس كيان يمتلك رؤوسأنووية واسلحة ذرية ويعاني من عقد نفسية يعني أنه يمثل اءرادة الشرّ هذه الاءرادةالسلبية التي ستفضي الي عالم مؤلف من رماد وأنقاض.

وفي مقابل هذه الاءرادة تبرز حركة المهدي التي واكبت التاريخ والحضارات حتيالان لتمثل اءرادة الخير والعدالة، وسنجد في ثناياها عالماً أخضر يمثل تطلعاتالانسانية وطموحات البشر عبر العصور (2).

1- سعيد ايوب عقيدة المسيح الدجال 85-89.

2- يقول الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب في مقدمة مطولته الملحمية فجر السلام: «لا أظن ان بي حاجة الى شرح حاجة الى شرح أهداف حركة السلام ومراميها وتبيان خطوطها العامة، فذلك ما تولاه الكثيرون من قبلي وما سيتولاه الكثيرون من بعدي، وما جاءت هذه القصيدة تعبر ع-نه بالمقدار الذي يستطيع أن يشرح به ويبين دون أن يفقد كونه شعراً، ولكن لي رأياً واحداً أود أن أقوله، رأياً يلمسه القارئ في المقطع الأول من هذه القصيدة.. ان الصراع بين الشر والخير، بين الموت والحياة، بين قابيل وهابيل، منذ أقدم الأزمنة، وقد تبلور الآن في هذه الحركة حركة السلام العالمي.. فانقسم العالم ليس الى آشوريين ومصريين ولا الى يونان وفرس، ولا إلى مسيحيين ومسلمين ولا الى دول متقدمة ودول متأخرة، ولا الى شيوعين ورأسماليين، كما كان يحدث دائما، وإنما انقسم الى شيء أهم من ذلك وأشمل وأحفل بالروح الانسانية كما عبر عنها بوذا والمسيح ومحمد وجميع الأنبياء والمصلحين منذ أقدم العصور حتى الآن.. انقسم العالم الى أخيار وأشرار. والأخيار كلهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأديانهم وعقائدهم السياسية في معسكر واحد هو معسكر السلام، والأشرار كلهم في معسكر آخر هو معسكر أعداء السلام». ديوان بدر شاكر السياب - المجلد الثاني / 235.

ونورد هنـا تلخيصا ما ورد في دراسـة مفصـلة (1) تبـدأ بتثبيت البواعث النفسـية التيتفضـي الي عـالم اللامسـاواة والانحراف فهناك تثقيف حكومي موجه ينهض علي أسستتنافي وفطرة الانسان، وهموم الدولة في دفع رعاياها الي الطاعة لقوانين تجانب روحالعدالة.

وحالة التنافس المادي الذي يدفع بالانسان عادة الي انتهاج كل الاساليب فيالحصول علي المال.

اضافـة الي التهافت الاجتماعي وتشـرّب الافراد بثقافـة الرفاه المادّي الذي يختزلالسـعادة والرفاه بالحصول علي أكبر قدر ممكن من وسائل العيش الحديثة من مسكنوملبس ومركب والذي يفرز ضمن تلك الثقافة حالة من النفوذ والمركز الاجتماعي.

وأخيراً اختزل ازمة الحب بمسائل الجنس والاغراء والاستغراق في الجانبالحيواني منه.

وتتداخل هذه الاسباب وتتشابك فيجد المرء نفسه محكوماً بمسار يعتبره قدراًمقدوراً وأن سعادته وهناءه يتوقفان عليه وأن تيار الحياة هو هذا ولا غير فتضمحلشيئاً فشيئاً جوانب الحياة المعنوية والروحية والاخلاقية وهنا تكمن أولي خطي العملية التغييرية (2).

1- محمد الصدر تاريخ ما بعد الظهور / 756- 820 .

2- لقد تشـربنا وعلى مدى سـنوات طويلة فكرة خلاصـتها أن النمو الاقتصادي خاضع لمتوالية عددية، فيما النمو السـكاني خاضع لمتوالية هندسية وهذا يعني أن الكارثة قادمة!

ولـذا تتضـمن الاخبار في هـذا المضـمار منهجاً تربوياً يحقق ثقافـة نقية تربي الانسانعلي طاعة الله وعبادته الحقيقية وسـلوكاً أخلاقياً رفيعاً يصدر عن اجهزة الاعلاموالمؤسسات التعليمية.

ولان شـعار العملية التغييرية هو تنفيذ العدالة الحقيقية، وهو ما ينسجم معالطموح الانساني وتطلعات البشرية، فان ارضية الانحراف والظلم سوف تتراجعأمام برامج الخير والصلاح.

حيث التنافس سيكون موجهاً ضمن معادلة أخلاقية تؤدي الي النفع العام.

كما ان نجاح البرامـج والخطط والمشاريع الاقتصاديـة سوف يفرز مسـلكاً أخلاقياًرفيعاً وتجربـة انسانيـة نبيلـة اءذ يحقق الفائض في الانتاج والعدالـة في التوزيع وضـعاًاجتماعياً تتراجع فيه بواعث الجريمـة، ولن تكون هنـاك مبررات للاـجرام التي يشـكلالعوز الاقتصـادي والظلم الاجتماعي مساحة كبيرة فيها.

ثم تأتي برامـج تنظيم العلاقات الانسانيـة بين الجنسـين في الاطار الـذي يحقق رسالةالدين وأهدافه الانسانية، علي أساس انسـجام الجانب التشريعي مع الجانب التكوينيومكافحة كل التقاليد والاعراف التي تتناقض مع رسالة الدين وجوهره الانساني فيتحقيق حياة كريمة تنظر الي الانسان وتعترف بميوله وترشد هذه الميول في ما يحققانسانيته وكرامته.

ومع الايمان بتوفر عنصـرين في ظهور المهدي وهما البرنامج الحياتي الشاملوالكامل والاسـتقامة في التنفيذ والتطبيق، فأن توفر عنصر ثالث وهو تطلع البشريةالي خطوة الانقاذ هذه سوف يسهم في تحقيق انسجام كامل مما يساعد في نجاحالتجربة بشكل أخاذ.

فهناك اشارات نكتفي بـذكر نموذج يؤكد تنامي الاتجاهات الانسانية وسـيادةحالة من الاخوة والتضامن. عن أبي هريرة في حديث عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم انه قال:

«لتذهبن الشحناء والتباغض» (1).

وعن الامام الباقر عليه السلام قال: «اذا قام قائمنا وضع يده علي رؤوس العباد فجمعبها عقولهم، وكملت بها أحلامهم» (2).

وفي هذا ما يؤشر درجة الوعي يومئذ.

وبسبب نجاح الخطط والبرامج الاقتصادية والثورة العلمية المذهلة سيتحققرخاء اقتصادي، وفائض في الانتاج ووفرة في النقد الذي يعني قوة شرائية عليدرجة كبيرة.

عن النبي صلي الله عليه و آله و سلم: «يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يعدّه» (3).

وعنه صلوات الله عليه: «لا تدّخر الارض من بذرها شيئاً الاّ أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً الاّ صبته عليهم مدراراً» (4).

«تتنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتي الارض أكلها» (5).

«تكثر الماشية وتعظم الامة» (6).

«ابشروا بالمهدي! رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملا الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلما وجورا. ويرضي عنه ساكن السماء وساكن الارض، ويقسم المال بالسوية، ويملا قلوب أمة محمد غناه ويسعهم عدله» (7).

«اذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت السبل وأخرجت

1- صحيح مسلم 94/1.

2- منتخب الاثر / 483.

3- صحيح مسلم 454/4.

4- مستدرک الحاکم 465/4.

5- المصدر السابق 514/4.

6- المصدر نفسه 558/4.

7- ينابيع المودة / 562 الحاوى للسيوطى 124/2.

الارض بركاتها» (1).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«ولو قد قام قائمنا لانزلت السماء قطرها ولاخرجت الارض نباتها ولذهبتالشحناء عن قلوب العباد» (2).

«تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها الاّ علي النبات» (3).

فاذا كانت الصحراء بين الشام والعراق المليئة بالرمال تستحيل الي ارضخضراء يغمرها الامن والسلام، فانه ليس بوسع الخيال أن يتصوّر الثورة الزراعيةالتي سيشهدها عصر الظهور.

وتفند دراسة «تاريخ ما بعد الظهور» مقولة الانفجار السكاني الذي يهدد الارضبالمجاعة.

فمن السخف أن يقال: اءن البشرية متجهة نحو المجاعة، وان زيادة النسل يؤديحتماً اءلي قلة الارزاق في العالم. ان ذلك اءنما يتحقق، حين يكون الاءخلاص ضئيلاًوالعمل مبعثراً والتشريع ظالماً، كما هو الحال في عصر ما قبل الظهور. وأما حينتوجد الدولة المخلصة والتشريع العادل والايدي العاملة المجدة والعمل المنظم عالمياً،فسوف يمكنه أن يحفظ للبشرية أرزاقها مهما تزايدت وتكاثرت، بل يمكنها أن تزيدالانتاج اءلي أضعاف مقدار الحاجة، وتُضاعِف الدخل الفردي لكل البشر بشكل لامثيل له في ما سبق من تاريخ.

وأما المنهج التفصيلي التشريعي والعملي الذي يتبعه المهدي عليه السلام في دولته لنيلهذه النتائج الزراعية الرائعة، فالتعرف عليه موكول اءلي وعي ما بعد الظهور، واءنماالمستطاع التعرف علي بعض فقراته من خلال ما بين أيدينا من قواعد وأخبار».

1- الطوسى اعلام الورى / 413.

2- البحار 182/13.

3- البحار 182/13.

«اءن نفس الاخبار التي سمعناها، تعطينا بعض الحقائق التي تفيدنا بهذا الصدد.

فالاءمام المهدي عليه السلام، سيأمر بحفر نهر خلال الصحراء الواقعة بين كربلاءوالنجف، حتي ينزل الماء في النجف، ويعمل علي فوهته القناطير، يعني الجسوروالارحاء – وهو جمع أرحية وهي المطحنة القديمة للحب – ومن هنا قال في الرواية:فكأني بالعجوز علي رأسها مكتل فيه بر، تأتي تلك الارحاء فتطحنه بلا كري، أيبدون أجره.فاءذا علمنا أن ذلك ليس اءلاّ مجرد مثال، ذكر طبقاً للفهم القديم، استطعنا أننتصور مقدار الانهر والقنوات الممدودة في الصحاري للري، ومقدار التجهيز الاليالزراعي المباح التصرف فيه للناس مجاناً، ليساعد علي سرعة الاءنتاج وضخامته،وعلي سرعة التوزيع والتسويق.

وستؤدي هذه الثورة الزراعية طبقاً لاءيديولوجية الدولة المهدوية، اءلي عدةنتائج مهمة، نفهم بعضها:

منها: توفر الاطعمة والثمار بكثرة لدي الناس، مع رخص قيمتها السوقية، بلتوفرها مجاناً للكثير من الناس.

ومنها: توفير العمل المنتج للعديد من الايدي العاملة، وبالتالي اءشباع الملاييننمن العوائل التي كانت فقيرة ومضطهدة في عهد ما قبل الظهور.ومنها: العمران الواسع خلال هذه الارض المزروعة، ذلك العمران الذيستتميز بعض تفاصيله.

ومنها: توفير الفرص الكبيرة لازجاء الحاجات الحياتية مجاناً، وبدون عوض وبذلك نستطيع أن نتصور حصول النتيجة المهمة الكبري المطلوبة (1).

وفي مجال التعدين تورد الدراسات ما يلي:

1- محمد الصدر تاريخ ما بعد الظهور / 788 – 789.

«نصت الاخبـار الواردة بطرق الفريقين: بـأن الاـرض تظهر معادنهـا وكنوزهـاعلي سـطحها حتي يراها الناس، وتلقي بأفلاذ كبـدها كأمثال الاسطوانات من الذهبوالفضة.

وهـذا يمكن فهمه علي أسـاس اءعجـازي. بمعني أن يفترض أن ظهور المعادن عليسـطح الارض يكون عن طريق المعجزة، تأييـداً من الله تعالي للمهدي ودولته.

وهذا الفهم محتمل.. اءلاّ أنه ليس فهماً منحصراً. بل يمكن تقديم فهم آخر لايكون الفهم الاءعجازي أولي بالقبول منه علي أقل تقدير.

وهو أن نفهم الشـكل الطبيعي لظهور المعادن، وهو اسـتخراجها بالالـة، عنطريق تخطيط معين واهتمام خاص من قبل الدولـة، حتي تتوفر المعادن بأيديالكثيرين للقيام بها في الصناعات واءزجاء مختلف الحاجات.

ولا يخفي علينا في هذا الصدد، أن تطبيق الحكم الاءسـلامي علي المعادن يجعلهامملوكة للافراد لا للدولة، بخلاف القوانين الوضعية التي تعتبرها جميعاً ملكاً للدولة.كما أنه يجعلها منتشرة بأيدي الالاف لا بأيدي عدد قليل من الناس.

وذلك: بأن نفترض أن الدولة المهدوية هي التي توفر آلات الاءستخراجالضخمة، مع تطبيق الحكم الاءسلامي القائل: أن كل من استخرج شيئاً من المعدنيجب عليه أن يدفع خمسه اءلي الفقراء وهو يملك المقدار الباقي. فينتج أن آلاف العمالالعاملين في المعادن سوف يملكون كميات ضخمة من المعدن المستخرج، وملايين منالفقراء سوف تنسد حاجتهم عن طريق دفع خمس المقدار المستخرج اءليهم.

فاءذا ضـممنا اءلي ذلك الحكم الاءسـلامي القائل: بأنه لا يجوز للمسـتخرج أن يزيدمقدار ما يسـتخرجه وما يملكه من المعدن، علي قوت سنته.. عرفنا أنه ليس من حقأي فرد من العاملين في المعدن أن يثري علي حساب الاخرين، واءنما بمجرد أن تصلثروته اءلي حد معين يفي بحـاجته السـنوية له ولعياله بما يناسب حاله اءجتماعياً، منعتهالدولـة عن الحصول علي المقـدار الزائـد من المعـدن، فاما أن يعتزل العمل ويسمح لغيره

بالاءستخراج، لكي يملك من المعدن بهذا المقدار أيضاً، أو أن يعمل ويكون الناتجللدولة مباشرة.

وعلي اي حال، فالدولـة تملك الكميـة الفائضـة من المعادن عن كميات العمال،وهي كميات كبيرة، قـد تزيـد علي ما ملكه العمال جميعاً بأضعاف كثيرة. وهذهالكميات تستخدمها الدولة في صناعاتها وسد احتياجات العمل فيها.

ومن هنا تكون المعادن، تحت الحكم العادل، قد أفادت بطريق مباشر وغيرمباشر ملايين الناس، وأغنت ملايين العوائل في العالم.

الجهة السادسة: في السياسة المالية للدولة المهدوية، كما أشارت الاخبارواقتضتها القواعد الاءسلامية العامة.

وهناك فصل جديـد يتعلق بصورة العالم في المسـتقبل لقـد اعتـدنا علي أن نتصورالتأثيرات الطبيعيـة في الحياة الاجتماعية أما العكس فقد يصعب علينا بسبب طريقةتفكيرنا وتأثرها بمناهج مادّية فلا نتصور العكس. يقول السيد محمد الصدر في هذاالمضمار:

«المسـتفاد من عـدد من النصوص من الكتاب الكريم والسـنة الشـريفة، ان تطبيقالعدل الاءلهي أينما وجد، والمجتمع المؤمن أينما تحقق، فاءن الطبيعة تكون مساعدة لهبمشيئة خالقها الحكيم لانتاج النتائج الحسنة والوصول اءلي الرفاه الاجتماعي. وهذاأمر صحيح برهانياً.

قوله تعالي – نقلاً عن هود النبي عليه السلام:

(وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا اءِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً اءِلَيقُوَّتِكُمْ) (1).

وقوله نقلاً عن نوح النبي عليه السلام:

1- 52/11.

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اءِنَّهُ كَانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِاَمْوَالِوَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً) (1).

فاءن اءرسال السماء مدراراً وشق الانهار وزيادة البنين ونحوها امور تكوينية ليسللاءنسان فيها يد، وخاصة في عصر نوح عليه السلام، ومع ذلك فقد قرنت مع الاستغفاروالتوبة، ومع اءصلاح النفس والاءخلاص بشكل عام. وهذا صادق بالنسبة اءليالمجتمع المحدود، فكيف اءذا أصبح المجتمع كله صالحاً مؤمناً.

فهذه مستويات ثلاثة من التأييد الاءلهي، لا حاجة الان اءلي الزيادة عليها.الناحية الثانية: في تطبيق ذلك علي الدولة المهدوية، وما عرفناه من أشكال التأييد التي تعتبر كنتائج لاءحدي هذه المستويات.

من الواضح أن الصفات المعتبرة لاستحقاق التأييد في المستويات الثلاثة كلهاموجودة في أصحاب الاءمام المهدي عليه السلام خاصة وفي الدولة العالمية العادلة، ككل؛ فمن الطبيعي أن يكونوا مشمولين لكل هذه الاشكال الثلاثة.

وأما من حيث النتائج التي تعرضها علينا الاخبار السابقة، فتتجلي في صورمختلفة:

الصورة الاولي: سهولة استخراج المعادن بشكل خارج عن الحسبان، سواءفهمناه من زاوية اءعجازية أو من زاوية طبيعية. وقد تحدثنا عن ذلك.الصورة الثانية: اتساع الزراعة والاراضي المزروعة بشكل عظيم لم يسبق لهمثيل. «لا تدخر الارض من بذرها شيئاً اءلاّ أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً اءلاّصبته».

الصورة الثالثة: ارتفاع الدخل الفردي بشكل لا مثيل له، اءلي حد ينغلق الطمع بالمال الزائد تماماً، كما صرَّحت به الروايات.

1- 10/71 - 12.

الصورة الرابعة: انه عليه السلام: «تطوي له الارض» وهو تعبير عن سرعة الوصول اءليالمكان البعيد، أما بشكل اءعجازي أو بشكل طبيعي.

الصورة الخامسة: شمول الاخوة لكل الناس وعموم الصفاء بينهم جميعاً، الامرالذي لم يحدث في أي نظام آخر. كما نصت عليه أخبار الفريقين.

الصورة السادسة: اءن الامن والصفاء لا يشمل البشر فقط، بل يشمل الحيواناتأيضاً: البهائم والسباع «واصطلحت السباع والبهائم» فيما بينها. وهي لا تضر الاءنسانايضاً «لا يهيجها سبع ولا تخافه».

وهذا الصلح أحد المظاهر الواضحة للتأييد الاءلهي للمجتمع المهدوي. حتي أنالوحوش تصبح ملهمة بقدر الله عزوجل، علي أن تتجنب كل ما يضر بالبشر منقتلهم او قتل مواشيهم أو اءفساد مزروعاتهم وغير ذلك بل لعلها تشاركهم فيمايشعرون من سعادة ورفاه وأخوة «يرضي عنه ساكن السماء» وهو الطير.

وهذا المطلب لا يمكن اءثباته من ناحية العلم التجريبي الحديث، ولا يكون قابلاًللتصديق من قبل أي فرد ممن وثق بهذا العلم واطمئن اءليه ولكن حسبنا تجربةالمستقبل، وحدوث يوم الظهور نفسه، فبيننا وبين المفكرين المحدثين، وجود المجتمع العالمي العادل:

(فَانْتَظِرُوا اءِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ).

فاءن تجربة وجود هذا الصلح لا يمكن تحققها بدون تحقق ذلك المجتمع فاءنه الشرطالاساسي له. ولا يعقل أن يتحقق الشيء قبل توفر سببه. فاءن حدث ذلك المجتمع،ولم يحدث الصلح بين السباع والبهائم كان كلام المنكرين صادقاً. ولكنهم لا يمكنهماءثبات ذلك في العصر الحاضر، بأي حال من الاحوال (1).

ونحن لا نهتم كثيراً بمستقبل العالم الحيواني فهاجسنا الوحيد المستقبل الانساني

1- المصدر نفسه / 806 - 809.

خاصّة وقد روّض الانسان كل حيوانات الغابة بما في ذلك سلطانها المهيب.

لكنه عجز عن ترويض نفسه فأصبحت الارض غابة مخيفة يخشي الانسان فيهاحتي ظلّه.

ولم يعـد كما في الماضـي ليخاف زئير الاسود وعواء الـذئاب، بقـدر ما يقلقه ازيزالرصاص وهدير الطائرات ودوّي المدافع فيما يرقد الشـبح الذرّي المرعب يهددالانسانية بمصير «هيروشيما» في كل مكان ان هاجس الضمير الانساني اليوم هوالخصب والعدالة والسلام.

ص: 183

المحتويات

كلمة المركز ...7

البشارة / القران و الكتب السماوية الاخرى ...9

المهدى فى بشارات العهدين ...11

الامام المهدى عليه السلام والنداء السماوى ...15

ما معنى «اثنى عشر رئيسا»؟ ...18

الميلاد / ولادة الامام المهدى وظروف الغيبة الصغرى ...23

المشكلة التاريخية ...23

فى صميم البحث ...24

قدر من التفضيل ...29

القصور فى سامراء ... الجوسق الخاقانى نموذجا ...32

المقطع الاخير من مسلسل البشارة ...34

الموقف العام فى الجبهات و العلاقات الدولية ...35

نيرون العرب ...36

وصول الامام المهدى الى سامراء ...37

دار الامام ...40

اوراق من تاريخ الرومان ...44

رواية تاجر الرقيق بشر بن سليمان النخاس ...44

لنسجل بعض النقاط المفيدة باختصار ...47

سامراء ... مشهد ماقبل الولادة ...50

ولادة الامام المهدى لماذا 15 شعبان 256 ه ...57

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹